

عبد السلام هارون

تهذيب

سيرة ابن هشام

بإذْنِ خَاصٍّ مِنَ الْمُؤَلِّفِ
بِهَا إِضَافَاتٌ وَتَفْصِيحَاتٌ جَدِيدَةٌ

دار البحوث العلمية
الكويت

مؤسسة الرسالة

تہذیب
سیرۃ ابن ہشام

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة عشر
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

الكويت - شارع فهد السالم - عمارة الاوقاف رقم ٤
ص.ب: ٢٨٥٧ - هاتف: ٤١٤٢٢٠

دار البحوث العلمية

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً : بيوشران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

نورٌ وهَّاجٌ أَفْضَى إِلَى ظِلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالْوُثْنَةِ
فَانْجَابَتْ كَمَا يَنْجَابُ الْغَمَامُ ، وَهُدًى مِنْ اللَّهِ أَرْسَلَهُ
إِلَى هَذِهِ الْإِنْسَانِيَةِ الضَّالَّةِ فَانْتَشَلَهَا مِنْ ضَيْعَةٍ
وَانْتَشَلَهَا مِنْ هَلَاكِ ، وَأَنْقَذَهَا مِمَّا كَانَتْ تَتَخَبَّطُ
فِيهِ مِنْ دِيَابِجِرِ الظَّلَامِ وَعِقَابِيلِ الضَّلَالِ .

كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ صَفْحَةً عَرِيضَةً مِنْ
صَفْحَاتِ الْجِهَادِ لِإِنْقَاذِ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَمَثَلًا
صَادِقًا مِنْ مَثَلِ الْبِرِّ وَالْمَرْحَمَةِ ، وَسِيرَةً عَالِيَةً
سَامِيَةً فِي مَعَامَلَةِ الْخَالِقِ وَمَعَامَلَةِ الْمَخْلُوقِ ، تَلْمَعُ
أَضْوَاءُ هَذِهِ السَّيْرَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :
« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ، وَفِي آفَاقِ الْكُتُبِ
الْوَثِيقَةِ الَّتِي خَطَّهَا الْعُلَمَاءُ مِنْذُ الْقَدَمِ ، مُتَضَمِّنَةً
نَفَحَاتٍ مِنْ هَذَا الْعَطَرِ ، وَوَمَضَاتٍ مِنْ ذَلِكَ
الْإِشْرَاقِ .

ﷺ ، وَرَضِيَ وَأَنْعَمَ .

تقديم

التاريخ والسيرة :

لم يعرف التاريخ في جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية ، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسائرة لطبيعة الحياة العربية ، فيه مفاخر الآباء والأجداد ، من بطولة ومن كرم ومن وفاء ، وفيه الأخبار تدور حول الأنساب والأحلاف ، وفيه ما صنعوا من حديث يذكر تاريخ البيت وسدنته ، وزمزم وانبعاثها ، وأنباء جرهم وأمراء قريش ، وسد مأرب الذي انبثق ففترق القوم إثره في البلاد ، وما كان من أخبار الكهان وأسجاعهم ، ونحو ذلك مما يصور حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية .

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى ، وتلك الأنباء تؤثر ، ثم وجدوا في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاب بالنبوة ، ومن حياة الرسول الأولى ونشأته الكريمة ، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين أصحاب رسول الله ، وأخبار أعداء رسول الله ، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود ، مادة غزيرة النبع واسعة الآفاق ، فتداولوا بينهم تلك الأخبار من طريق الرواية كذلك ، وكان القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الأصحاب ، سجلاً حافلاً لتلك الحياة الجديدة .

كان القرآن مكتوباً ، ولكن الحديث النبوي ظل دهرًا طويلًا في منأى عن الكتابة ، لا يعرفه الناس إلا رواية موثوقاً بها ، ولم يمرؤ أحد أن يكتب الحديث بصفة عامة ، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه » .

وكانت الحكمة في هذا ظاهرة ، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول الكتاب ، وواضح أن هذا الأمر إنما كان يقصد به المحافظة على هذا الغرض الكريم ، وكان بلا ريب مؤقتاً بنزول القرآن . وظل الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبد العزيز ، الذي ولي الخلافة من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١ . ويذكرون أنه ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث ، فحار الله له ، وأذن لأبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث فدون ما كان يحفظه ، في كتاب بعث به إلى الأمصار . وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة ، وتوفي سنة ١٢٠ .

كما أمر عمر بن عبد العزيز أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، شيخ مالك ، أن يدون حديث رسول الله ، فصنع في ذلك كتاباً .

واستمر المسلمون من بعد ذلك يؤلفون في الحديث ، لا تنقيد كتبهم بنهج خاص في التنسيق والترتيب ، بل يجمعونها كما يتفق لهم ، وقد يصنف أحدهم كتاباً في باب خاص من أبواب التشريع ، ثم تدرج التضييف فألفيناهم يربون كتب الحديث ويفردون من ذلك أبواباً خاصة لأخبار الرسول ﷺ يذكرون ما كان من أمر ولادته ورضاعه وما بعدهما إلى البعثة ، ثم يفصلون أحواله بعد ذلك في مكة ، من دعوته قريشاً إلى دين الله ، وصبره على إيذائهم له ولأصحابه ، ويتناولون أخبار الغزوات والسرايا وما أشبه ذلك من أمور الجهاد . وانطلق المؤرخون في سبيل آخر يؤلفون في التاريخ كتباً عامة ، وقد ينحصر أحدهم تاريخاً لحياة الرسول الكريم ، يشبعون بذلك ميولهم الدينية الخاصة ، التي ترى في الرسول - لاريب - قدوة المسلمين ، وهدى المهتدين .

مؤلفو السير :

فكان أولُ كتاب السيرة عروة بن الزبير بن العوام (٩٢) ، وأبان بن عثمان (١٠٥) ، ووهب بن منبه (١١٠) ، وشرحبيل بن سعد (١٢٣) ، وابن شهاب الزهري (١٢٤) ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (١٣٥) .

وقد بادت كتب هؤلاء جميعاً ، لم يبق منها إلا أشلاء متناثرة في بطون كتب التاريخ كتاريخ الطبري ، وإلا قطعة من كتاب وهب بن منبه محفوظة في مدينة هيدلبرج بألمانيا .

ثم جاءت طبقة من المؤلفين كان أشهر رجالها موسى بن عقبة (١٤١) ومعمّر ابن راشد (١٥٠) ، ومحمد بن إسحاق (١٥٢) .

وطبقة أخرى كان منها زياد البكائي (١٨٣) ، والواقدي صاحب المغازي (٢٠٧) ، وابن هشام (٢١٨) ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠) .
سيرة ابن إسحاق :

وكان أشهر هذه الكتب وأعلاها مقاماً وأشدّها وثوقاً ، سيرة محمد بن إسحاق^(١) التي ألفها في أوائل أيام العباسيين . يروون أنه دخل على المنصور ببغداد ، وبين يديه ابنه المهدي ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يا ابن إسحاق ؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . قال : اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومك هذا . فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب ، فقال له : لقد طولته يا ابن إسحاق ، اذهب فاختره . وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين .

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، أبو عبد الله المدني القرشي ، مولى قيس ابن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف . كان جده يسار من سبي عين التمر ، بلدة غربي الكوفة على طرف البرية ، افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر سنة ١٢ فجئ به الى المدينة ، وولد حفيده محمد فيها سنة ٨٥ وأمضى بالمدينة ثوب شبابه ورحل إلى البلدان الإسلامية ، وكانت رحلته إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ فحدث عن جماعة من المصريين ، ثم رحل إلى الكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد حيث ألقى عصاه ووافته منيته فيها سنة ١٥٢ وفيه يقول ابن عدي : « لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل ألا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ، ومبعثه ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق .

سيرة ابن هشام

وقد جاء بعده ابن هشام^(١) فروى لنا هذه السيرة مهذبة منقحة بعد تأليف ابن إسحاق بنحو نصف قرن ، بواسطة رجل واحد ، هو زياد البكائي^(٢) . ولم يكن كتاب ابن إسحاق الذي رواه ابن هشام بهذا القدر الذي بين أيدينا اليوم ، فإن ابن هشام تناول جوانب سيرة ابن إسحاق بكثير من التحرير ، والاختصار ، والإضافة ، والنقد أحياناً ، والمعارضة بروايات أخر لغيره من العلماء كذلك . وقد ساق في صدر السيرة بعض منهجه لرواية ذلك الكتاب . ونحن لا نشك مع ذلك أن ابن هشام كان ملتزماً بجانب الأمانة والحرص في رواية كتاب ابن إسحاق ، لم يبدل منه كلمة واحدة ، ولم يزد كلمة لبيان الخطأ أو شرح الغامض أو معارضة الروايات إلا صدرها بقوله « قال ابن هشام » . وأما الاختصار فإنه كان المقصد الأساسي في روايته للسيرة ، فحذف ما كان قبل تاريخ إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، منذ بدء الخليقة ، وكذا حديث أبناء إسماعيل ، والأخبار التي ليست من السيرة في شيء - فيما كان

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري . كان منشؤه بالبصرة . ثم نزل مصر واجتمع به الإمام الشافعي . وتناشدا من أشعار العرب الشيء الكثير . وصنف ابن هشام سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق كتاباً في أنساب حمير وملوكها . وكتاباً في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب . توفي بالقسطنطين سنة ٢١٨ .

(٢) هو الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الملك بن الطفيل البكائي العامري الكوفي . والبكائي نسبة إلى بني البكاء من بني عامر بن صعصعة . قدم زياد إلى بغداد وحدث بها بالمغازي عن محمد بن إسحاق ، وبالفرائض عن محمد بن سالم . ثم رجع إلى الكوفة فمات بها في خلافة هارون سنة ١٨٣ . وكان ابن هشام يقدر هذا الشيخ حق قدره ، فيقول في صدر كتابه « وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره . وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته » .

يراه هو - وحذف الأشعار الكثيرة التي كان يشك في مبلغ روايتها من الصحة .
والمتعقب لأصل السيرة من رواية ابن هشام يلمح في ذلك طابع الحرص
الشديد والأمانة الصارمة ، التي كانت سمة العلماء المسلمين في تلك العصور القديمة .
منزلة سيرة ابن هشام :

ومهما يكن من شيء فإن كتاب ابن إسحاق كان العمدة لقراء السيرة منذ
قديم الزمان إلى يومنا هذا ، ولا تكاد تجد رجلاً أو غل في دراسة سيرة الرسول
إلا وكتاب ابن إسحاق إمامه الأول في ذلك .

وقد عرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد عهيد باسم « سيرة ابن
هشام » لما أنه كان راويها ومهذبها . يقول ابن خلكان : « وابن هشام هذا
هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق . وهذبها
ولخصها ، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس ، والمعروفة بسيرة ابن هشام » .
وقد لقيت هذه السيرة من الدارسين والشارحين عناية صادقة ، شرحها
أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي^(١) (٥٨١) شرحاً مسهباً في كتابه المسمى « الروض
الأنف » .

وجاء بعده أبو ذر الخشني^(٢) ، فتصدى للكتاب فشرح غريبه ، وكتب
شيئاً من النقد في كتابه « شرح السيرة النبوية » الذي نشره الدكتور برونله .
وصنع بدر الدين محمد بن أحمد العيني شرحاً لها سماه « كشف اللثام » في
شرح سيرة ابن هشام « فرغ منه سنة ٨٠٥ .

ومن ناحية أخرى نجد آخرين قد عتوا باختصار السيرة ، ومنهم برهان
الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي ، اختصرها وزاد عليها
بعض ما كان ينقصها في كتاب جعله ثمانية عشر مجلداً ، سماه « الذخيرة » ، في
مختصر السيرة « أتم تأليفه سنة ٦١١ . وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي . وسهيل :
واد بالأندلس من كورة مالقة . عاش حياته في الأندلس إذ ولد بها سنة ٥٠٨ وأقام بمراكش أعواماً
ثلاثة حيث توفي بها سنة ٥٨١ .

(٢) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الجلياني الخشني . نسبة إلى خشين ، وهي قرية بالأندلس ،
وقبيلة من قضاة . ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٦٠٤ .

الرحمن الواسطي ، اختصرها في كتاب سماه « مختصر سيرة ابن هشام » فرغ منه سنة ٧١١ .

وتمن نظمها شعراً أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن سعيد الدميدي الديريني وكانت وفاته سنة ٦٦٣ . وأبو بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفي سنة ٧٩٣ . وقد سمي كتابه « الفتح القريب » في سيرة الحبيب » ، وهو في بضع عشرة ألف بيت .

تهذيب سيرة ابن هشام :

وقد كنت في صدر الشباب أحاول المرة بعد الأخرى أن أقرأ هذا الكتاب الجليل من مبتدئه إلى منتهاه ، فكان يصدني عن ذلك ما كنت أجده في ذلك التأليف من اضطراب واستطراب يكدُّ الذهن ويجلب السآمة ، فلا أقرأ منه إلا أجزاء متناثرة أراها كالرياض في صميم القلاة ، يغريني بقراءتها ما يجتذبنني من جمال القول وجلال الغاية .

والحق أنني كنت أجد في تلاوة السيرة شيئاً مما كنت أجد في تلاوة الكتاب الكريم وحديث الرسول من تعبد صادق وخشوع خاضع . ولعل سرّاً دفيناً كان ينزع بي إلى معاودة تلك التلاوة ، أن والذي رحمه الله كان ممن ألفوا في السيرة ، صنع في ذلك موجزاً سماه « تلخيص الدروس الأولية » ، في السيرة المحمدية » ، وجعله في ثلاثين فصلاً ، وظل ذلك الكتاب دهوراً طويلاً لا يدرس سواه في المعاهد الدينية ، إذ كان من برامج الدراسة فيها درس خاص يسمى « درس السيرة » .

ولكنني مع ذلك لم أوفق لقراءة الكتاب كله ، لما ذكرت من اضطراب التأليف وشيوع الاستطراب . فقاريت السيرة تعترضه فصول طوال في أسماء أسارى بدر ، وأسماء خيل المسلمين ببدر ، وجريدة من حضر ببدر من المسلمين من قریش ومن الأنصار ، ومن استشهد منهم يوم بدر ، ومن قتل به من المشركين ، وما قيل من الشعر في يوم بدر ، وأشباه ذلك من الأمور السردية ، ومن الأشعار المسهية والأنساب المطوّلة ، والاستطرادات اللغوية ، وطائفة من تفسير كتاب الله مما لا يدخل في صميم السيرة وإن كان يحوم حولها . وشي آخر هو السند الذي تصدر به معظم فقار السيرة ، مما ليس له قدر إلا عند الناقدين

من العلماء .

فحاولت في هذا « التهذيب » أن أستخلص لباب هذا التأليف لأقدمه إلى القاريء في ثوب جديد يستسيغ النظر فيه ، ولا تنقطع به السبيل في تلاوته . مع الحرص التام على نص الكتاب ، بحيث يستطيع القاريء أن يقتبس منه ويستشهد به معزواً إلى أصله الأول ، فإني لم أبذل حرفاً واحداً من نص الكتاب ؛ لأنني راعيت فيه أمانة الاداء ، وراعت باطراد أن أنسب إلى ابن هشام ما هوله . بأن أنص على ذلك في صدر كلامه ، أو أجعله وحده في حاشية الكتاب معزواً إليه ، طبقاً لما يقتضيه التأليف . وأما سائر النصوص فهي نصوص ابن إسحاق من رواية ابن هشام . ولم أذكر من الأسناد إلا ما هو ضروري لإقامة النص ، مما رواه ابن إسحاق أو ابن هشام منسوباً إلى قائله .

وقد عانيت أن أضبط تلك النصوص جميعاً ، وأن أفسر منها ما يحتاج إلى توضيح ، معتمداً في ذلك على شراح السيرة ، وكتب الآثار واللغة المعتمدة . وأما بعد فإن التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل . ووصلة صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم .

وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير ، وأنت إذا قرأت الأصل . ولست بمطيقه . اقتضاك هذا من الوقت أشهراً معدودات .

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعاً ، كما أحتسبه فيما قدمت للعلم من مجهود ضئيل . أردت به فيما أردت رضوان الله ورضوان الرسول .

مصر الجديدة في ربيع الثاني ١٣٩٦ . ابريل ١٩٧٦ .

عبد السلام هارون

تہذیب
سیرۃ ابن ہشام

بسم الله الرحمن الرحيم

ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزَّكِيِّ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام :

هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شَيْبَة) بن هاشم (واسم هاشم عمرو) بن عبد مناف (واسم عبد مناف المغيرة) بن قُصَيٍّ (واسم قصي زيد) بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مدركة (واسم مدركة عامر) بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدَّ بن عدنان بن أَدَّ بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يَعْرُب بن يشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزر) بن ناحور بن ساورغ بن راعو بن فالخ بن عير ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن كَمَك بن مَؤشَلَخ بن أَخْنوخ (وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون) بن يَرْد بن مَهْلِيل بن قَيْن بن يانث بن شِيث ابن آدم ﷺ .

قال ابن هشام :

وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن وُلد رسول الله ﷺ من وَلَدِهِ وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ ؛ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر . ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به . وبعض

يسوء بعضهم الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي^(١) بروايته ، ومستقص
إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه ، بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

سياقة النسب من ولد إسماعيل

ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلاً : نابئاً ، وقيدر ،
وأذبل ، وميشا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيمما ، ويطور
ونبش ، وقيدم .

فولد نابت بن إسماعيل يشجب بن نابت ، فولد يشجب يعرب ، فولد
يعرب تيرح ، فولد تيرح ناحور ، فولد ناحور مقوم ، فولد مقوم أدد ، فولد
أدد عدنان .

فبن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل .

فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

فصارت عك في دار اليمن . وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام
فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة . والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن
هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان .

وولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار ، وقضاعة ، وقنص ، وإياد . فأما
قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ، وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما
يزعم نساب معد ، وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

رؤيا ربيعة بن نصر

وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا
هائلة وفضّل بها ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً^(٢) ، ولا منجماً من أهل

(١) هو شيخ ابن هشام وتلميذ ابن إسحاق ، واسمه زياد بن عبد الله بن الطميل البكائي توفي سنة ١٨٣ .
والبكاء : بطن من بني عامر بن صعصعة .

(٢) العائف : الذي يزرع الطير ، يتكهن بأسمائها وأصواتها ومرورها .

مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها . قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطّيح وشقّ ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث إليهما فقدم إليه سطّيح قبل شقّ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . قال : أفعلُ ، رأيت حُمّة ، خرجت من ظُلْمَةٍ ، فوقعت بأرض تَهْمَةٍ ، فأكلتُ منها كلّ ذات جُمجمة^(١) !

فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سطّيح . فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلفُ بما بين الحرّتين من حَنَش ، لتَهْطُن أرضكم الحبش . فليملكُنَّ ما بين أبيّين إلى جُرش^(٢) !

فقال له الملك : وأبيك يا سطّيح ، إن هذا لنا لغائظٌ موجه . فتى هو كائن أوّ في زماني هذا أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من سِتِّين أو سبعين . يمضين من السنين ! قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاريين .

قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرم بن ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن . فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبيُّ زكي . يأتيه الوحي من العليّ ! قال : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر !

(١) الحممة : القطعة من النار . تهمة : منخفضة .

(٢) أبيّين وجرش : بلدان في اليمن .

قال : وهل للدهر من آخر ؟
قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يَسعد فيه المحسنون ،
ويشقى فيه المسيئون .

قال : أحق ما تخبرني ؟
قال : نعم ، والشَّق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتك لحق .
ثم قدم عليه شقُّ فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح لينظر
أيتفقان أم يختلفان .

قال : نعم ، رأيت حُممة ، خرجت من ظلمة ، ف وقعت بين روضة وأكمة ،
أكلت منها كل ذات نسمة .

فلما قال له ذلك عرف أنَّهما قد اتَّفقا ، وأن قولهما واحد ، إلا أنَّ سطيحاً
قال : « وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » وقال شق :
« وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً فما عندك في تأويلها ؟
قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ،
فيلعبنَّ على كلِّ طفلة البنان ، وليلكنَّ ما بين أبين إلى نجران !
فقال له الملك : وأبيك يا شقُّ إنَّ هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن ؟
أي زماني أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم
أشدَّ الهوان !

قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدني ولا مُدني^(١) ، يخرج
عليهم من بيت ذي يزن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي
بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل .
قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تُجزى فيه الولاة ، ويُدعى فيه من السماء
بدعوات ، ويسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ،
يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات !

(١) المدني : المقصر في الأمور . أو من يتبع خسيها .

قال : أحقُّ ما تقول ؟ قال : إي وربِّ السَّاءِ والأَرْضِ . بما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحقُّ ما فيه أمض^(١) .
فوقع في نفس ربيعة ما قالوا . فجهَّز بيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ . فأسكنهم الحيرة .

استيلاء أبي كَرَبِ تَبانٍ أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حِسان بن تبار أسعد .
أبي كَرَبِ .
وكان أبوه تبار أسعد قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فلم يَهْجِ أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له قُتِلَ غيلة . فقدمها مرة أخرى وهو مُجمِع لإخراجها واستئصال أهلها ، فجمع له هذا الحيُّ من الأنصار . ورئيسهم عمرو بن طَلَّة ، فاقتتلوا . فترعُمُ الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونه بالليل^(٢) فيعجبه ذلك منهم ويقول : والله إن قومنا لكرام !
فبينما تَبَعُ على ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود عالمان راسخان في العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيُّها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن آبيت إلا ما تريد حيلَ بينك وبينها ، ولم تأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : لم ذلك ؟ فقال : هي مُهاجِرُ نبيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزَّمان تكون داره وقراه !
فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علماً ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما .

وكان تَبَعُ^(٣) وقومه أصحاب أوثان يعبدونها . فتوجّه إلى مكّة وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان وأمَج^(٤) أتاه نفرٌ من هُذَيْل بن مدركة

(١) أي ما فيه شك أو باطل .

(٢) قرى الضيف بقرية : أضافه وأطعمه .

(٣) هو تبار أسعد والد أبي كَرَبِ .

(٤) أمَج : بلد من أعراض المدينة .

فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مالٍ دائرٍ أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبد أهله . ويصلُّون عنده !

وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده .

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتَّخذ في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً ! قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قال : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنكما من ذلك ؟ فالأ : أما والله إنه كبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله . وبالدماء التي يهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك !

فعرف نصحبهما وصدق حديثهما ، فقرب النقر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قديم مكة ، فطاف بالبيت ونحَرَ عنده ، وحلق رأسه وأقام عمكة ستة أيام ينحربها للناس ويُطعم أهلها ، ويسقيهم العسل . وأري في المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخصف^(١) ، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل^(٢) .

وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، وألا يُقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاً^(٣) . وجعل له باباً ومفتاحاً . ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده والحبرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

وكانت نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه : تأكل الظالم ولا تُضرُّ المظلوم .

(١) الخصف : جمع خصفة ، وهو كساء غليظ جدا .

(٢) الملاء : جمع ملاء . والوصائل : ثياب يمانية .

(٣) المثلاة : خرقة الحافض .

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما . حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه : فخرجت النار إليهم . فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها . فلذمرهم^(١) من حضرهم من الناس وأمرهم بالصبر لها . فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تَعْرِق جباههما لم تضرهما ، فأصفت^(٢) عند ذلك حمير على دينه .

فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

فلما ملك ابنه حسان بن تَبَانٍ أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا بأرض البحرين كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم . فكلسوا أخاً له يقال له عمرو - وكان معه في جيشه - فقال له : اقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا . فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك . فلم يقبل منه ، فقال ذو رعين :

ألا من يشتري سهراً بنسوم سعيدٌ من بيتٍ قريرٍ عير
فأما حميرٌ غدرت وخانت فمعدرةُ الإلهِ لذي رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها . ثم أتى بها عمراً فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك . ففعل . ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه إلى اليمن . فلما نزل عمرو بن تَبَانٍ اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر . فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة^(٣) من الكهَّان والعرفَّان عما به . فقال له قائلٌ منهم : إنَّه والله ما قتل رجلٌ قطُّ أخاه أو ذا رحمه بغياً . على مثل ما قتلت أخاك عليه . إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر . فلماً قيل له ذلك جعل يقتل كلَّ من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن . حتى خلص إلى ذي رعين . فقال له ذو رعين : إنَّ لي عندك براءة . فقال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعتُ إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان ؛ فتركه ورأى أنه قد نصحه .

(١) دمره : لأمه وحضه .

(٢) أصفقتوا : أجمعوا .

(٣) الحزاة : جمع حاز ، وهو الذي يزجر الطير ويستدل بأصواتها ومرورها وأسمائها .

وهلك عمرو . ففرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .
فوثب عليهم رجلٌ من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له : « لَخْنِيعَة
يُنُوفُ ذُو شَنَاتِر » . فقتل خيارهم وعبثَ ببيوت أهل المملكة منهم .
وكان لَخْنِيعَة امرأة فاسقاً يعمل عمل قوم لوط . فبعث إلى زُرْعَة ذِي نَوَاسِ
ابن ثُبَّانِ أَسْعَد ، أَخِي حَسَّان - وكان صَبِيّاً صغيراً حين قُتِلَ حَسَّان ، ثم شبَّ
غلاماً وسيماً ذا هيئة وعقل - فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً
حديداً لطيفاً . فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه . فلما خلا معه وثب إليه . فوثبته
ذو نَوَاسِ فوجأه^(١) حتى قتله . ثم خرج على الناس فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا
غيرك . إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

فلكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن . فكان آخر ملوك حمير . وهو
صاحب الأَخْدُودِ ، فأقام في ملكه زماناً .

وكان بنجران^(٢) بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام . أهلٌ
فضل واستقامة . لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر . فسار إليهم ذو نَوَاسِ
بجنوده فدعاهم إلى اليهودية . وخيرهم بين ذلك والقتل . فخذلهم الأَخْدُودُ^(٣) .
فحرق من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ومثل بهم . حتى قتل منهم قريباً من
عشرين ألفاً .

ففي ذِي نَوَاسِ ذلك وجُنْدُه أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : « قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ » النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ » إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ » وَهُمْ عَلَى مَا
يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .
ويقال : كان فيمن قتل ذو نَوَاسِ عبد الله بن الثامر . رأسهم وإمامهم .

غلبة الحبشة على اليمن

وأقلت منهم رجلٌ من سبأ يقال له « دَوْسُ ذُو ثُعْلُبَان » على فرسٍ له .
فسلك الرمل فأعجزهم : فضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم

(١) وجأه : ضربه بالسكين ونحوها .

(٢) نجران : مخالف من مخاليف اليمن .

(٣) الأَخْدُود : حفرة مستطيلة غامضة في الأرض .

فاستنصره على ذي نواس وجنوده ، فأخبره بما بلغَ منهم . فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكنني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين . وهو أقرب إلى بلادك . وكتب إليه يأمره بنصره . والطلب بثأره . فقدم دوس^(١) على النجاشي بكتاب قيصر . فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط . ومعه في جنده « أبرهة الأشرم » . فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان . وسار إليه ذو نواس في حِمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلمّا التقوا اتهم ذو نواس وأصحابه . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر . ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحضاح البحر^(٢) حتى أفضى به إلى غمره^(٣) فأدخله فيه . وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن فملكها .

نزاع أرياط وأبرهة

فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك . ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز إلى كل واحدٍ منهما طائفة منهم ، ثم ثار أحدهما إلى الآخر ، فلمّا تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ؛ فابرز^(١) إليّ وأبرز إليك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده . فأرسل إليه أرياط : أنصفت . فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً ، وكان ذا دين في النصرانية . وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً ، وفي يده حربة له . وخلف أبرهة غلام له يقال له « عتودة » يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه^(٢) فوقعت الحربة على جهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه . وعينه وشفته . فبذلك سمى « أبرهة الأشرم » . وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله . وانصرف جند أرياط إلى أبرهة . فاجتمعت عليه الحبشة باليمن .

(١) الضحضاح : الماء البير الذي لا عرق فيه .

(٢) الغمر : الماء الكثير يغرق فيه .

(٣) اليافوخ : وسط الرأس .

قصة أصحاب الفيل

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(١) بصنعاء ، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثُلهَا في زمانها بشيءٍ من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيتُ لك أيُّها الملك ، كنيسةً لم يُبْنَ مثُلهَا للملكِ كان قبلك ، ولستُ بمنتهٍ حتى أَصْرَفَ إليها حجَّ العرب ! فلما تحدَّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النسأة^(٢) فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعدها فيها^(٣) ، ثم خرج فلحق بأرضه .

فأخبر بذلك أبرهة فقال : مَنْ صَنَعَ هذا ؟ فقليل له : صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجَّ العرب إليه بمكَّة ، لما سمع قولك « أَصْرَفَ إليها حجَّ العرب » غضب فجاء فقعدها فيها ، أي إنها ليست لذلك بأهل .

فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتَهَيَّأت وتجهَّزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العربُ فأعظموه وفطَّعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيتَ الله الحرام .

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له : « ذو نَفَر » ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام . وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله . فهزِمَ ذو نَفَرٍ وأصحابه ، وأخذ له ذو نَفَرٍ فأتى به أسيراً .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له . حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيْل بنُ حَبِيب الخثعمي في قبيلتي خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزِمه أبرهة ، وأخذ له نُفَيْل أسيراً . فخلَّى سبيله

(١) هي اسم الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب .

(٢) النسأة : جمع ناسئ . وهم الذين كانوا ينسئون الشهور . أي يؤخرونها . كانوا إذا صدروا من مِى يقوم رجل منهم من كثانة فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لي قضاء ! فيقولون : صدقت . أنسنا شهرا ، أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر . لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم كان من الغارة . فيحل لهم المحرم . فذلك الإنساء .

(٣) أي أحدث .

وخرج معه يدُّه . حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب . في رجال من ثقيف . فقالوا له : أيها الملك . إنما نحن عبيدك . سامعون لك مطيعون . ليس عندنا لك خلاف . وليس بيتنا هذا الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة . ونحن نبعث معك من يدُّك عليه . فجاوز عنهم . فبعثوا معه « أبا رغال » يدُّه على الطريق إلى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس^(١) . فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك . فرجمت قبره العرب . فهو قبره الذي يرجم الناس بالمغمس .

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحشّة يقال له « الأسود بن مفسود » على خيل له حتى انتهى إلى مكة . فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم . فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم . وهو يومئذ كبير قريش وسيدّها . فهزمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث أبرهة حنّاطة الحميريّ إلى مكة فقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها . ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت . فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم . فإن هو لم يردّ حربي فأتني به .

فلما دخل حنّاطة مكة سألت عن سيد قريش وشريفها . فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام . وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة . وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حنّاطة : فانطلق معي إليه . فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن « ذي نحر » . وكان له صديقاً . حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له : يا ذا نحر . هل عندك من غنّاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نحر : وما غنّاء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً . ما كان عندي غنّاء في شيء مما نزل بك . إلا أن أنيساً

(١) المغمس . موضع قرب مكة في طريق الطائف .

سائس الفيل صديقٌ لي . وسأرسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك .
 وأسأله أن يستأذن لك على الملك ^{بالحج} فلكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير
 إن قدر على ذلك . فقال : حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن
 عبد المطلب سيد قريش . وصاحب عير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش
 في رؤوس الجبال . وقد أصاب له الملك مائتي بعير . فاستأذن له عليه وأنفعه عنده
 بما استطعت فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن
 عليك . وهو صاحب عير مكة ^(١) ، وهو يطعم الناس في السهل ، والوحوش
 في رؤوس الجبال . فأذن له عليك فليكلّمك في حاجته . فأذن له أبرهة .

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجلّه
 وأعظمه ، وأكرمه أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير
 ملكه . فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه .
 ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك . فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتي أن
 يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له :
 قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلّستني : أتكلّمني
 في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمه
 لا تكلّمني فيه ؟! قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت رباً
 سيمنه ! قال : ما كان ليمنع مني ! قال : أنت وذلك .

وردّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، وانصرف عبد المطلب
 إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شعف الجبال
 والشعاب ^(٢) ، تخوفاً عليهم من معرة الجيش ^(٣) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة
 باب الكعبة ، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة
 وجنده . فقال عبد المطلب ، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة :

(١) العير . الكسر . قافلة التجارة .

(٢) التحرر . التسع والتحصن . شعف الجبال : رؤوسها . الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٣) معرة الجيش . شدته .

لا هُمَّ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنٌ جَلَالُكَ^(١)
 لا يَغْلِبُنْ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوًا مِحَالُكَ^(٢)
 إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقَبْلَ لَمَنَّا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة . وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفِ الجبال . فحزروا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة . وهياً فيه . وعبى جيشه . وكان اسم الفيل « محموداً » . وأبرهة يجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك أو ارجع راشداً من حيث جئت . فإنك في بلد الله الحرام ! ثم أرسل أذنه فبرك الفيل . وخرج نفيل يشد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى . فضربوا رأسه بالطبرزين^(٣) . فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبرغوه بها فأبى^(٤) . فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(٥) . مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجرٌ في منقاره . وحجران في رجليه . أمثال الحمص والعدس . لا تصيب منهم أحداً إلا هلك . ليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتبدرون الطريق الذي منه جاءوا . يتساقطون بكل طريق . ويهلكون بكل مهلك . على كل مهمل . وأصيب أبرهة في جسده فمات .

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان ممّا يعدُّ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله . ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة . لبقاء أمرهم ومدتهم . فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

(١) الحلال : جمع حلة . بالكسر . وهم القوم المحتمون ويروى : « رحالك » .

(٢) المحال : المكس : الشدة والقدرة .

(٣) الطبرزين : آلة معققة من حديد .

(٤) المحجن : عصا معرحة قد جعل فيها حديد . والمراق : أسفل البطن . رغو : أدمره .

(٥) الخطاطيف : جمع حطاف . وهو طائر أسود والبلسان : الرزازير

فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿١٠﴾ .

ذكر ولد نزار بن معد

فولَدَ (نزار) بن معدٍ ثلاثة نفر^(١) : مضرٌ ، وربيعة ، وأنمار .
 فولد (مضر) رجلين : إلياس ، وعيلان .
 فولد (إلياس) ثلاثة نفر : مدركة ، وطابخة ، وقمعة .
 فولد (مدركة) رجلين : خزيمَةُ ، وهذيل .
 فولد (خزيمَةُ) أربعة نفر : كنانة ، وأسَد ، وأسدة ، والهُون .
 فولد (كنانة) أربعة نفر : النضر^(٢) ، ومالك ، وعبد مناة ، ومِلْكان .
 فولد (النضر) رجلين : مالك ، ويحلد .
 فولد (مالك) بن النضر فهِرَ بن مالك .
 فولد (فِهر) أربعة نفر : غالب ، ومحارب ، والحارث ، وأسَد .
 فولد (غالب) رجلين : لُؤيٌّ ، وتيم .
 فولد (لؤي) أربعة نفر : كعب ، وعامر ، وسامة ، وعوف .
 فولد (كعب) ثلاثة نفر : مرة ، وعديّ ، وهُصَيص .
 فولد (مُرّة) ثلاثة نفر : كلاب ، وتيم ، ويَقْظَة .
 فولد (كلاب) رجلين : قُصَيٌّ ، وزُهرَة .
 فولد (قُصَيٌّ) أربعة نفر : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العُزَّى ،
 وعبد قُصَيٍّ .
 فولد (عبد مناف) أربعة نفر : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام :

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة : العباس ، وحمزة ،

(١) زاد ابن هشام رابعاً . هو إياد بن نزار .

(٢) قال ابن هشام : النضر قرشي ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي .
 ويقال فِهر بن مالك هو قرشي .

و (عبد الله) . وأبا طالب . والزبير . والحارث . وحجلاً . والمقوم . وضرازا .
وأبا حُب واسمه عبد العزى . وصفية . وأم حكيم البيضاء . وعاتكة . وأميمة .
وأروى . وبرّة .

والدا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ . سيد ولد آدم . محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب . صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله .
وأُمّه آمنّة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .
وأُمّها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك النضر .
فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً . وأفضلهم نسباً . من قبل أبيه
وأُمّه . ﷺ . وشرف وكرم . ومجدّ وعظم .

حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر^(١) إذ أتى فأمر بحفر زمزم .
قال عبد المطلب :
إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة . قلت : وما طيبة ؟
ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فمنت فيه . فجاءني فقال :
احفر المذنونة . فقلت : وما المذنونة ؟ ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى
مضجعي فمنت فيه . فجاءني فقال : احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال :
لا تُنزف أبداً ولا تُدَمَّ^(٢) . تسقي الحجيج الأعظم . وهي بين الفَرث والدم^(٣) .

(١) الحجر : حجر الكعبة . وهو ما تركت قريش في نائها من أساس إبراهيم عليه السلام

(٢) لا تدَم : لا توجد قليلة الماء .

(٣) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية المل وقرّة العراب . ولم ير الفَرث والدم .

عبد نَقَرَةَ العَرَابِ الْأَعَصِمِ^(١) .
 فلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا وَذَلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا . وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدِّقَ غَدَا بِمَعْوَلِهِ
 وَمَعَهُ ابْنَةُ الْحَارِثِ . لَيْسَ لَهُ يَوْمِئِذٍ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، فَحَفَرَ فِيهَا . فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ
 الطَّيِّ^(٢) كَبَّرَ . فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ . فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا : يَا عَبْدَ
 الْمَطْلَبِ . إِنَّا بَشَرْنَا أَبِينَا إِسْمَاعِيلَ . وَإِنَّا لَنَا فِيهَا حَقًّا ، فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا . قَالَ :
 مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . إِن هَذَا الْأَمْرُ قَدْ خُصِّصْتُ بِهِ دُونَكُمْ . فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا فَإِنَّا غَيْرُ
 تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا . قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ شَيْءٍ أَحَاكُمْكُمْ إِلَيْهِ .
 قَالُوا : كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ . قَالَ : نَعَمْ - وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ^(٣) - فَرَكِبَ
 عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ نَفَرٌ ،
 وَالْأَرْضُ إِذْ ذَاكَ مَفَاوِزٌ ، فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ فِي مَاءِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَصْحَابِهِ ؛ فَظَمُّوا حَتَّى أَيقَنُوا بِالْهَلَكَةِ . فَاسْتَسْقَوْا
 مِنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : إِنَّا بِمَفَازَةٍ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى
 أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ . فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ
 وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبِعَ لِرَأْيِكَ ، فَمَرْنَا بِمَا شِئْتَ . قَالَ .
 فَإِنِّي أَرَى أَنَّ يَحْفَرُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حَفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بَكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ؛ فَكَلِمَا
 مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حَفْرَتِهِ ثُمَّ وَارَوْهُ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا .
 فَضِيعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضِيعَةِ رَكَبٍ جَمِيعًا . قَالُوا : نَعَمْ مَا أَمَرْتَ بِهِ .
 فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حَفْرَتَهُ ، ثُمَّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطْشًا . ثُمَّ إِنَّ
 عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنِ الْإِقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ ، لَا نَضْرِبُ فِي
 الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا لِعَجْزٍ . فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِيَعْضِ الْبِلَادِ ؛ ارْتَحَلُوا .
 فَارْتَحَلُوا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا ، وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ ،
 تَقْدِمُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا ، فَلَمَّا انْبَعَثَتْ بِهِ أَنْصَجَتْ مِنْ تَحْتِ خَفِّهَا

فِيمَا هُوَ كَذَلِكَ فَرَّتْ بَقْرَةٌ مِنْ حَازِرِهَا . فَلَمْ يَدْرِكْهَا حَتَّى دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَنَحَرَهَا فِي
 الْمَوْضِعِ الَّذِي رَسَمَ . فَسَالَ هُنَاكَ الْفَرْتُ وَالدَّمُ . فَحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رَسَمَ لَهُ .

(١) 'الْأَعَصِمِ' . الَّذِي فِي جَانِبِهِ بِيَاضٌ .

(٢) الطَّيِّ : الْحِجَارَةُ تَطْوِي بِهَا الْبِئْرُ .

(٣) أَيِ مَا ارْتَمَعَ مِنْ أَرْضِهَا

عينٌ من ماء عذب ، فكَبَّرَ عبد المطلب وكَبَّرَ أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم . ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلم إلى الماء فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . فجاءوا وشربوا واستقوا ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً . إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقائك راشداً ! فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلَّوا بينه وبينها .

نذر عبد المطلب ذبح ولده

وكان عبد المطلب بن هاشم ، قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم ، لئن وُلِدَ له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحاً ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثنوني . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على « هُبَل ^(١) » وكان هُبَلٌ على بئر في جوف الكعبة . وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قِدْح منها فيه كتاب . قِدْح فيه « العَقْل » إذا اختلفوا في العَقْل ^(٢) مَنْ يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج حمْلُه . وقِدْح فيه « نَعَمْ » للأمر إذا أرادوه ، يُضرب به في القداح . وقِدْح فيه « لا » ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح . فإن خرج ذلك القِدْحُ لم يفعلوا ذلك الأمر . وقِدْح فيه « مِنْكُمْ » ، وقِدْح فيه « مُلْصَقٌ » ، وقِدْح فيه « من غيركم » ، وقِدْح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يخنثوا غلاماً أو يَنْكِحوا مَنَكْحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكُّوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبَل ، وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ، ثم قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما

(١) اسم صم .

(٢) العقل : الدية .

يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب . فإن خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطاً^(١) ؛ وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ؛ وإن خرج عليه « مُلصَقٌ » كان على منزلة فيهم ، لا نسب له ولا حلف ؛ وإن خرج فيه شيء مما يعملون به « نعم » عملوا به ؛ وإن خرج « لا » أخرّوه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه . وأخبره بنذره الذي نذر ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه ، وكان عبد الله أصغر بني أبيه^(٢) : وكان أحبّ ولد عبد المطلب إليه ، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى^(٣) .

فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أندية فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه فقالت له قريش وبنيه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا ! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فدّيناه ! وقالت له قريش وبنيه : لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز ؛ فإنّ به عرافة لها تابع ، فسلكها ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

فانطلقوا حتى قدّموا المدينة فوجدوها بخير ، فركبوا حتى جاؤها فسألوها ، وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذره فيه فقالت لهم :

(١) وسيط : خالص السب .

(٢) أي حين أراد نحره . وإلا فإن حمزة كان أصغر منه . والعباس كان أصغر منه . والعباس كان كذلك أصغر من حمزة .

(٣) أشوى : أبقى . ويقال : أشوى السهم . إذا لم يصب المقتل .

ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر . كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح . فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانهروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدّموا مكّة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله . ثم قدّموا عبد الله وعشرّاً من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعو الله عزّ وجلّ . ثم ضربوا . فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل أربعين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل ستين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا . عشرّاً فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل تسعين . وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل مائة ، وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على « الإبل » . فقالت قريشٌ ومن حضرَ : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب !

فرعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات . فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدح على الإبل ؛ ثم عادوا الثانيةً وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القدح على الإبل ؛ ثم عادوا الثالثةً وعبد المطلب قائم يدعو الله . فضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يُصدُّ عنها إنسانٌ ولا يمنع .

ذكر ما قيل لأمنة عند حملها برسول الله ﷺ

ويزعمون - فيما يتحدث الناس ، والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث :

أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ! ثم سميه محمداً^(١)

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأم رسول الله ﷺ حامل به .

ولادة رسول الله ﷺ

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول . عام الفيل^(٢) .

عن قيس بن معرمة قال : ولدت أنا ورسول الله عام الفيل ، فنحن لدتان^(٣) . عن حسان بن ثابت قال :

والله إني لأغلام يقعة^(٤) ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه^(٥) ييثر ب : يا معشر يهود !

(١) لم يسم بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة . طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر رسول الله وبقر زمانه . وأنه يبعث من الحجاز . أن يكون ولد لهم . وهم . محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق ، ومحمد بن أبيحمة بن الجلاح ، ومحمد بن حمران بن ربيعة . كان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممسكين بالكتاب . فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً . فذكر كل منهم إن ولده له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

(٢) وقيل كان قبل مولده برمضان .

(٣) لدتان : مثني لدة . وهو ترب الإنسان يولد معه .

(٤) أي قري قد طال قده .

(٥) الأطمه . بفتحين . الحصن .

حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب : إنه قد ولد لك غلام فأتته فانظر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحادثته بما رأت حين حملت به . وما قيل لها فيه ، وما أمرت به أن تسميه .

فیزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ المراضع . فاسترضع له امرأة من سعد بن بكر ، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب .

حديث حليلة

كانت حليلة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير^(١) ترضعه في نسوة من بني سعد ، تلمس الرضعا^(٢) ، وذلك في سنة شهباء^(٣) لم تبق لنا شيئاً . فخرجت على أتان^(٤) لي قمرأ^(٥) معنا شارف لنا^(٦) ، والله ما تبض بقطرة^(٧) ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع . ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج . فخرجت على أتاني ، فلقد أدمت^(٨) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً^(٩) حتى قدمنا مكة نلمس الرضعا ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجدّه ! فكنا نكرهه لذلك . فما بقيت امرأة كانت معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري .

(١) اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى .

(٢) جمع رضيع .

(٣) الشهباء : المجذبة البيضاء لا يرى فيها خضرة .

(٤) الأتان : الحمارة . القمرأ : التي يميل لونها إلى الخضرة .

(٥) الشارف : الناقة المسنة .

(٦) ما تبض بقطرة ، أي ما ترشح .

(٧) أي أطلت عليهم المسافة . لتمهلهم عليها ، مأخوذ من التهيء الدائم .

(٨) العجف : الخزال .

فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنْتَظَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي ^(١) : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخِذْ رَضِيعًا ، وَاللَّهِ لَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمَ فَلَا أَخْذَهُ ! قَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَه !

قَالَتْ : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثِدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ ؛ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ . وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّهَا لِحَافِلٍ ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشَبِيعًا ، فَبَتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ !

قَالَتْ : يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةَ مَبَارَكَةً ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا رَجُو ذَلِكَ .

ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي ، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي ، فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتُ بِالرُّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حَمْرِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي : يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوَيْبٍ ، وَيُحْكُ أَرْبَعِي عَلَيْنَا ^(٢) ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟! فَأَقُولُ لَهُنَّ : بَلَى وَاللَّهِ ، إِنَّهَا لِهَيَّ ! فَيَقْلُنَ : وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا !

ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا ؛ فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شَبَاعًا لُبْنًا ، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعِيَانِهِمْ : وَيَلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بَنَاتِ أَبِي ذُوَيْبٍ . فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شَبَاعًا لُبْنًا . فَلَمْ نَزَلْ نَعْرِفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلَتُهُ ، وَكَانَ يَشُبُّ شَبَابًا لَا يَشَبُّهُ الْعِلْمَانُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ سِنْتَيْهِ حَتَّى كَانَ غَلَامًا جَفْرًا ^(٣) ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مَكْنَاهُ فِينَا ؛ لَمَّا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا : لَوْ تَرَكْتِ بَنِيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ وَبَأْمَكَّةَ .

(١) تعني زوجها الحارث بن عبد العزى .

(٢) أي أقيمي وانتظري .

(٣) الحفر . العليظ الشديد .

فلم نزل بها حتى ردتہ معنا .

فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدّمنا به بأشهر مع أخيه لقي بهم^(١) لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه ، فهما يسوطانه^(٢) ! فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدته قائماً مُتّعاً وجهه . فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض . فأضجعاني وشقّا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو ؟

فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه : يا حليلة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به . فاحتملناه ، فقلّمنا به على أمّه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئر^(٣) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ . وتخوّفت الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحيين . قالت : ما هذا شأنك فاصدّقني خبرك . فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوّفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن ليبيّ لشأنا . أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى ؛ قالت : رأيت حين حملت به أنّه خرج مني نور أضواء قصور بصرى^(٤) من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ عليّ ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنّه لو اضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك وانطلقي راشدة .

حديث شق الصدر

قال ابن إسحاق :

حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم . ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي :

(١) البهم : الصغار من الغنم . الواحدة بهمة .

(٢) يسوطانه : يضر بان بعضه ببعض ويحركاه .

(٣) الظئر : المرأة ترضع ولد غيرها .

(٤) بصرى . من أعمال دمشق .

أن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى أخِي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرجَ منها نورٌ أضاء لها قصورَ الشام ، واسترُضعتُ في بني سعد بن بكر .

فبينما أنا مع أخ لي خلفَ بيوتنا نرعى بهما لنا ، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيض ، بطستٍ من ذهبٍ مملوءةٌ ثلجاً ، ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي فشقا ، فاستخرجا منه عَقَّةٌ سوداء فطرحاها ، ثم غَسَلَا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أُنْقِيَاه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم . ثم قال : زنه بألفٍ من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم . فقال : دعه ؛ فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

كفالة جده له

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنه بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كِلاَةِ الله وحفظه ، ينبتة الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته . فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عديّ بن النجار تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فماتت وهي راجعةٌ به إلى مكة .

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم . وكان يُوضَع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له . فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفَرٌ^(١) حتى يجلسَ عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لشأناً ! ثم يجلسه معة على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

(١) الجفر : الغليظ الشديد .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانين سنين هلك عبد المطلب ، وذلك بعد الفيل
بثمانين سنين .

كفالة عمه له

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب .
وإن رجلاً من لَهَب^(١) كان عاتفاً^(٢) ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال
قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . فأتى به أبو طالب وهو غلامٌ مع
من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال :
الغلام ، عليّ به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه . فجعل يقول
ويلكم ! ردوا عليّ الغلام الذي رأيتُ آنفاً ، فوالله ليكونن له شأن !

قصة بحيرا

ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل وأجمعَ
المسير صبَّ به^(٣) رسول الله ﷺ ، فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجنَّ
به معي ، ولا يفارقي ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصرى وبها راهبٌ يقال له « بحيرا »
في صومعةٍ له ، وكان إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطُّ
راهبٌ إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ،
فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبل ذلك فلا يكلمهم
ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم
طعاماً كثيراً .

وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى
رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامةٌ تظله من
بين القوم ، ثم أقبلوا فترلوا في ظل شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين

(١) سولهب : قوم مشهورون بالعبادة .

(٢) العائف : الذي يتفرس في خلقة الإنسان فيحبر بما تقول إليه .

(٣) يُ مال إليه . ويروى « ضبَّ به » أي تعلق .

أظلت الشجرة . وتَهَصَّرت (١) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلّ تحتها . فلما رأى ذلك بحيراً نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أُحِبُّ أن تحضروا كلُّكم ، صغيركم وكبيركم . وعبدكم وحرُّكم .

فقال له رجلٌ منهم : والله يا بحيرا إنَّ لك لشأناً اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا : صدقت ، كان ما تقول . ولكنكم ضيف . وقد أُحِببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم .

فاجتمعوا إليه وتحلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحدثه سنّه ، في رحال القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا في القوم لم يرَ الصفة التي يعرف ويَجِدُ عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتحلَّفن أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرا ، ما تحلَّفَ عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنّاً ، فتحلَّفَ في رحالهم . فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضُر هذا الطعامَ معكم . فقال رجلٌ من قريشٍ مع القوم : واللّاتِ والعزّى ، إنَّ كان للوُمُ بنا أن يتحلَّفَ ابنُ عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا ! ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك بحقّ اللات والعزّى إلّا ما أخبرتني عما أسألك عنه - وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسألني باللات والعزّى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ بُغْضهما ! فقال له بحيرا : فبالله إلّا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له : سلني ما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأمره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

(١) تَهَصَّرت : مالت . وتدلّت .

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني : قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً . قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبلى به . قال : صدقت ، فارجعْ بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليعُذَّبه شرّاً ، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ! فأسرعَ به إلى بلاده .

حرب الفجار

هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة^(١) وإنما سمي يومَ الفجار بما استحلَّ هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان ، فيه من المحارم بينهم . وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية ، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

تزويج خديجة رضي الله عنها

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرفٍ ومال . تستأجر الرجال في مالها وتُضاربُهم إياه^(٢) بشيء يجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعِظَم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثتْ إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضلَ ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلامٍ لها يقال له ميسرة . فقبله رسولُ الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها ميسرة حتى قدم الشام .

فتزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب^(٣) من

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار . أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول الله ﷺ : « كنت أنبل على أعمامي » أي أرد عليهم بل عدوهم إذا رموهم بها . وهذا الفجار هو الفجار الأنخير . وهو فجار البراض . وقبله فجارات ثلاث : أولها بين كنانة وهوازن . والثاني بين قريش وهوازن ، والثالث بين كنانة وهوازن . وتفصيلها في العقد الفريد . والأغاني .

(٢) المضاربة : أن تعطي مالا لغيرك يتجر فيه . فيكون له سهم معلوم من الربح .

(٣) اسم هذا الراهب نسطورا .

الرهبان . فاطَّلَ الرهاب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم . فقال له الرهاب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيّ !

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحرُّ يرى ملكين يَظْلَانِه من الشمس وهو يسيرُ على بعيره . فلما قَدِم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعِف^(١) أو قريباً .

وحدثها ميسرة عن قول الرهاب وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه . وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عم ، إني قد رغبت فيك لقربتك وسيطتك^(٢) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك . ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهنّ شرفاً ، وأكثرهنّ مالاً ، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد^(٣) فخطبها إليه فتزوجها^(٤) . فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم ، إلا إبراهيم^(٥) ، القاسم ، وبه كان يكنّى ، والطاهر والطيب^(٦) ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

فأما القاسم ، والطيب والطاهر ، فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهنّ أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ .

(١) أضعف : صار مضاعفاً .

(٢) السلطة : الشرف ، من الوسط . كالعدة من الوعد .

(٣) هو خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

(٤) أسدقها ﷺ عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

(٥) أمه مارية القبطية . من « حنف » من كِبَرَةِ أَنْصَنَا من صعيد مصر ، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط .

(٦) الطاهر والطيب لقبان له ، واسمه « عبد الله » .

حديث ورقة بن نوفل

وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظْلانهُ ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ يُنتظرُ ، هذا زمانه !

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتّى متى ؟ وقال في ذلك :
لجِجتُ وكنتُ في الذّكرى لجوجاً لهم طالما بعث النّشيجا
ووصف من خديجة بعد وصفٍ فقد طال انتظاري يا خديجا
بطن المكتّين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجاً^(١)
بما خبرتنا من قول قسّ من الرّهبان أكره أن أعوجا
بأنّ محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البريّة أن تموجا
فيلقى من يُحاربُه خساراً ويلقى من يساله فُلوجاً^(٢)
فياليتني إذا ما كان ذا كم شهدتُ فكنتُ أولكم ولوجا

بنيان الكعبة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خميساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهيمون بذلك ليسقّفوها ، ويهايون هدمها ، وإنما كانت رَضْماً^(٣) فوق القامة .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم ، فتحطّمت فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها . وكان بمكة رجل قبضيّ نجار ، فهاهم في أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح

(١) ثني مكة . لأن لها بطاحا وظواهر .

(٢) الفلوج : النصر والغلبة .

(٣) الرضم : حجارة منضودة من غير ملاط .

فيها ما يُهدى لها كلَّ يوم ، فتتشرَّق^(١) على جدار الكعبة . وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزَّأَتْ وكَشَّت^(٢) وفتحت فاهها . فبينما هي ذات يوم تتشرَّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائراً فاختطفها فذهَّبَ بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا ، عندنا عاملٌ رقيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم ، فتناول من الكعبة حجراً فوثبَ من يده حتى رجَعَ إلى موضعه ، فقال : يا معشرَ قريش ، لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهرٌ بغيٍّ ، ولا بيع ربا ، ولا مَظْلَمَةٌ أحدٍ من الناس .

ثم إن قريشاً جزَّأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزُهرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وسهم ، وشقَّ الحجر لبني عبد الدار ابن قصي ولبنى أسد بن عبد العزي ، ولبنى عدي بن كعب .

ثم إن الناس هابوا هَدَمَها وفرَّقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدوكم في هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم نزع^(٣) ! اللهم لا نريد إلا الخير ! ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربَّص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر . فإن أُصيبَ لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله صُنْعَنَا فهدمنا .

فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناسُ معه حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضوا إلى حجارة خُضِرَ كالأُسْفَهة^(٤) آخذُ بعضها بعضاً .

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها حتى بلغَ البناءُ موضعَ الركن^(٥) فاختصموا فيه ، كل قبيلة

(١) أي تبرز للشمس .

(٢) احزَّأَتْ : رفعت رأسها . وكشت : صوتت باحتكاك جلدِها بعصه ببعض .

(٣) لم نزع : لم نحل عن ديك .

(٤) جمع سنام ، وهو أعلى ظهر البعير . ويروى : « كالأسنة » جمع سنان . شبهت به في الخضرة .

(٥) يراد به الحجر الأسود ، لأن موضعه في الركن .

تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوزوا^(١) وتحالفوا وأعدّوا للقتال .

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا . فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ! هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ : هلم إلي ثوباً . فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه .

إخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى

وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى ، فعماً وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، لا تلقى العرب لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ، فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه ، حُجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله في العباد .

(١) تحاوزوا : انحاز كل قبيل منهم إلى جانب .

صفة رسول الله ﷺ

قال ابن هشام :

وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عُمر مولى غُفرة ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال :

كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نَعَتَ رسول الله قال : لم يكن بالطويل الممَّعُط^(١) ، ولا القصير المتردّد ، وكان رُبْعَةً^(٢) من القوم ، ولم يكن بالجدد القَطَط^(٣) ولا السَّبَط ، كان جَعْدًا رَجُلًا^(٤) ، ولم يكن بالمطَّهم^(٥) ولا المكثَّم^(٦) . وكان أبيضَ مُشربًا ، أدعج العينين^(٧) ، أهدبَ الأشفار^(٨) جليل المشاش^(٩) ، والكتد^(١٠) دقيق المسربة^(١١) أجرد^(١٢) شَتْن الكفين^(١٣) والقَدَمَين ؛ إذا مشى تقلَّع^(١٤) ، كأنَّما يمشي في صَبَب^(١٥) ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو ﷺ خاتم النبيين ، أجودُ الناس كَفًّا ، وأجراً الناس صدرًا ،

(١) الممَّعُط : الممتد .

(٢) الرُبعة . الذي ليس بالطويل ولا القصير .

(٣) القَطَط : الشديد جعودة الشعر .

(٤) الرَجُل : المسرح الشعر .

(٥) المطَّهم : العظيم الجسم .

(٦) المكثَّم : المستدير الوجه في صفر .

(٧) الأدعج : الأسود العينين .

(٨) أهدبَ الأشفار : طويل أهدابها .

(٩) المشاش : عظام رموس المفاصل .

(١٠) الكتد : ما بين الكتفين .

(١١) المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة .

(١٢) الأجرد : القليل الشعر .

(١٣) الشَتْن : الغليظ .

(١٤) تقلَّع : لم يثبت قدميه .

(١٥) الصَّبَب : ما انحدر من الأرض .

وأصدق الناس لهجة^(١) ، وأوفى الناس ذمة . وأبينهم عريكة^(٢) ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة^(٣) هابه . ومن خالطه أحبه . يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله . ﷺ .

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق :

وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَنَسُ الحواريُّ لهم . حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم . أنه قال :

« من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أنني صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئة . ولكن من الآتية بطروا وظنوا أنهم يعزوني^(٤) وأيضاً للرب . ولكن لا بدَّ من أن تتمَّ الكلمة التي في الناموس . إنهم أبغضوني مجاناً - أي باطلاً - فلو قد جاء المُنحَمَّنُ هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج . فهو شهيدٌ عليّ وأنتم أيضاً . لأنكم قديماً كنتم معي . في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا^(٥) » .
و« المُنحَمَّنُ » . بالسريانية : محمد . وهو بالرومية « البرقليطس » .

البعث

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة

(١) اللهجة : الكلام

(٢) لين العريكة : حس العشرة .

(٣) بديهة : ابتداء .

(٤) عره بعزه : غلبه .

(٥) انظر إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٣ = ٢٦ .

للناس بشيراً . وكان الله تبارك وتعالى قد أخذَ الميثاقَ على كلِّ نبيٍّ بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذَ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلِّ مَنْ آمَنَ بهم وصدقهم ، فأدُّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .
عن عائشة رضي الله عنها :

إِنَّ أَوَّلَ ما بَدِئَ به رسول الله ﷺ من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح . وحجب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده .

وعن عبد الملك بن عبيد الله :

أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ^(١) ، ويفضي إلى شعاب ^(٢) مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرُّ رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث . ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء ^(٣) ، في شهر رمضان .

عن عبيد بن عمير :

كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنَّتُ به قريشُ في الجاهلية ^(٤) . فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره

(١) أي تبعد عنه .

(٢) الشعب : ما انفرج بين الجبلين .

(٣) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال .

(٤) التحنَّت : التبعذ واعتزال الأصنام .

ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته . حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج^(١) فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت ما أقرأ^(٢) . قال : فغتنني به^(٣) حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ . فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . قال : قهرتها ثم انتهى فانصرف عني ، وهبت من نومي فكانت ما كتبت في قلبي كتاباً .

فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ! فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيت كذا . فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك . ثم انصرف عني .

(١) النمط : ضرب من البسط . والديباج : ثياب من الإبريسم .

(٢) ويروى : « ما أنا بقارئ » .

(٣) غته : عصره عصراً شديداً .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة ، فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً إليها^(١) فقالت : يا أبا القاسم . أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك حتى بلغوا مكةَ ورجعوا إليَّ !

ثم حدثتها بالذي رأيتُ فقالت : أبشِرْ يا بن عمِّ واثبتْ ، فوالذي نفسي خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة !

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتُ إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمِّها . وكان ورقة تنصّرَ وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس قدّوس . والذي نفسي ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر^(٢) الذي كان يأتي موسى^(٣) . وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقولي له فليثبتْ .

فرجعت خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة . فلما قضى رسول الله ﷺ حواره وانصرف . صنع كما كان يصنع . بدأ بالكعبة . فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيتُ وسمعت . فأخبره رسول الله ﷺ . فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبر الذي جاء موسى ، ولتُكذِّبته ، ولتُؤذِنه ، ولتُخرَجته ، ولتُقاتلنه^(٤) ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرّاً يعلمه ! ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخه^(٥) . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

(١) مصيباً إليها : ملتصقاً بها مانحاً إليها

(٢) أراد به الملك الذي جاءه بالوحي . وأصل الناموس صاحب سر الرجل

(٣) السبيلي : « إنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب . لأن ورقة كان قد تنصّر . والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه بي يأتيه جبريل . إنما يقولون فيه : إن أنوما من الأقبام الثلاثة اللاهوتية حل ساسوت المسيح واتحد به . على اختلاف بينهم في ذلك الحلول » .

(٤) الهاء في كل هذه الأفعال هي هاء السكت .

(٥) يافوخه : أم رأسه .

ابتداء تنزيل القرآن

فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان . يقول الله عز وجل : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ . وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ . وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبتته وتحفف عليه ، وتصدقته ، وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله !

قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ^(١) لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ » .

فترة الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك ، حتَّى شقَّ ذلك عليه

(١) القصب : اللؤلؤ المنحوت

فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسِم له ربه ، وهو الذي أكرمته بما أكرمته به : ما ودَّعه وما قلَّاه . فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرمتك فتركك ، وما أبغضك ثم أحبك . ﴿ وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أي لما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلتُ لك من الكرامة في الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج^(١) في الدنيا ، والثواب في الآخرة . ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ . يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومثَّ عليه في يُثمه وعيَّله وضلَّالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته . ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أي لا تكن جباراً ولا متكبراً ، ولا فحاشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدِّث ، أي اذكرها وادعُ إليها . فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئنُ إليه من أهله .

أول الناس إسلاماً

ثم كان أولَ ذكْرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عَشْر سنين .

وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قريشاً أصابتهُم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه

(١) الفلج : الفوز والغلبة .

الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه . فقال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ؛ فقالا له : إنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمّه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمّه إليه . فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتّبعه علي رضي الله عنه ، وآمن به وصدّقه .

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فكثا كذلك ما شاء الله أن يكثر ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أيّ عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ، بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت !

ثم أسلم (زيد بن حارثة) بن شَرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزى . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة ، فدخلت عليه عمته خديجة ، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ ، فقال لها : اختاري يا عمة ، أيّ هؤلاء الغلمان شئت فهو لك . فاخترت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله ﷺ عندها فاستوهبه منها فوهبته له ، فأعتقه وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

ثم أسلم (أبو بكر بن أبي قحافة) ، واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة

عثمان . فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه ، أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله . وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً إذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر : لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

فأسلم بدعائه عثمانُ بن عفَّان ، والزُّبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله . فكان هؤلاء النفر الثمانية^(١) الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلَّوا وصدَّقوا .

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم^(٢) ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة وعبد الله ، وعُبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب ، وأسما بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخَبَّاب ابن الأَرْت ، وعُمَيْر بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلامة ، وخُنَيْس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فاطمة بنت المجلَّل ، وأخوه حطَّاب ، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار ، ومعمر بن الحارث ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلَّب بن أزهري ، وامرأته رملة بنت أبي عوف ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وامرأته أمينة بنت خلف ، وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله ، وخالد وعامر

(١) هم علي . وريد . وأبو بكر ، ومن أسلم على يديه .

(٢) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام . وكانت داره على الصفا . حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا .

وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان الرومي ^(١) .

الجهر بالدعوة

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً ^(٢) من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به .

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يادي ^(٣) الناس بأمره وأن يدعو إليه . وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ ﴾ واخلض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * وقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشّعب فاستخفّوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير فشجّه ^(٤) ، فكان أول دم هريق في الإسلام . فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردّوا عليه حتّى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلّا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفّون .

وحلب ^(٥) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ،

(١) صهيب عربي ، ولكن الروم سبته صغيراً فنشأ فيهم فصار ألكن ، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه . وفي الحديث : « صهيب سابق الروم » .

(٢) جمع رسل بالتحريك ، وهي الجماعة . (٣) المادة : المجاهرة .

(٤) اللحي : العظم الذي فيه الأسنان . شجّه : كسر رأسه . (٥) أي عطف ورق

ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يرده عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبِرُهُمْ^(١) من شيء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذّب عليه ، وقام دونه فلم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تكفّه عنا ، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شَرِيَّ^(٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، فتذا مروا فيه^(٣) ، وحض بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشّوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرقا ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيئك من ابن أخيك فلم تنه عنه ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلتنا ، حتى تكفّه عنا ، أو نُنَازِلَه وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوا له - فأبقي عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق .

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيد بداء^(٤) أنه خاذله ومُسلمه ، وأنّه قد ضعّف عن نصرته ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته ! ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبّل يا ابن أخي . فأقبل عليه رسول الله ﷺ ،

(١) يعْتَبِرُهُمْ : يرضيهم (٢) شَرِيَّ : استطار وتفرق .

(٣) أي حض بعضهم بعضاً . (٤) أي رأي جديد .

فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .
ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة ابن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد^(١) فتى في قريش وأجملهُ ، فخذهُ فلك عقله^(٢) ونصرتهُ ، واتَّخذهُ ولدأ فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرَّق جماعة قومك وسفهُ أحلامهم^(٣) فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ! فقال : والله لبش ما تسوموني^(٤) ! أعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبداً ! فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ! فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك ؟

فحبَّب الأمر^(٥) ، وحميت الحرب ، وتنابد القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .
ثم إن قريشاً تذاَمروا^(٦) بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب .
وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون ، في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي هب عدو الله الملعون .

(١) أي أشد وأقوى .
(٢) العقل : الدية .
(٣) أي عقولهم .
(٤) أي تكلفوني .
(٥) حقب أمرهم : فسد .
(٦) تذاَمروا : حض بعضهم بعضاً .

قول الوليد بن المغيرة في القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نَفَرٌ من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسمُ وإنَّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمِعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأَجِيعُوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

فقالوا : فأنت يا أبا عبدِ شمسِ قُلْ وأَقِمْ لنا رأياً فنقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكُهَّانَ ، فما هو بزمنة ^(١) الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تُخالِجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّارَ وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ^(٢) .

قالوا : فما تقول أنت يا أبا عبد شمس . قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعَدَقٌ ^(٣) ، وإن فرعه لَجَنَّةٌ ^(٤) ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لَأَنَّ تقولوا : ساحر ، جاء بقولٍ هو سحر يفرِّق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرَّقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبُل الناس حين قدِموا الموسم لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ ﴾

(٣) العَدَق ، بالفتح : النخلة .

(٤) الجَنَّة : ما يجنى .

(١) الزمنة : كلام خفي لا يسمع .

(٢) كان الساحر يعقد خيطاً ثم ينث فيه

يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ،
وصدرت العربُ من ذلك الموسم . بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد
العرب كلها .

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ

من قومه

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم ، للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ
وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ ، فَأَغْرَوْا بِهِ سَفَهَاءَهُمْ فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ ، وَرَمَوْهُ
بِالشَّعْرِ وَالسَّحَرِ وَالْكِهَانَةِ وَالْجُنُونِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَظْهُرٌ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَسْتَخْفِي
بِهِ ، مُبَادٍ^(١) لَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ مِنْ عَيْبِ دِينِهِمْ وَاعْتِزَالِ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَفِرَاقِهِ إِيَّاهُمْ
عَلَى كُفْرِهِمْ .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص :

حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسول الله ﷺ
فقالوا : ما رأينا مثْلَ ما صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ! سَفَّهَ أَحْلَامَنَا ،
وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ !

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم
الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول ، قال :
فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ،
فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ،
فوقف ثم قال : « أَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ
بِالذَّبِّعِ^(٢) ! » .

(١) أي مجاهر .

(٢) كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا .

فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانُوا عَلَى رَأْسِهِ طَيْرٌ وَاقِعٌ ،
حَتَّى إِنْ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةٌ ^(١) قَبْلَ ذَلِكَ لِيَرْفُوهُ ^(٢) بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ ، حَتَّى
إِنَّهُ لَيَقُولُ : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتُ جهولاً !

فانصرف رسول الله ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا
مَعَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا
مَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرْكُمُوهُ !

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا وَثْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ،
وَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا - لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ
أَهْلِهِمْ وَدِينِهِمْ - فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ دُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ !
ثُمَّ انصرفوا عنه . فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قَرِيشًا نَالُوا مِنْهُ قَطًّا !

إسلام حمزة

حدثني رجل من أسلم ، كَانَ وَاعِيَةً :

أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصُّفَا فَأَذَاهُ وَشْتَمَهُ ، وَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ
مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لَدِينِهِ ، وَالتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ ، فَلَمْ يَكْلُمْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَمَوْلَاةٌ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ فِي مَسْكَنِهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ - ثُمَّ انصرفت عنه فَعَمَدَتْ إِلَى نَادٍ مِنْ
قَرِيشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .

فَلَمَّا يَلْبَثُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ^(٣) ،
رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ ^(٤) ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرِجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ
ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ فِتًى فِي

(١) الوصاية : الوصية ، أي وصية بالأذى . (٣) أي متقلداً إياه .

(٢) يرفؤه : يسكنه ويهدئه . (٤) القنص : الصيد .

قريش وأشدّه شكيمة ، فلما مرّ بالمولاة^(١) وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم^(٢) بن هشام ؟ وجده ها هنا جالساً فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِداً لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقع به ، فلماً دخل المسجدَ نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجّه شجّةً منكراً ، ثم قال : أتشتّمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فردّ ذلك عليّ إن استطعت .

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنّي والله قد سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً . وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ . فلماً أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه . فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله

حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقومُ إلى محمد فأكلّمه وأعرضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ، فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد

(١) هي مولاة عبد الله بن جدعان .

(٢) أبو الحكم : كنية أخرى لأبي جهل . واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .

علمت من السطة^(١) في العشيرة . والمكان في النسب . وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم . فرقت به جماعتهم . وسفّيت به أحلامهم . وعبت به من مضى من آبائهم . فاستمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا ابن أخي . إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا . جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك . وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رغباً^(٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع^(٣) على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه . قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاستمع مني . قال : أفعل . فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ۝ ﴾ . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها^(٤) فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه . فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط . والله

(١) السطة الشرف . من الوسط . كالعدة من الوعد . (٢) الرئي : ما يترأى للانسان من الجن . (٣) التابع : الصاحب من الجن .

(٤) هي قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .

ما هو بالشَّعر ، ولا بالسَّحر . ولا بالكهانة . يا معشر قريش . أطيعوني واجعلوها بي . واخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعترلوه . فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تُصِبْهُ العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم . وإن يَظْهَر على العرب فملكه مَلِكُكم . وعزُّه عزُّكم . وكنتم أسعد الناس به ! قالوا : سَحَرَك اللهُ يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ما دار بين رسول الله ﷺ

وبين رؤساء قريش

ثم إنَّ الإسلام جعل يفشو بمكَّة في قبائل قريش في الرجال والنساء ، وقريش تحبس مَنْ قَدَرَتْ على حبسه وتَفْتِنُ مَنْ استطاعت فتنته من المسلمين . ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة ، وهم عتبة بن ربيعة . وشيبة بن ربيعة . وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث . وأبو البَخْتَرِي بن هشام ، والأسود بن المطَّلَب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبدالله بن أبي أمية ، والعاصي بن وائل ، وُثَيْبَةُ ومُتَيْبَةُ رسول الله ﷺ سريعاً ، وهو يظنُّ أن قد بدا لهم فيما كَلَّمَهُمْ فيه بَدَاءٌ ، وكان × ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذِرُوا فيه فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك فَأَتَيْهِمْ . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً ، وهو يظنُّ أن قد بدا لهم فيما كَلَّمَهُمْ فيه بَدَاءٌ ، وكان عليهم حريصاً يحبُّ رَشْدَهُمْ ويعزُّ عليه عَنَتُهُمْ ^(١) ، حتَّى جلسَ إليهم ، فقالوا له : يا محمد . إِنَّا قد بعثنا إليك لنكلِّمك ، وإِنَّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخلَ على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك : لقد شتمتَ الآباء ، وعبت الدين ، وشتمتَ الآلهة ، وسفَّهت الأحلام ، وفرَّقت الجماعة ، فما بقي أمرٌ قبيح إلا

(١) العنت : الجور والأذى .

قد جئتَ فيما بيننا وبينك ، فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرفَ فينا فنحن نسوّدك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك بَدَلنا لك أموالنا في طلب الطبِّ لك ، حتى نبرئك منه أو نُعْذِرَ فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم . ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملكَ عليكم . ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزلَ عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحتُ لكم . فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة . وإن تردُّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » . قالوا : يا محمد ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ منَّا شيئاً مما عرضنا عليك فإنك قد علمتَ أن ليس من الناس أحدٌ أضيّقُ بلدأً ، ولا أقلَّ ماءً ، ولا أشدَّ عيشاً منا ، فسل لنا ربَّكَ الذي بعثك بما بعثك به فليسيرَ عنا هذه الجبالَ التي قد ضيّقتْ علينا ، وليسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مَضَى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصِيُّ بن كِلاب ، فإنه كان شيخَ صدق . فنسألهم عما تقول ، أحقُّ هو أم باطل ؟ فإن صدَّقوك وصنعت ما سألتك صدَّقناك ، وعرفنا به منزلتكَ من الله ، وأنتَ بعثك رسولاً كما تقول :

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : « ما بهذا بُعِثْتُ إليكم . إنما جئتمكم من الله بما بعثني به . وقد بلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة . وإن تردُّوه عليّ أصبرُ لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذْ لنفسك ، سلْ ربَّكَ أن يبعث معك ملكاً يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسلِّه فليجعلْ لك جناحاً وقصوراً

وكنوزاً من ذهب وفضة . يُغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتمس المعاش كما تلتمسهُ ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولاً فيما تزعم .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعث إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً . فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء علينا كِسْفاً^(١) كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال رسول الله ﷺ : « ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل » . قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب . فيتقدم إليك فيعلمك ما تُرجعنا به ، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له « الرحمن »^(٢) ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذَرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نُهلكك أو تهلكنا ! وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة . وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة . وهو ابن عمته^(٣) . فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم . ثم سألوهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول . ويصَدِّقوك ويتبعوك فلم تفعل . ثم سألوهم أن تأخذ لنفسك

(١) جمع كسفة بالكسر . وهي القطعة من الشيء .

(٢) هو مسيلمة بن حبيب الحنفي ، المعروف بمسيلمة الكذاب . كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية . وكان من المعمرين . الروض الأنف .

(٣) أسلم عبد الله قبل فتح مكة .

ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، فوالله لا أومن بك أبداً
حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ؛ ثم تأتي معك
أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وإيم الله أن لو فعلت ذلك
ما ظننت أنني أصدقك !

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ . وانصرف عنه رسول الله إلى أهله
حزيناً أسفاً . لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من
مباعدتهم إياه .

صنع أبي جهل

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً
قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشم آباءنا ، وتسفيه أعلامنا . وشم
آهتنا . وإنني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيع حمله ، فإذا سجدَ
في صلاته فضختُ به رأسه . فأسلموني عند ذلك أو امنعوني . فليصنع بعد ذلك
بنو عبد مناف ما بدا لهم !

قالوا : والله لا نُسَلِّمُكَ لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ
ينتظره . وغدا رسول الله كما يغدو . وكان بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان
إذا صلى بين الركنتين : الركن اليماني والأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين
الشام . فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم . ينتظرون ما أبو جهل
فاعل . فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه
حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مُنتَقِعاً لونه^(١) مرعوباً . قد يبست يداه على حجره ،
حتى قَذَفَ الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : ما لك يا أبا
الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه

(١) انتقع لونه (بالبناء للمفعول) : تغير من هم أو فرح .

عرض لي دونه فحلّ من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته . ولا مثل قَصْرته^(١)
ولا أنيابه لفحلٍ قط . فهم بي أن يأكلني !

خبر النضر بن الحارث

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث فقال : يا معشر قريش .
إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد . قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً ،
أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه
الشيب . وحاءكم بما جاء به قلتم : ساحر ! لا . والله ما هو بساحر . لقد رأينا
السحرة ونفثهم عقدهم . وقلتم : كاهن ! لا والله ما هو بكاهن . فقد رأينا الكهنة
وتخالجهم . وسمعنا سجعهم . وقلتم شاعر ! لا والله ما هو بشاعر . قد رأينا الشعر
وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه . وقلتم : مجنون ! لا والله ما هو بمجنون .
لقد رأينا الجنون . فما هو بحقيقه . ولا وسوسته . ولا تخليطه . يا معشر قريش .
فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم !

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤدي رسول الله
ﷺ . وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الجيرة وتعلم بها أحاديث ملوك
الفرس ، وأحاديث رؤسهم وإسفنديار . فكان إذا جلس رسول الله ﷺ
مجلساً فذكر فيه بالله . وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ،
خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه .
فهلهم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورؤسهم
وإسفنديار . ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : نزل فيه ثمان آيات من القرآن :
قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وكل ما ذكر
فيه من الأساطير من القرآن .

(١) القصرة : أصل العنق .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين . فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُقتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم .

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما . لبعض بني جُمَح ، مولداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامة . وكان صادق الإسلام طاهر القلب . وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يُخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرأ على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد الآلات والعزى ! فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحدٌ ! ! وكان ورقة ابن نوفل يمرُّ به وهو يعدب بذلك وهو يقول أحدٌ أحدٌ ، فيقول : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ! ثم يُقبل على أمية بن خلفٍ ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً^(١) ! حتى مرَّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون به ذلك . فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ، حتى متى ! قال : أنت الذي أفسدته فأنيذهُ مما ترى ! فقال أبو بكر : أفعلُ ، عندي غلامٌ أسودٌ أحلُدُ منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به . قال : قد قبلت . فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك ، وأخذهُ فأعتقه .

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ

(١) أى موضع حنان . أُنصح به متبركا

سابعهم : عامر بن فهيرة ، وأم عيسى ، وزنيرة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ! فقالت : كذبوا وبيت الله . ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ! فرد الله بصرها .

وأعتق الزهيدة وبناتها ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، فربهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول : والله لا أعتقكما أبداً ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : حل^(١) يا أم فلان ! فقالت : حل ؟ أنت أفسدتهما فأعتقتهما ! قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتُهما ، وهما حُرّتان ، أرجعا إليهما طحينهما . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ؟ قال : ذلك إن شئتما . ومراً بجارية بني مؤمل ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك ، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال : إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا ملالة ! فتقول : كذلك فعل الله بك ! فابتاعها أبو بكر فأعتقها .

قال أبو قحافة لأبي بكر : يا بني ، إني أراك تُعق رقاباً ضعافاً . فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجلاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد الله عز وجل !

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة^(٢) ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة ! فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجالٍ من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أتبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ! لنسفهن حِلْمك ، ولنُفيلن^(٣) رأيك ، ولنضعن شرفك !

(١) أي تحللي من يمينك .

(٢) الرمضاء : الرمل الساخن من شدة حرارة الشمس .

(٣) قيل رأيه : قبحه وخطأه .

وإن كان تاجراً قال : والله لنكسَدَنَّ تجارتك ، ولنُهْلِكَنَّ مالك !
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .
عن سعيد بن جبير قال :

قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا يضرُّون أحدهم ويُجِيعونه ويعطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرِّ الذي نزل به ، حتَّى يعطيهم ما سألوهُ من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزَّى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . حتى إن الجعل^(١) ليمرُّ بهم فيقولون له : هذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأ منهم مما يبلغون من جهده .

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنَّهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنَّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق . حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة . وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أولَ هجرة كانت في الإسلام .

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير ابن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة معه امرأته ليل بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وسُهَيْل بن بيضاء

(١) الجعل : دابة سوداء كالخفساء من دواب الأرض . قيل هو أبو جمران .

فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة^(١) .
ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا
بأرض الحبشة . فكانوا بها . منهم من خرج بأهله معه . ومنهم من خرج بنفسه
لأهل له معه .

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها . ثلاثة وثمانين رجلاً .

إرسال قريش إلى الحبشة

في طلب المهاجرين إليها

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض
الحبشة . وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً . اتتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم
رجلين من قريش جلدَيْن إلى النجاشي . فيردّهم عليهم . ليفتنوهم عن دينهم .
ويُخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها . فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة .
وعمر بن العاص بن وائل . وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتهم ثم بعثوهم
إليه . .

عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت :
لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ ، النجاشي . أمنا على ديننا .
وعبدنا الله تعالى لا نُؤذِي ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً اتتمروا
بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدَيْن ، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا
مما يُستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٢) . فجمعوا
له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتهم يتركوا إلا أهدوا إليه هدية ، ثم بعثوا
بذلك عبد الله بن أبي ربيعة . وعمر بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا

(١) قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون . (٢) الأدم : الجلود .

خما : ادفعوا إلى كلِّ بضريق حديثه قبل أن تكلموا النجاشيَ فيهم . ثم قدّموا إلى النجاشيَ هداياه . ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . فخرجوا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار . عند خير جار . فلم يبقَ من بطارقتهم بطريق إلا دفعوا إليه حديثه قبل أن يكلموا النجاشيَ ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوّى^(١) إلى بلد الملكِ منا غلمانٌ سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم . وجاءوا بدين مبتدعٍ ، لا نعرفه نحن ولا أئمتنا . وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم . فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم . فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٢) وأعلم بما عابوا عليهم . فقالوا خما : نعم .

ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما . ثم كلّمهما فقالا له : أيُّها الملك . إنه قد ضوّى إلى بلدك منا غلمانٌ سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم ، لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي ، فقالت بطارقتهم حوله : صدّقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي ثم قال : لاها الله^(٣) ، إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قومٌ جاوروني . ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتّى أدعواهم فأسلّمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ، وردّتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهنّ منهما وأحسنّت جوارهم ما جاوروني .

(١) صوّى إليه : لحا وأوى .

(٢) هو أعلى به عينا أي أبصر به . (٣) أي لا والله .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله . سألمهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الملل ؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب . فقال له : أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة . ونأتي الفواحش . ونقطع الأرحام . ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه . وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه . من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث . وأداء الأمانة . وصلة الرحم . وحسن الجوار . والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش . وقول الزور . وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنات . وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدّد عليه أمور الإسلام - فصدّقناه وآمنا به . واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا . وحرّمنا ما حرّم علينا . وأحللنا ما أحلّ لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى . وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا . وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك . ورغبتنا في جوارك ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك !

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه علي . فقرأ عليه صدرا من

كَهَيْعَصَ^(١) . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته^(٢) . وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ! ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة^(٣) ! انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما . ولا يكادون !

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم^(٤) ! فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أثنى^(٥) الرجلين فينا - : لا تفعل . فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد !

ثم عدا عليه من الغد فقال له أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً . فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه .

فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن !

فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ . يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه . وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول^(٦) .

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود^(٧) .

فتناخرت بطارفته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي^(٨) . من سبكم غريم ، من سبكم غريم ! ما أحب أن لي دبر^(٩) من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ! ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها .

(١) أي ابتلت من الدموع . (٢) أي شجرتهم التي نفعوا منها . وخضراء كل شيء : أصله .

(٣) المشكاة : الكوة غير النافذة (٤) ويروى : « أبقى » .

(٥) البتول : العذراء المقطعة عن الأزواج . (٦) ويروى : « سيوم » أي آمنون .

(٧) أي مقدار هذا العود (٨) الدبر ، بلغة الحبشة : الجبل .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده بخيرٍ دارٍ مع خير جار .

قالت : فوالله إنا لعلّى ذلك إذ نزلَ به رجلٌ من الحبشة ينازعُهُ في ملكه فوالله ما علمتُنا حزناً حزناً قط كان أشدَّ علينا من حزنٍ حزناه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشي ، فيأتيَ رجلٌ لا يعرف من حقناً ما كان النجاشي يَعْرِفُ منه . وسار إليه النجاشيُّ وبينهما عَرْضُ النبل ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُرَ وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا . قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سناً . فنفضوا له قِربةً فجعلها في صدره ، ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النبل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلقَ حتى حضرهم .

قالت : فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والتمكين له في بلاده . فوالله إنا لعلّى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه^(١) وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفِرَ النجاشي ! وأهلكَ الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده ، واستوسق^(٢) عليه أمر الحبشة . فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة .

إسلام عُمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردّهما النجاشيُّ بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرامُ ما وراء ظهره . امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة ، حتى عازوا قريشاً^(٣) . وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر أن نصلّيَ عند الكعبة حتى

(١) لمع بثوبه : رفعه وحركه ليراه غيره

(٢) استوسق : اجتمع . (٣) أي غلبوهم .

أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صَلَّى عند الكعبة ، وصَلَّينا معه . وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة .

وكان إسلام عمر فيما بلغني ، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر . وكان نعيم بن عبد الله النخام - رجل من قومه من بني عدي بن كعب - قد أسلم . وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرَقاً من قومه ^(١) .

وكان خَبَاب بن الأرتَ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجالٍ ونساء ، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزةُ بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين ، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرجْ فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقبه نعيم ابنُ عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابيء الذي فرَّق أمر قريش وسفَّه أحلامها وعاب دينها ، وسبَّ آلهتها ، فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرَّتْكَ نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلتَ محمداً ؟! أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأيُّ أهل بيتي ؟ قال : خنَّتْكَ وبن عمك سعيد بن زيد بن عمرو . وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه : فعليك بهما ^(٢) . فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وخنته ^(٣) ، وعندهما خَبَاب بن الأرتَ معه صحيفةٌ فيها ^(٤) : طهَّبَهما إياها . فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في مخدعٍ لهما ^(٥) .

(١) الفرق : الحرف .

(٢) إما أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ . حتى عليه . وإيذاً فاطمة وزوجها أهدى من ذلك أمراً

(٣) الحث . زوج البنت أو الأخت .

(٤) المخدع : بيت صغير داخل البيت الكبير .

أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنتُ الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها . وقد سمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خِبابٍ عليهما . فلماً دخل قال : ما هذه الهيئمة ^(١) التي سمعتُ ؟ قال له : ما سمعتُ شيئاً . قال : بلى والله . لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه ! وبطشَ بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنتُ الخطاب لتكفّه عن زوجها ، فضربها فشجّها . فلماً فعل ذلك قالت له أخته وختنهُ : نعم ، قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله . فاصنع ما بدا لك ! فلماً رأى عمر ما بأخته من الدم نديم على ما كان صنع . فارغوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفاً ، أنظرُ ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتباً ^(٢) - فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافي . وحلف لها بألحته ليردّها إذا قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخني ، إنك نجس ، على شركك . وإنه لا يمسه إلا الطاهر ^(٣) ! فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها . فلما قرأ منها صدرأ قال : ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه ! فلماً سمع ذلك خِبابٌ خرج إليه فقال له : يا عمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه ، فإنّي سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ! فالله الله يا عمر !

فقال له عند ذلك عمر : فدُلّني يا خِبابُ على محمد حتى آتية فأسلم . فقال له خِباب : هو في بيت عند الصفا . معه نفرٌ من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشّحه ، ثم عمَدَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضربَ عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظرَ من خلل الباب . فرأه متوشّحاً بالسيف . فرجع إلى رسول الله ﷺ

(١) الهيئمة : صوت كلام لا يفهم .

(٢) أي عارفاً بالكتابة .

(٣) اختلف في الطهارة عند مس المصحف . فقيل فرض . وقيل مدوب

ﷺ وهو فرعٌ فقال : يا رسول الله . هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له . فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له . وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ : ائذن له . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحُجرة . فأخذَ حُجْرَتَهُ (١) أو بمجمع رداءه . ثم جَبَذَهُ به جبذةً شديدة وقال : ما جاء بك يا ابنَ الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهيَ حتى يُتَزَلَ الله بك قارعة (٢) . فقال عمر : يا رسول الله . جئتُك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله !

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرَةً عَرَفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر . مع إسلام حمزة . وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصنفون بهما من عدوِّهم .

قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكَّرتُ أي أهل مكة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتَّى أتَيْه فأخبرَه أَنِّي قد أسلمت . قال : قلت أبو جهل . فأقبلت حين أصبحتُ حتَّى ضربتُ عليه بابَه . قال : فخرج إليَّ أبو جهلٍ فقال : مرحباً وأهلاً بابنِ أُختي (٣) . ما جاء بك ؟ جئتُ لأخبركَ أَنِّي قد آمَنتُ بالله وبرسوله محمد . وصدَّقتُ بما جاء به . قال : فضرب البابَ في وجهي . وقال : قَبَحَكَ الله وقَبَحَ ما جئتُ به !

خبر الصحيفة

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بِلداً أصابوا به أمناً وقراراً . وأن النجاشي قد مَنَعَ من لجأ إليه منهم . وأن عمر قد أسلم

(١) الحجزة : موضع شد الإزار (٢) القارعة : الداهية .

(٣) كانت أم عمر حنمة بنت هشام بن المغيرة . أخت أبي جهل بن هشام .

فكان هو وحمرة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه .
الإسلام يفسد في القبائل ، اجتمعوا واتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه
على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم . ولا
يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة . ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم
علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فدعا عليه رسول الله ﷺ
فشلَّ بعض أصابعه .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن
عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب
عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش فظاهرهم . وكان يقول بعض ما يقول :
يَعْدُنِي مُحَمَّدٌ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا ، يَزْعَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَمَاذَا وَضَعَ
فِي يَدَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ ثُمَّ يَنْفُخُ فِي يَدَيْهِ وَيَقُولُ : تَبًّا لَكُمَا ، مَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئاً
مما يقول محمد ! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (١) .
فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سراً ،
مستخفياً به من أرادَ صلَّتْهم من قريش .

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ

من قومه من الأذى

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب

(١) وقيل : إن سب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى : « وأبذر عثرتك الأفريقين » خرج رسول الله ﷺ
حتى أتى الصفا . فصعد عليه وقال : يا صاحبه ! فلما اجتمعوا إليه قال : أرايتم لو أخرجتكم من
خيلا بالوادي تريد أن تعير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما حرتنا عليك كذا . قال : فإني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعنا ! فأمر الله تعالى : « تبَّتْ يَدَا أَبِي
لَهَبٍ وَتَبَّ »

دونه . وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهزونه ويستهنئون به
 ويغاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوته منهم ،
 فمنهم من سُمي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة مَنْ ذَكَرَ الله من الكفار .
 فكان ممَّنْ سُمِّيَ لنا من قريشٍ مَنْ نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب
 وامراته أم جميل بنت حرب بن أُمَيَّة « حَمَّالَةُ الحَطَبِ » ؛ لأنها كانت تحمل
 الشوك فتطرَّحُه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمرّ ، فأنزل الله تعالى فيهما :
 ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ
 نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أنَّ أمَّ جميل . حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها
 من القرآن ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه
 أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر^(١) من حجارة . فلما وقفت عليهما أخذ الله
 يبصرها عن رسول الله ﷺ ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ،
 أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني ! والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه !
 ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تُراها رأتك ؟ فقال : ما
 رأيته ، لقد أخذ الله يبصرها عني .

وأُمَيَّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله
 ﷺ همزة ولمزهُ^(٢) . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الَّذِي
 جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفِتَنِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
 مُؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ .

والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله
 ﷺ . قَيْنًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها

(١) فهر : حجر في مقدار ملء الكف .

(٢) الهمز : أن يشتم الرجل علانية . ويكسر عينيه عليه ويفغمز به . واللمز : أن يعيبه سراً .

له ، حتى كان له عليه مال ، فجاء يتقاضاه ، فقال له : يا خَبَاب ، أليس يزعمُ محمدٌ صاحبُكم هذا الذي أنتَ على دينه أنَّ في الجنةَ ما ابْتَغَى أهلُها من ذهب أو فضة ، أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى . قال : فأُنظِرني إلى يوم القيامة يا خباب ، حتَّى أرجعَ إلى تلك الدار فأقضيكَ هنالك حَقَّكَ ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَّوَلَدًا ۖ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ .

ولقي أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد لتتركَنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسبَنَّ إلهك الذي تعبد ! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فذكر لي أن رسول الله ﷺ كفَّ عن سبِّ آلهتهم وجعل يدعوهم إلى الله .

والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلسَ رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُستم الشيد^(١) ، وعن إسفنديار ، وملوك فارس ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبوها كما اكتتبها محمد . فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۚ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ، ونزل فيه : ﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَيَلْ لَكُمْ أَفَاكُ أَتَمُّ ۚ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

والأخنس بن شريق بن وهب الثقفي ، وكان من أشرف القوم ومن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله ﷺ ويردُّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه :

(١) معناه في الفارسية الشمس ، أو ضوءها .

﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْلِهِ ۚ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ زَنِيمٍ ﴾ .
والوليد بن المغيرة قال : أُنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَتْرَكَ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا !
ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثَّقَفِي سَيِّدَ ثَقِيفٍ ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرَيْتَيْنِ ^(١) !
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَيْتَيْنِ
عَظِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَأَبِي بَنِ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَا مُتَصَافِينَ ، حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا ،
فَكَانَ عُقْبَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبِيًّا ، فَأَتَى
عُقْبَةَ فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ جَالِسْتَ مُحَمَّدًا وَسَمِعْتَ مِنْهُ ! وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ
حَرَامٌ أَنْ أَكَلِّمَكَ - وَاسْتَغْلَظَ مِنَ الْيَمِينِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ أَوْ سَمِعْتَ
مِنْهُ ، أَوْ لَمْ تَأْتِهِ فَتَتَفَلَّ فِي وَجْهِهِ ! فَفَعَلَ ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ
اللَّهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الزَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إلى قوله ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .

وَمُشَى أَبِي بَنِ خَلْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظَمٍ بِالٍ قَدْ ارْفَتَ فَقَالَ يَا
مُحَمَّدُ ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ ^(٢) ! ثُمَّ فَتَّهَ فِي يَدِهِ ثُمَّ نَفَخَهُ
فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ،
يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هَكَذَا ، ثُمَّ يَدْخُلُكَ اللَّهُ النَّارَ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ
نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ .

وَاعْتَرَضَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فِيمَا بَلَغْنِي ، الْأَسْوَدُ
ابْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأُمِيَّةُ بْنُ أَبِي خَلْفٍ
وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ،
هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ ، فَنَشْرَكَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا

(١) القريتان : مكة والطائف . (٢) أرم : بلي . وصارمة .

ما نعبد . كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحُظُنَّا مِنْهُ . وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ . كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ بِحُظُّكَ مِنْهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لهم بها قال : يا معشر قريش ، هل تَدْرُونَ ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنّا منها لنترقمّنّها ترقمّاً^(١) ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ إِنْ شَجَرَةُ الزُّقْمِ طَعَامُ الْآثِمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۚ أَيُّ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ .

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ . ورسول الله ﷺ يكلمه . وقد طمع في إسلامه . فبينما هو في ذلك إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعشى . فكلّم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن . فشقّ ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره ، وذلك أنّه شغلّه عما كان فيه من أمر الوليد . وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۚ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ . أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه من ابتغاه . ولا تتصدّينّ به لمن لا يريد .

وكان نفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا هب والحكم بن أبي العاص . وعقبة بن أبي معيط ، وعديّ بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي . وكانوا جيرانه . لم يسلم منهم أحدٌ إلّا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رَحِمَ الشاة وهو يصلي . وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته^(٢) إذا نُصِبَتْ له . حتى اتخذ رسول الله ﷺ حِجْرًا^(٣) يستتر به منهم إذا صلى . فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، يخرج به ﷺ

(١) الترقم : الابتلاع . (٢) البرمة : القدر من حجارة . (٣) الحجر : كل ما ححرته من حائط

على العود . فيقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف . أي جوارٍ هذا ؟ !
ثم يلقيه في الطريق .

عودة مهاجرة الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ
أهل مكة . فأقبلوا لِمَا بَلَّغَهُمْ من ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أنَّ ما كانوا
تحدَّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً . فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ
أو مستخفياً .

وجميع من قدم عليه من مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون
رجلاً .

فكان من دخل منهم بجوارٍ فيمن سُمِّي لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب
الجمحي . دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة . وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ودخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب
- وكان خاله - وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب .

حديث نقض الصحيفة

ثم إنَّه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريشٌ على بني هاشم
وبني المطلب نفرٌ من قريش ، ولم يُبل فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو
وذلك أنه كان ابنُ أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمِّه . فكان هشامُ لبني
هاشمٍ واصلاً ، وكان ذا شرفٍ في قومه . فكان فيما بلغني يأتي بالبعير . وبنو هاشم
وبنو المطلب في الشعب ليلاً ، قد أوقرهُ^(١) طعاماً ، حتى إذا أقبلَ به فَمَ الشعب
خلعَ خِطامَهُ من رأسه . ثم ضَرَبَ على جنبه . فدخل الشعب عليهم . ثم يأتي
به قد أوقره بَرّاً^(٢) فيفعلُ به مثل ذلك .

(١) أوقره : حملة . (٢) البر : الثياب .

ثم إنّه مَشَى إلى زُهَيْر بن أَبِي أُمَيَّة بن المَغيرة . وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير ، أقد رَضِيتَ أن تأكل الطَّعام ، وتلبسَ الثيابَ ، وتنكحَ النساءَ ، وأخوالك حيث قد علمتَ ، ولا يُبتاعَ منهم ، ولا يَنكحون ولا يُنكحَ إليهم . أما إنِّي لأحلفُ بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً ! قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع ؟ إنَّما أنا رجلٌ واحدٌ ، والله لو كان معي رجلٌ آخرُ لَقُمْتُ في نقضها حتى أنقضُها . قال : قد وجدتَ رجلاً قال : فمن هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : أبغينا رجلاً ثالثاً .

فذهب إلى المطعم بن عديّ فقال له : يا مطعم ، أقد رَضِيتَ أن يهلكَ بطنانٌ من بني عبد منافٍ وأنت شاهدٌ على ذلك ، موافقٌ لقريش فيه ؟ أما والله لئن أمكتموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراعاً . قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنَّما أنا رجل واحد . قال : قد وجدتَ ثانياً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغينا ثالثاً . قال : قد فعلت . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أُمَيَّة . قال : أبغينا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخريّ بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عديّ فقال : وهل من أحدٍ يعير على هذا ؟ قال نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أُمَيَّة ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك . قال : أبغينا خامساً . فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطلب . فكلَّمه وذكر له قرابتهِم وحَقَّهم فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سَمَّى له القوم .

فأتعدوا خَطَمَ الحَجُون^(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصَّحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أهدؤكم فأكون أوَّل من يتكلَّم .

(١) خطم الحجون : موضع . والحجون : جبل بأعلى مكة .

فلما أصبحوا غَدُوا إلى أُنْدَيْتِهِمْ ، وَغَدَا زَهْرُ بْنُ أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ فَطَافَ
بِالْبَيْتِ سَبْعاً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، أَنَا كُلُّ الطَّعَامِ وَنَلْبَسُ
الثِّيَابَ ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يَبَاعُونَ وَلَا يَبْتَاعُ مِنْهُمْ ! وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تَشَقَّ هَذِهِ
الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ - وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تَشَقُّ !
قَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ ، مَا رَضِينَا كِتَابَتَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ .
قَالَ أَبُو الْبَحْثَرِيِّ : صَدَقَ زَمْعَةُ ، لَا تَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا وَلَا تَقْرَأُ بِهِ . قَالَ الْمَطْعَمُ
ابْنُ عَدِيٍّ : صَدَقْنَا . وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ، نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَمِمَّا كُتِبَ
فِيهَا ! وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ .
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بَلِيلٌ . تُشَوِّرُ فِيهِ بَغْيٌ هَذَا الْمَكَانَ .
قَالَ : وَأَبُو طَالِبٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ . فَقَامَ الْمَطْعَمُ إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشَقَّهَا
فَوَجَدَ الْأَرْضَ قَدْ أَكَلَتْهَا إِلَّا « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » .

وَكَانَ كَاتِبُ الصَّحِيفَةِ مَنْصُورُ بْنُ عِكْرَمَةَ ، فَشَلَّتْ يَدُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ .

أَمْرُ الْإِرَاشِيِّ الَّذِي بَاعَ أَبَا جَهْلٍ إِبْلَهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ الثَّقَفِيُّ وَكَانَ
وَاعِيَةً ، قَالَ :

قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إِرَاشٍ بِإِبِلٍ لَهُ مَكَّةَ ، فَابْتَاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ ، فَمَطَّلَهُ بِأَتَمَانِهَا .
فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ
مِنَ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّينِي ^(١) عَلَى أَبِي
الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ؟ فَأَنَّى رَجُلٌ غَرِيبٌ ، ابْنُ سَبِيلٍ ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي ؟
فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ : أَتَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
وَهُمْ يَهْزَعُونَ بِهِ ، لَمَّا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ - إِذْ هَبَّ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ
يُؤَدِّيكَ عَلَيْهِ !

(١) يُؤَدِّينِي : يَعْنِي

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبلك ، وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يوديني عليه ، يأخذ لي حقّي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقّي منه يرحمك الله ! قال : انطلق إليه . وقام معه رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام معه قالوا الرجل ممّن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ؟ وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه ف ضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليّ . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة (١) ، قد انتقع لونه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقّه ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له . فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه .

ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وقال للإراشي : الحق بشأنك . فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي بحقي .

قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب . والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه رُوحه ، فقال له : أعط هذا حقّه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقّه ، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه !

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعتُ صوته فلبثتُ رعباً ثم خرجتُ إليه ، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا أنيابيه لفحلٍ قط ! والله لو أبيت لأكلني !

حديث الإسراء

ثم أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (٢) ،

(١) أى بقية روح . (٢) قال السهيلي : قيل كان قبل الهجرة بعام .

وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها .
فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول :

أُتِيَ رسول الله ﷺ بالبُرّاق ، وهي الدابة التي كانت تُحْمَلُ عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها في منتهى طرفها ؛ فحُمِلَ عليها ، ثم خرج به صاحبُها ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتّى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى ، في نفرٍ من الأنبياء قد جمعوا له ، فصلّى بهم . ثم أُتِيَ بثلاثة آية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . فقال رسول الله ﷺ : فسمعتُ قائلاً يقول حينَ عُرِضَتْ عليّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمّته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمّته ، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وهُديت أمّته . قال : فأخذتُ إناء اللبن فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديتَ وهُديتُ أمّتك يا محمد !

قال ابن إسحاق : وحُدِّثَ عن الحسن أنه قال :

قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائمٌ في الحِجْرِ إذ جاءني جبريلُ فهزمتُ بقدمه . فجلستُ فلم أَرِ شيئاً ، فعدتُ إلى مضجعي ؛ فجاءني الثانية فهزمتُ بقدمه ، فجلستُ فلم أَرِ شيئاً ، فعدتُ إلى مضجعي ؛ فجاءني الثالثة فهزمتُ بقدمه ، فجلستُ فأخذَ بعضدي ، فقمْتُ معه ، فخرج بي إلى باب المسجد ، فإذا دابةٌ أبيض ، بين البغل والحمار ، في فعذبه جناحان يحفِرُ^(١) بهما رجله ، يضع يده في منتهى طرفه . فحملني عليه ، ثم خرجَ معي لا يفوتني ولا أفوته . قال الحسن في حديثه : فضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل عليه السلام معه حتّى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء ، فأَمَّهُم رسولُ الله ﷺ فصلّى بهم ، ثم أُتِيَ بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر . فقال له جبريل : هُديتَ للفقرة وهُديتُ أمّتك يا محمد ، وحرّمت

(١) يحفر : يدفع .

عليكم الخمر . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر^(١) البين ! والله إن العيرَ لتَطْرُدُ^(٢) شهراً من مكة إلى الشام مدبرةً ، وشهراً مُقبلةً ، أفذهب ذلك محمداً في ليلةٍ واحدةٍ ويرجع إلى مكة !

قال : فارتدَّ كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ! فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه . فقالوا : بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يُعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه ! فهذا أبعد مما تعجبون منه . ثم أقبلَ حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم . قال : يا نبي الله فصِّفه لي ، فإنني قد جئتُه . فقال رسول الله ﷺ : فرُفِع لي حتى نظرتُ إليه . فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله . حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديقُ . فيومئذٍ سمّاه « الصديق » .

عن سعيد بن المسيب ، أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة فقال :

أما إبراهيم فلم أر رجلاً أشبه قطُ بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه^(٣) . وأما موسى فرجلٌ آدمٌ طويلٌ ضربٌ جَعْدٌ أَقْنَى^(٤) كأنه من رجال

(١) الإمر ، بكسر الهمزة : العجيب المنكر .

(٢) العير : النافلة ، تطرد اطراداً : تجري وتسرع .

(٣) أي ولم أر رجلاً صاحبكم أشبه به منه .

(٤) آدم : أسمر . الضرب : الخفيف اللحم . الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض . الأقنى : العالي قصبة الأنف .

شَنُوءَة^(١) . وأما عيسى بن مريم فرجلٌ أحمر بين القصير والطويل ، سَبَطَ الشَّعْرَ كثير خيَلائن الوجه^(٢) ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ^(٣) ، تَخَالُ رَأْسَهُ يَقَطُرُ مَاءً ، أَشْبَهُ رِجَالَكُمْ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَتَيْتُ بِالْمَعْرَاجِ ، وَلَمْ أَرْ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُمَدُّ إِلَيْهِ مَيْتَكُمْ عَيْنُهُ إِذَا حُضِرَ ، فَأُصْعِدُنِي صَاحِبِي فِيهِ حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحِفْظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيَّ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ - فَلَمَّا دَخَلَ بِي قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : . . نعم . قال : فدعالي بخيرٍ وقاله .

لَمَّا دَخَلْتُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا رَأَيْتُ بِهَا رِجَالاً جَالِساً تَعَرَّضَ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَيَقُولُ لِبَعْضِهَا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ يُسَرُّ بِهِ ، وَيَقُولُ : رُوحَ طَيِّبَةٍ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ . وَيَقُولُ لِبَعْضِهَا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ : أَفٍّ ! وَيَعْبِسُ بِوَجْهِهِ وَيَقُولُ : رُوحَ خَبِيثَةٍ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ . هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، تَعَرَّضَ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ رُوحُ الْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ سَرَّ بِهَا وَقَالَ : رُوحَ طَيِّبَةٍ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ ! وَإِذَا مَرَّتْ بِهِ رُوحُ الْكَافِرِ مِنْهُمْ أَفَّفَ^(٤) مِنْهَا وَكَرِهَهَا وَسَاءَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : رُوحَ خَبِيثَةٍ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ !

(١) شَنُوءَة : قبيلة من الأزد .

(٢) الخيَلائن : جمع خال . وهو الشامة السوداء .

(٣) الديماس : بكسر الدال وفتحها : الحمام .

(٤) أف : أي قال : أف ، تضرعاً .

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجَالاً لَهُمْ مَشَافِرُ^(١) كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ . فِي أَيْدِيهِمْ قِطْعٌ مِنْ نَارٍ كَالْأَفْهَارِ^(٢) ، يَقْدِفُونَهَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكْلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا .

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجَالاً لَهُمْ بَطُونٌ^(٣) لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ . بِسَبِيلِ آلِ فِرْعَوْنَ^(٤) يَمْشُونَ عَلَيْهِمْ كَالْإِبِلِ الْمَهُيْمَةِ^(٥) حِينَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ ، يَطْشُونَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ ذَلِكَ . قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكْلَةُ الرِّبَا .

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجَالاً بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ سَمِينٌ طَيِّبٌ ، إِلَى جَنْبِهِ لَحْمٌ غَثٌ^(٦) مَنَتْنٌ^(٧) يَأْكُلُونَ مِنَ الْغَثِ الْمَنَتْنِ وَيَتْرَكُونَ السَّمِينَ الطَّيِّبَ . قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟

قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرَكُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُنَّ .

ثُمَّ رَأَيْتُ نِسَاءً مَعْلَقَاتٍ بُدِّيَهُنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ اللَّاتِي أَدْخَلْنِي عَلَى الرِّجَالِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ .

ثُمَّ أَصْعَدَنِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا فِيهَا ابْنَةُ الْخَالَةِ : عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَبِجِيبِي ابْنُ زَكَرِيَّا .

ثُمَّ أَصْعَدَنِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ . فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ صُورَتُهُ كَصُورَةِ الْقَمَرِ لَبْلَبَةٌ الْبَدْرِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ .

ثُمَّ أَصْعَدَنِي إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَإِذَا فِيهَا كَهْلٌ أبيضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ، عَظِيمُ الْعُنُوتِ^(٨) ، لَمْ أَرْ كَهْلًا أَجْمَلَ مِنْهُ ؛ قُلْتُ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْمُحَبَّبُ فِي قَوْمِهِ هَارُونَ بْنُ عِمْرَانَ .

ثُمَّ أَصْعَدَنِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ أَقْنَى . كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَةِ ؛ قُلْتُ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ .

أما الرابعة فقد
وردت في الأحاديث
أخرى أنه وجد
نبي ادريس عليه
السلام

(١) المشفر : شفة البعير .

(٢) الأفهار : جمع فهر . حجر في مقدار ملاء الكف .

(٣) آل فرعون . لهم في الآخرة أشد العذاب .

(٤) المهومة : العطاش .

(٥) الغث : الضعيف المهزول .

(٦) العنوت : اللحية .

ثم أضعدي إلى السماء السابعة . فإذا فيها كهلٌ جالسٌ على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور . يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة ، لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه . قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .

ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جاريةً لعشاء^(١) ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني ورأيتها . فقالت : لزيد بن حارثة . فبشّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال رسول الله ﷺ : فأقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم صاحبٌ كان لكم . سألتني : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم . فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة . فارجعْ إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألتُ ربِّي أن يخفف عني وعن أمتي . فوضع عني عشراً . ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال لي مثلاً ذلك ، فرجعتُ فسألتُ ربِّي فوضع عني عشراً . ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال مثلاً ذلك ، فرجعتُ فسألتُه فوضع عني عشراً ، ثم لم يزل يقول لي مثلاً ذلك ، كلما رجعتُ إليه قال : فارجع فاسأل . حتى انتهيت إلى أن وضعَ ذلك عني إلا خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة . ثم رجعتُ إلى موسى فقال لي مثلاً ذلك . فقلتُ : قد راجعتُ ربِّي وسألتُه ، حتى استحيتُ منه ، فما أنا بفاعل .

فإن أذهنَ منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن . كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة .

وفاة أبي طالب وخديجة

نم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عامٍ واحد . فتتابعت على

(١) للعشاء : التي بصرى ليون تشمتها إلى السواد قلداً

رسول الله ﷺ المصائب ، بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وجرزاً في أمره ، ومنعة وناصرأ على قومه . وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً ، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ولما اشتكى أبو طالب^(١) وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطيه منا . والله ما نأمن أن يترؤنا أمرنا قال ابن عباس : مشوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتحوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك . فقال رسول الله ﷺ : نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » . فصخّقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً

(١) اشتكى : مرض . والشكو والشكوى والشكاة والشكاء . المرض .

واحداً ، إن أمرَكَ لَعَجَب ! ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تُريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتَّى يحكم الله بينكم وبينه .

ثم تفرقوا فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهُم شططاً ! فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له : أي عم ، فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة .

فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفّتيه ، فأصغى إليه بأذنه فقال : يا ابن أخي ، والله لقد قال أخِي الكلمة التي أمرته أن يقولها ! فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

قال : وأنزل الله تعالى في الرَّهْط الذين كانوا اجتمعوا إليه وقال لهم ما قال وردوا عليه ما ردوا : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ * وَاَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴿ - يعنون النصارى لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ - ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ .

ثم هلك أبو طالب .

سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به

من الله عزَّ وجلَّ ، فخرج إليهم وحده .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف . عمدَ إلى نفر من ثقيف ،

يومئذٍ سادة ثقيف وأشرافهم . وهم إخوةُ ثلاثة : عبدُ يا ليلَ بن عمرو بن عمير ، وميسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، وعند أحدهم امرأةٌ من قريش من بني جُمَح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه . فقال له أحدهم : هو يَمُرط (١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظمُ خطراً من أن أُرَدَّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أكلمك !

فقام رسول الله ﷺ من عندهم ، وقد قال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكموا عني . وكره رسول الله ﷺ أن يبلغَ قومه عنه فيذئروهم (٢) ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونهُ ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ، وأجثوه إلى حائط (٣) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف مَنْ كان يتبعه ، فعمدَ إلى ظلِّ حُبلة (٤) من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقيَ من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسولُ الله ﷺ المرأة التي من بني جُمَح فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك !؟ .

فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو ضعفَ قوّتي ، وقِلَّةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى مَنْ تكلّني : إلى بعيدٍ يتجهمني (٥) ، أم

(١) يمرطها : ينزعها ويرمي بها .

(٢) أذأره عليه : أثاره وجراه .

(٣) الحائط : شجرة العنب .

(٤) الحائط : البستان إذا كان عليه جدار .

(٥) يتجهمني : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

إلى عدوِّ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسعُ لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليَّ سخطك . لك العتبى^(١) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك !

فلما رآه ابنا ربّيعه : عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رَحِمُهُمَا ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له « عَدَّاس » فقالا له : خُذْ قِطْفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عَدَّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كُلْ . فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : باسم الله . ثم أكل ، فنظر عَدَّاسُ في وجهه ثم قال : والله إنَّ هذا الكلامَ ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيِّ البلاد أنت يا عَدَّاس ، وما دينك ؟ قال : نصرانيّ ، وأنا رجلٌ من أهل نَيْنَوَى^(٢) . فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونسَ بن مَتَّى ! فقال له عَدَّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ! فأكَبَّ عَدَّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ! فلما جاءهما عَدَّاس قالَا له : ويلك يا عَدَّاس ، مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خير من هذا ، لقد أخبرني بأمْرِ ما يعلمه إلا نبيّ ! قالَا له : ويحك يا عَدَّاس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه !

أمر جنّ نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حين يثس

(١) العتبى : الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب .

(٢) نينوى : قرية بالموصل . من العراق .

من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة^(١) قام من جوف الليل يصلي فمرَّ به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جن أهل نصيبين^(٢) ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

فقصَّ الله خبرهم عليه ﷺ . قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيُجِرُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله ﷺ

نفسه على القبائل

ثم قدِمَ رسولُ الله ﷺ مكة وقومه أشدَّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسولُ الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ، على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنَّه نبيُّ مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به .

قال ربيعة بن عباد :

إني لَغلامٌ شابٌ مع أبي يَمْنَى ، ورسولُ الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسولُ الله إليك ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . وخلفه رجلٌ أحولٌ وضئ ، له غدیرتان^(٣) ، عليه حلَّةٌ عدنية ، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنَّ

(١) نخلة : أحد واديين على ليلة من مكة . يقال لأحدهما نخلة الشامية . وللآخر نخلة اليمانية .

(٢) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام .

(٣) العديرة : الذؤابة من الشعر

هذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلَخُوا اللات والعزى من أعناقكم . وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش^(١) ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه !

فَقَبِلَ لَأَبِي : من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّ عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو هب .

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهري : أنه أتى كندة في منازلهم ، وفيهم سيِّدٌ لهم يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعرضَ عليهم نفسه فأَبَوْا عليه .

وَأَنَّهُ أَتَى بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ وعرضَ عليهم نفسه . فقال له رَجُلٌ منهم يقال له « بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ » : والله لو أَتَى أَخَذْتُ هذا الفتى من قريش لأَكَلْتُ به العرب ! ثم قال له : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ بِأَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قال : الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ . فقال له : أَفُنْهَدِفُ^(٢) نَحُورُنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِعَرَبٍ غَيْرِنَا ؟ ! لَاحَاجَةٌ لَنَا بِأَمْرِكَ ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

فلما صدر الناسُ رَجَعْتُ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ حَتَّى لَا يَقْدِرُ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوَاسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتًى مِنْ قَرِيشٍ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، يُزْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَتَمَنَعَ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا ! فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ^(٣) ، هَلْ لِدُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ^(٤) ! وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلُ قَطْ . وَإِنَّهَا لِحَقٌّ . فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ ؟ !

(١) هم حي من الحن نسب إليهم الإبل الأقيشية . وهي إبل ليست عتاقا . تنفر من كل شيء .

(٢) هدمها : نصيرها هدفاً للرمي .

(٣) التلافي : التدارك .

(٤) مثل يصرب لما فات . وهو من « ذنابي الطائر » أى ذنبه . إذا أفلت من الحالة فطلبت الأخذ به .

عن عبد الله بن كعب أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبَحَ عليه ردًّا منهم . فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره ، كلُّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعوا القبائل إلى الله وإلى الإسلام . ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقدامٍ يقدِّم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

قدم سويد بن صامت ، أحد بني عمرو بن عوف ، مكة حاجًّا أو معتمرًا ، فتصدَّى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد : فلعلَّ معك مثل الذي معي . فقال رسول الله ﷺ وما الذي معك ؟ قال : مَجَلَّةٌ لُقَمان . فقال رسول الله ﷺ : اعرضها عليَّ . فعرضها عليه . فقال له : إنَّ هذا لكلامٌ حسن ، والذي معي أفضلٌ من هذا : قرآنٌ أنزله الله تعالى عليَّ ، هو هُدى ونور . فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه . وقال : إنَّ هذا لقولٌ حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج .

فإن كان رجالٌ من قومه ليَقولون : إننا لراه قد قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعث^(١) .

بدء إسلام الأنصار

فلما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيِّه ﷺ ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النَّفَرُ من الأنصار ، فعرضَ نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة^(٢) لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً^(٣) .

(١) بعث : موضع من بواحي المدينة ، كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

(٢) العقبة : موضع بين منى ومكة . بينها وبين مكة نحو ميلين ، ومنها ترمى جرة العقبة .

(٣) كان ذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة .

لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ . قَالَ :
أَمِنْ مُوَالِي يَهُودٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلِّمُكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى .
فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَحَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنَ .

وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ .
وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ . وَكَانُوا هُمْ أَهْلُ شِرْكٍ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا
قَدْ غَرَّوَهُمْ بِبِلَادِهِمْ ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ : إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ
الْآنَ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ . نَتَّبِعْهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ !

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ : تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودَ ، فَلَا يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ .

فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَّضَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْإِسْلَامِ
وَقَالُوا : إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ . فَعَسَى
أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ ، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَندَعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ . وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَجْبَنَّاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ . فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ .

ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا .
وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ لِي سِتَّةُ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ .

فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ إِلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَوْهُمْ
إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فُشِيَ فِيهِمْ ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ الْأُولَى

حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامَ الْمَقْبِلَ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقُوهُ
بِالْعَقْبَةِ ، وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ^(١) ، وَذَلِكَ
قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ ، مِنْهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ،
(١) أَيُّ عَلَى مَعْطَاهَا . وَكَانَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ فِي ثَانِي يَوْمِ الْفَتْحِ عَلَى جَبَلِ الصُّنَا بَعْدَمَا مَرَّ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ .

وعبادة بن الصامت ، وأبو الهيثم بن التيهان .

عن عبادة بن الصامت قال :

كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرِق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأني بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه في معروف فإن وفيتُم فلکم الجنة ، وإن غشيتُم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة .
كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض .

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم ، مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة ، من أوسط أيام التشريق^(١) حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبیه ، وإعزاز للإسلام وأهله .

قال كعب بن مالك :

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقيها ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا^(٢) لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً فوالله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : رأيتُ ألا أدعَ هذه البنية مني بظَهْرٍ - يعني الكعبة - وأن أصليَ إليها . فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام^(٣) ، وما نريد

(١) أيام التشريق : ثلاثة بعد النحر ، كانوا يشرقون فيها لحم الأضاحي للشمس .

(٢) وجهنا : انجهدنا . (٣) أي بيت المقدس .

أن نخالفه . فقال : إني لمصلٍّ إليها . فقلنا له : لكننا لا نفعل . فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة وقد كنا عينا عليه ما صنع وأبى إلّا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقعَ في نفسي منه شيء ، لما رأيت من خلافتكم إياي فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباسَ بن عبد المطلب عمّة ؟ قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجدَ فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . فدخلنا المسجدَ فإذا العباسُ جالس . ورسول الله ﷺ جالس معه . فسلمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر ؟ قلت : نعم . فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت إلّا أجعل هذه البينةَ مني بظَهْر ، فصليتُ إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتّى وقعَ في نفسي من ذلك شيء ، فإذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرت عليها !

قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ ، وصلى معنا إلى الشام . ثمَّ خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط أيام التشريق . فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعواناه إلى الإسلام ، وأخبرناه

بميعاد الرسول ﷺ إيانا العقبة . فأسلمَ وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

فمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين . حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساءنا : نسيبة بنت كعب ، وأسما بنت عمرو بن عدي^(١) .

قال : فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار : الخزرج ، خذرجها وأوسها - إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا . ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون به بما دعوتموه إليه ، وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ! فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعك مما نمنع منه أزراً^(٢) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٣) ، ورثناها كابراً عن كابر !

(١) قال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ لا يوافق النساء ، إنما كان يأخذ عليهن . فإذا أقرن قال : اذهبن فقد بايعتكن .

(٢) كنوا بالأزور عن النساء ، أو عن النفوس ، يقال لكل منهما : إزار .

(٣) الحلقة : السلاح كله .

فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ﷺ ، أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنّا قاطعوها - يعني اليهود - فهل غسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدّم الدم ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ ^(١) ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربت ، وأسالم من سالم ! وقد كان قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ^(٢) .

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم .

فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوتٍ سمعته قط : يا أهل الجباب ^(٣) ، هل لكم في مذمم ^(٤) والصُّبَاة ^(٥) معه ، قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا أرب العقبة ، هذا ابن أزيب ^(٦) ! .

ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا إلى رحالكُم . فقال له العباس بن عباد ابن نضلة : والله الذي بعثك بالحق . إن شئت لنسيلن على أهل منى غداً بأسيا فإنا ! فقال رسول الله ﷺ : لم تؤمر بذلك . ولكن ارجعوا إلى رحالكُم .

(١) الهدم . بإسكان الدال وفتحها : إهدار الدم ، أي إن طلب دمكم فقد طلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي . والهدم . بالتحريك : القبر والمزل ، أي أقبر حيث تقبرون ، وأنزل حيث تنزلون . (٢) أما نقيباء الخزرج السبعة فهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع ابن مالك . والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت . وأما نقيباء الأوس فهم : أسيد بن حضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن المنذر . قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أنا الهيثم بن التيهان . ولا يعدون رفاعة .

(٣) الجباب : المارل . منازل منى .

(٤) كان المشركون يلقبونه بذلك .

(٥) الصاة : جمع صاب . والصاني : الخارج من دينه . كانوا يسمون من أسلم بذلك .

(٦) أرب بن أزيب . اسم شيطان .

فرجعنا إلى مضاجعنا . فمنا عليها حتى أصبحنا . فلما أصبحنا غدت علينا
جِلَّةُ قريشٍ فقالوا : يا معشرَ الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا
هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا . وإنه والله ما من حيٍّ
من العرب أبغضُ إلينا أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم ، منكم !
فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ،
وما علمناه ! وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض .
ونفر الناس من منى ، فتنطَّسَ^(١) القوم الخبرَ فوجدوه قد كان ، وخرجوا
في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذخر^(٢) . والمنذر بن عمرو ،
وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجزَ القوم ، وأما سعد فأخذوه . فربطوا
يديه إلى عنقه ينسَعُ رَحْلُهُ^(٣) ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ،
ويجذبونه بِجُمَّتِهِ^(٤) ؛ وكان ذا شعر كثير .
قال سعد :

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش ، فيهم رجلٌ وضيءٌ
أبيض ، شَعْشَاعٌ^(٥) حلَّو من الرجال . فقلت في نفسي : إن يك عند أحدٍ من
القوم خيرٌ فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكمةً شديدة ، فقلت في
نفسي : والله ما عندهم بعد هذا من خير ! فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني
إذ أوى لي^(٦) رجلٌ ممن كان معهم فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحدٍ من
قريشٍ جوارٌ ولا عهد ؟ قلت : بلى والله . لقد كنت أجير لجُبَيْر بن مطعم بن
عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارُهُ وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ؛
وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك
فاهتفُ باسم الرجلين واذكُرْ ما بينك وبينهما .

قال : ففعلتُ وخرج ذلك الرجلُ إليهما . فوجدَهما في المسجد عند

(١) أي أكثروا البحث . (٢) أذخر : موضع قريب من مكة .

(٣) النسع : شراك يشد به الرجل .

(٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٥) الشَعْشَاع : الطويل الحسن .

(٦) أوى له : رَق له ورحمه .

الكعبة . فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أنَّ بينه وبينكما جواراً . قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالوا : صدق والله ، إن كان ليَجِيرُ لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يُظَلِّموا ببلده ! قال : فخلَّصنا سعداً من أيديهم ، فانطلق .

شروط بيعة العقبة الأخيرة

وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سيوى شرطه عليهم في العقبة الأولى . كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى : 'يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه ، واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة . قال عُبادة بن الصامت :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة ؛ في عُسرنا ويُسرنا ، ومُنْشَطْنَا ومَكْرَهْنَا^(١) ، وأَثَرِ^(٢) علينا . وألا ننازع الأمرَ أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنّا . لا نخاف في الله لومة لائم .

نزول الأمر بالقتال

وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلَّلْ له الدماء . إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفّوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتونٍ في دينه ، ومن بين معذَّب في أيديهم ، وبين هاربٍ في البلاد فراراً منهم ؛ منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة . وفي كل وجه . فلما عَتَتْ قريشُ على الله عزَّ وجلَّ ، وردُّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة . وكذبوا نبيَّ ﷺ ، وعذبوا ونفّوا من عبده

(١) المنشط : الأمر تشط له وتخفف له . وهو خلاف المكره .

(٢) الأثرة بمعنى الاستئثار . إشارة إلى إثارة المهاجرين على أنفسهم .

وَوَحَّدَهُ وَصَدَّقَ نَبِيَّهٖ ، وَاعْتَصَمَ بِدِينِهِ ، أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ وَالْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَبَغَى عَلَيْهِمْ . فَكَانَتْ أَوَّلُ آيَةٍ أَنْزَلَتْ فِي إِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَإِحْلَالِهِ لَهُ الدَّمَاءَ وَالْقِتَالَ ، فِيمَا بَلَغْنِي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوَامِعُ وَبِعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿

أَيُّ إِنِّي إِنَّمَا أَهْلَلْتُ لَهُمُ الْقِتَالَ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا إِذَا ظَهَرُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ . يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أَيُّ لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ . أَيُّ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا يُعْبَدُ مَعَهُ غَيْرُهُ .

الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة

فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ﷺ فِي الْحَرْبِ ، وَبَايَعَهُ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ أَتَبَعَهُ وَأَوَى إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا ، وَاللِّحْقَ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا » . فَخَرَجُوا أَرْسَالًا^(١) وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذُنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، وَالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) أَيُّ جَمَاعَاتٍ . وَاحِدَةً إِثْرَ الْأُخْرَى .

ذكر المهاجرين إلى المدينة

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة . وكان قدم رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة ، فلما آذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليلي بنت أبي حنمة . ثم عبدالله بن جحش ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ابن جحش ، وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً . ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيثاش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة ، ثم تتابع المهاجرون .

هجرة الرسول ﷺ

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُس وقتن ، إلا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » ، فيطمع أبو بكر أن يكونه . ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة . فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قُصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ ، حين خافوه .

عن ابن عباس قال : لما أجمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ، ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، غَدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمَّى يوم الزَّحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل^(١) ، عليه بَتَّ^(٢) ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد^(٣) سمع بالذي اتَّعدتم له ، فحضر معكم لسمع ما تقولون ، وعسى ألا يُعْدمكم منه رأياً ونُصحاً ! قالوا : أجل فادخل . فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قُرَيْش ، فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنَّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتَّبعه من غيرنا . فاجتمعوا فيه رأياً .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهيراً والنابعة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ! فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلاؤشكوا أن يشبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتَّى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره ..

فتشاوروا ثم قال قائل منهم^(٤) : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرجَ عتّا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غابَ عتّا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حُسن حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك

(١) جليل : مسن (٢) البت : كساء غليظ مربع .

(٣) السهيلي : إنما قال لهم ، إني من أهل نجد ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجد .

(٤) هو أبو الأسود ربيعة بن عامر .

ما أمتنم أن يحُلَّ على حيٍّ من العرب . فيغلبَ عليهم بَذَلِك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديرُوا فيه رأياً غير هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً^(١) فينا ، ثم نعطي كل فتًى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد منافٍ على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل^(٢) ، ففعلناه لهم .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي غيره !!
تفرق القوم على ذلك وهم مُجمعون له .

فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله ﷺ فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنتَ تبيت عليه .

فلما كانت عتمةً من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيشبون عليه ؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نَمْ على فراشي ، وتَسَجَّ^(٣) ببردي هذا الحضرميَّ الأخضر^(٤) فَنَمْ فيه ، فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهه منهم .

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

عن محمد بن كعب القرظي قال :

لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إنَّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم فجُعِلت لكم جناتٌ كجنات الأردن . وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح . ثم

(١) الوسيط : الشريف .

(٢) العقل : الدية .

(٣) تسجى بالثوب : غطى به جسده ووجهه

(٤) الحضرمي : مسوب إلى حضرموت .

بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها .

وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك . أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يَسْـَٔلُ الْوَقْرَانَ الْحَكِيمَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات . ولم يبق منهم رجلٌ إلَّا وقد وُضِعَ على رأسه تراباً . ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمدًا . قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد . ثم ما ترك منكم رجلاً إلَّا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته . أفأترَوْنَ ما بكم ؟ فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب . ثم جعلوا يتطَّلعون فيرون علياً على الفراش مُتَسَجِّجاً بُرْد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمدًا نائماً . عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا . فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال . فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له رسول الله ﷺ : لا تعجلْ لعَلَّ الله يجعلُ لك صاحباً - قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه حين قال له ذلك - فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما .

قالت عائشة : كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحدَ طرفي النَّهار . إما بكرةً وإما عشيةً ، حتَّى إذا كان اليوم الذي أُذِن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه . أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعةٍ كان لا يأتي فيها . فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله ﷺ هذه الساعةَ إلَّا لأمرٍ حدث ! فلمَّا دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره . فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكرٍ إلَّا أنا وأختي أسماء بنت

أبي بكر . فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك . فقال : يا رسول الله . إنما هما ابنتاي . وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ؟ قال : الصُّحبة . قالت : فوالله ما شعرت . قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكرٍ يبكي يومئذ . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبدَ الله بن أرقط ، وكان مشركًا ، بدلُهما على الطريق . فدفعنا إليهما راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج . إلَّا علي بن أبي طالب ؛ وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر . أما عليٌّ فإنَّ رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه . وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس . وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلَّا وضعه عنده . لما يعلم من صدقه وأمانته .

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروجَ ، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة فخرجوا من خَوْخَةٍ^(١) لأبي بكر في ظهر بيته . ثم عمداً إلى غارٍ بِثُورٍ^(٢) فدخلا . وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناسُ فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما . يأتيهما إذا أمسى في الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما^(٣) . فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر . وجعلت قريشُ

(١) الخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب .

(٢) جبل بأسفل مكة .

(٣) ابن هشام عن الحسن البصري : « انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً . فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ . فلمس الغار . لينظر : أفيه سبع أو حية ؟ بقي رسول الله ﷺ بنفسه » .

فيه . حين فقدوه . مائة ناقة . لمن يرذه عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم . يسمع ما يأتمرون به . وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر . ثم يأتيهما إذا أمسى فيحبرهما الخبر . وكان عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه . يرعى في رعيان أهل مكة . فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر . فاحتلبا وذبحا . فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة . أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه . حتى إذا مضت الثلاث . وسكن عنهما الناس . أتاهما صاحبهما الذي استأجره . ببيعيريهما وبيعير له . وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما . ونسيت أن تجعل لها عصاماً^(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفره فإذا ليس لها عصام . فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ، ثم علقتها به .

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق . لذلك^(٢) .

فلما قرَّب أبو بكر . رضي الله عنه . الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدَّم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فذاك أبي وأمي ! فقال رسول الله ﷺ : إني لا أركب بغيراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله . بأبي أنت وأمي ! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد أخذتها به . قال : هما لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام . فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة

(١) العصام : رباط القرية والمزادة ونحوهما .

(٢) قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . وتفسيره بأنها لما أرادت أن تعلق السفره شقت نطاقها بائنتين . فعلقت السفره بواحد . وانتطقت بالآخر » .

طَرَحَ مِنْهَا قَرطِي !

ثم انصرفوا . فكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجهُ رسول الله ﷺ .
حتى أقبلَ رجلٌ من الجنِّ من أسفل مكَّةَ ، يتغنَّى بأبياتٍ من شعر غِناء العرب ،
وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكَّةَ وهو يقول :
جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رفيقَين حلاًّ خيمتي أمّ معبد^(١)

هما نزلا بالبرِّ ثم تروّحا فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمدٍ
ليهنَّ بني كعبٍ مكانَ فتاتهم ومقعدُها للمؤمنين بمرصد
فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجهُ رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة .
قال سراقه بن مالك بن جُشم : لما خرج رسول الله ﷺ من مكَّة
مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردَّه عليهم . فبينما أنا جالس
في نادي قومي إذ أقبلَ رجلٌ منّا حتى وقفَ علينا ، فقال : والله لقد رأيت
ركبةً ثلاثة مروا عليّ آنفاً ، إني لأراهم محمداً وأصحابه . فأومأت إليه بعيني :
أن اسكت . ثم قلت : إنما هم بنو فلانٍ يبتغون ضالةً لهم ! قال : لعله . ثم سكّ
ثم مكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقيّدت لي إلى بطن
الوادي ، وأمرتُ بسلاحي فأخرج لي من دُبر حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي
أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبستُ لأمتي^(٢) ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ،
فخرج السهم الذي أكره « لا يضره »^(٣) . وكنت أرجو أن أردّه على قريش
فأخذ المائة الناقة . فركبتُ على أثره ، فبينما فرسي يشتدُّ بي عثر بي ، فسقطت
عنه ، فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي
أكره « لا يضره » . فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم

(١) أم معبد . واسمها عاتكة بنت خالد : امرأة من بني كعب . نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر .
وعامر بن فهيرة . وعبد الله بن أرقط . فسألوها لحما وتمرا يشترون منها . فلم يصيبوا عندها شيئاً ،
ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمه لا تدر . فاستاذنها أن يحلبها ، فسح ضرعها فدرت درأً غزيراً .
ثم بايعته المرأة على الإسلام .

(٢) اللأمة : الدرع والسلاح .
(٣) أي المكتوب فيه هذه الكلمة .

ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » فأبيت إلا أن أتبعه . فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت يده في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر^(١) ، فناديت القوم فقلت : أنا سراقه ابن جُعشم ، أنظروني أكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتاكم مني شيء تكرهونه . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : قل له : وما تبغي منا ؟ فقال ذلك أبو بكر . قلت : تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتاباً في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ، ثم ألقاه إليّ ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت . فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه فلقينته بالجرعانة^(٢) ، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غزوه^(٣) كأنها جُمّارة . فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله ؛ هذا كتابك لي ، أنا سراقه بن مالك بن جعشم . فقال رسول الله ﷺ : يوم وفاء وبر ، ادنه . فدنوت منه فأسلمت . ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره ، إلا أنني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأها لإبلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : « نعم ، في كل ذات كبدٍ حرّى أجر » . ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقي . قال ابن إسحاق :

(١) أي غالب منتصر .

(٢) الجرعانة : ماء بين الطائف ومكة .

(٣) الغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرّج .

فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قُديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخُرَّار ، ثم سلك بهما لِقْفاً ، ثم أجاز بهما مَدْلجة لِقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلجة مَحَاج ، ثم سلك بهما مَرَجِح مَحَاج ، ثم تبطن بهما مَرَجِح من ذِي الْعَصَوَيْن ، ثم بطن ذِي كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأَجْرَد . ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مَدْلجة تَعِين ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما الفَاجَة

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعضُ ظهرهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حَجَر^(١) ، على جملي له يقال له ابن الرِّداء ، إلى المدينة ، وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيذة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ، حتَّى هبط بهما بطن ريم ، ثم قديم بهما قُبَاء على بني عمرو بن عوف ، لاِثْنِي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الصَّحَاء وكادت الشمس تعتدل .

قدوم قُبَاء

عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ، قال : حدَّثني رجالٌ من قومي ، من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا :

لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، وتوَكَّفنا^(٢) قدومه ، كنّا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله لا نبرح حتَّى تغلبنا الشمسُ على الظُّلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس ، حتى

(١) أوس بن حجر هذا صحابي . وهو غير أوس بن حجر الشاعر الجاهلي .

(٢) توَكَّفناه : استشعرناه وانتظرناه .

إذا لم يبقَ ظلٌ دخلنا بيوتنا . وقدمَ رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أولَ مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة^(١) ، هذا جدُّكم^(٢) قد جاء . فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنِّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك ، وركبه الناس^(٣) وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظلُّ عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكرٍ فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك .

قال ابن إسحاق :

فترل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - على كلثوم بن هدم ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان منزلاً الأعزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين . ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على حُبَيْب بن إساف . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد .

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ ، فترل معه على كلثوم بن هدم . فأقام رسول الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس . وأسس مسجده .

قدوم المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . فأدركت رسول الله ﷺ

(١) هم الأنصار جميعاً . وقيلة جدة كانت لهم .

(٢) أي ازدحموا عليه . (٣) الجدة . الحظ .

الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلًا لها في المسجد الذي في بطن الوادي ،
وادي رانونا ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة . في رجال من بني سالم بن
عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا
سبيلها . فإنها مأمورة - لناقته - فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني
بيضة تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بني يياضة ، فقالوا :
يا رسول الله ، هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها
مأمورة . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد ،
والمندر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم
إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها
فانطلقت . حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن
الربيع وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن
الخزرج فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال :
خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت . حتى إذا مرت بدار بني
عدي بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو ، إحدى
نسائهم - اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة ، في رجال
من بني عدي بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلى أخوالك ، إلى العدد
والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده ﷺ
وهو يومئذ مريد^(١) لغلामين يتيمين من بني النجار - وهما في حجر معاذ بن
عفراء - سهل وشهيل ابني عمرو . فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل
وثبت ، فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ،

(١) المراد : الموضع الذي يحفف فيه الثمر

ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم تحلحلت^(١) وأرزمت^(٢) ووضعت جرائنها^(٣) ، فتزل عنها رسول الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذهُ مسجداً .

فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً ، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والانصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعملُ لَدَاكَ مِنَّا العملُ المضللُ

وارتجز المسلمون ، وهم يبنونه ، يقولون : « لا عيش إلا عيشُ الآخرة ، اللهم ارحم الانصار والمهاجرة » . فيقول رسول الله ﷺ : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار » .

فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه . قال أبو أيوب :

لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل السُّفلَ ، وأنا وأمُّ أيوب في العلُو ، فقلت له : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، إني لأكرهُ وأعظِمُ أن أكون فوقك وتكونَ تحتي ، فإظهر أنت فكن في العلُو ، وننزل نحن فنكون في السُّفلَ . فقال : يا أبا أيوب ، إنَّ أرفقَ بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت . قال : فكان رسول الله ﷺ في سَفْله وكُنَّا فوقَه في المسكن ، فلقد انكسر حُبُّ^(٤) لنا فيه ماء ، فقممت أنا وأمُّ أيوب بقטיפية^(٥) لنا مالنا لحافٌ غيرها ،

(١) تحلحلت : تحركت . (٢) أرزمت . صوتت .

(٣) الجران : ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها .

(٤) الحب : الجرة . أو جرة ضخمة . (٥) قטיפية : كساء له خمل . أي أهداب .

نَشَفَ بها الماء ، تخَوَّفاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ .
 قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تيمَّمتُ
 أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة
 بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فردَّه رسول الله ﷺ ، ولم أر ليده
 فيه أثراً ، فجبته فزعاً فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، رددتَ
 عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا تيممتُ أنا وأم أيوب
 موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة . قال : إنِّي وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا
 رجلٌ أناجي ، فأما أنتم فكلوه .
 قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن اسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة
 منهم أحدٌ إلا مفتون أو مجوس ، ولم يُوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم
 وأمواهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهلُ دُورٍ مسمون :
 بنو مطعون من بني جمح ، وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أمية . وبنو البكير
 من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب ، فإنَّ دُورهم غُلقتْ بمكة هجرة ،
 ليس فيها ساكن .

الخطب والعهود بالمدينة

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدِمها شهرَ ربيع الأول إلى صفر من
 السنة الداخلة ، حتَّى بُنيَ له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحيِّ
 من الأنصار ، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من
 خَطْمَةٍ وواقف وواثل وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حيٌّ من الأوس ، فإنهم
 أقاموا على شركهم .

وكانت (أوَّلُ خطبة) خطبها رسول الله ﷺ - فيما بلغني عن أبي سلمة بن
 عبد الرحمن ، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام

ففيهم ، فحميد الله وأثنى عليه بحمده هو أهله ، ثم قال .
 أما بعد ، أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم . تَعَلَّمَنَّ والله لِيُصَعِّقَنَّ أَحَدُكُمْ .
 ثم لِيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ ، ثم لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ
 يَحْجِبُهُ دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِكِ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ ، وَآتَيْتِكَ مَالاً وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ؟ فَمَا
 قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ فَلْيَنْظُرْ يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَا يَرَى شَيْئاً ، ثم لِيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى
 غَيْرَ جَهَنَّمَ . فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ
 يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ،
 وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرة أخرى فقال :
 إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ
 أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيْنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى
 مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ . أُحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ ،
 أُحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ، وَلَا تَمْلُؤُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبَكُمْ ،
 فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي ، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ (١)
 وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ (٢) ، وَالصَّالِحَ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَمَنْ كُلُّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ
 الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتَّقُوا حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَاصْدُقُوا
 اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ . إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أَنْ
 يُنْكَثَ عَهْدُهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

* * *

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادّخ فيه يهودَ
 وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم

(١) أي الذكر وتلاوة القرآن لقوله تعالى : (يَخْلُقْ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) .

(٢) أي وسى المصطفى من عباده .

123

النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم . وإنَّ سلّم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً . وإن المؤمنين بُيِّء^(١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه . وإنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتَبَطَ^(٢) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قَوْدٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافةٌ ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه . وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نَصَرَه أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني التّجار مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته . وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشّطيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البرّ دون الإثم^(٤) ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإنّ بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم .

(١) أمانه به . قتله به . جعله يواء له . (٢) اعتبطه : قتله بلا جناية توجب القتل .

(٣) يوتغ : يهلك (٤) أي إن البر والوفاء ببغي أن يكون حاجراً عن الإثم

وإن الله على أبرّ هذا^(١) . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والتصحية والبرّ دون الإثم . وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين^(٢) . وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالتنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة الآباذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه . وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم . وإنّ يهود الأوس ، مواليتهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة . وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه ، وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جارٌ لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن اسحاق :

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ،

فقال — فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل .

(١) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

(٢) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً . كان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين . وشرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب .

« تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخْوَيْنَ أَخْوَيْنَ » . ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال :
هذا أخي . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّدُ المرسلين وإمامَ المتقين .
ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي
طالب رضي الله عنه أخوين . وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله
صلى الله عليه وسلم وعمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزيد بن حارثة
مولى رسول الله أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين خصره القتال إن حدث
به حادث الموت . وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيّار . ومعاذ بن جبل
أخو بني سلمة أخوين .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بن أبي قُحافة وخارجة بن زهير
أخوين ، وعمر بن الخطاب وعُتبان بن مالك أخوين . وأبو عبيدة بن الجراح
وسعد بن معاذ أخوين . وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين .
والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين . وعُثمان بن عفان وأوس
ابن ثابت بن المنذر أخوين . وطلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك أخوين .
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبيّ بن كعب أخوين . ومصعب بن عمير
وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين . وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين .
وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين . وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو
أخوين .

وكان حاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين . وسلمان الفارسي
وأبو الدرداء أخوين . وبلال مولى أبي بكر وأبو رويحة أخوين .
فهؤلاء من سمّي لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم
من أصحابه .

خبر الأذان

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من

المهاجرين . واجتمع أمر الأنصار ، استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنمّا يجتمع الناس اليه للصلاة لحين موافقتها بغير دعوة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذي يهرعون به لصلاتهم ، ثم كرهه . ثم أمر بالناقوس فُنحت ليضربَ به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج النداء : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله . إنّه طاف بي هذه الليلة طائف ، مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً في يده فقلت له : يا عبدالله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله . أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح . حيّ على الفلاح . الله أكبر ، الله أكبر . لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّها لرؤيا حق إن شاء الله فقمّ مع بلال فألقها عليه فليؤذّن بها . فإنّه أندى صوتاً منك^(١) . فلما أذّن بها بلالٌ سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته . فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزّ رداءه . وهو يقول : يانبي الله . والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد على ذلك .

(١) أي أعلى وأرفع وأبعد مذهبا .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قديماً وهي أوباً أرض الله من الحمى . فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقم ، فصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة وبلال مولياً أبي بكر . مع أبي بكر في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من سدة الوءك^(١) . فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال : كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شرك نعله فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول !

ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال : لقد وجدت الموت قبل ذوقه إنَّ الجبان حَتَفَهُ من فوقه كل امرئ مجاهد بطوقه^(٢) كالشور يحمي جلده بروقه^(٣)

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول !

وكان بلال إذا تركه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته^(٤) فقال : ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بفحّ وحوالي إذخِرٌ وجليل^(٥) وهل أردن يوماً مياةً مجّنةً وهل يبدؤن لي شامةً وطفيل^(٦) فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقلت : أنهم ليَهْدُون وما يعقلون من سدة الحمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الوءك : شدة ألم المرض

(٢) البروق : القرن

(٣) البروق : القرن

(٤) البروق : القرن

(٥) فح : موضع خارج مكة . الإذخر : نبت طيب الرائحة . والجليل : النمام .

(٦) شمة : اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل مكة على قدر بريد منها . وشامة وطفيل : حبلان مكة .

« اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ أو أَشَدَّ ، وبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّهَا
وصَاعِهَا ^(١) . وانتَقِلْ وبَاعِهَا إِلَى مَهْيَةِ ^(٢) »

تاريخ الهجرة

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . حين انتَدَّ الضُّحَاءُ
وكادت الشمس تعتدل ، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه
الله عزَّ وجلَّ بثلاث عشرة سنة ، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع
الآخر ، وجماديين . ورجَبَ . وشعبان ورمضان ، وشوالا . وذا القعدة .
وذا الحجة . والمحرم .

أول الغزوات

ثم خرج غازياً في صفر غزوة ودان على رأس اثني عشر شهراً من مقدِّمه
المدينة . حتى بلغ ودَّان . وهي غزوة الأبواء . يريد قريشا وبني ضمرة بن
بكر بن عبد مناة بن كنانة . فوادعته فيها بنو ضمرة . ثم رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا . فأقام بها بقية صفر وصدراً من
شهر ربيع الأول .

سرية عبيدة بن الحارث

وهي أول راية عقدتها عليه السلام

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مقامه ذلك بالمدينة . عبيدة بن
الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي . في ستين أو ثمانين راكباً من

(١) أي ما يكال بالمد والصاع . المد : رطلان عند أهل العراق ، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز . والصاع :
أربعة أمداد عند الحجازيين .

(٢) مهية . هي الجحفة . وهي ميقات أهل الشام .

المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بأسفل ثنية المرة .
فلقي بها جمعا عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي
وقاص قد رُمي يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام .
ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر^(١)
من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين . ليس فيهم من الأنصار
أحد . فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلثة راكب من أهل مكة .
فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني . وكان موادعا للفريقين . فانصرف
بعض القوم عن بعض . ولم يكن بينهم قتال .

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشا^(٢) .
حتى بلغ بواط^(٣) ، من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيذا ،
فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غزوة العُشيرة

ثم غزا قريشا^(٤) ، فنلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الحَبَار فتزل
تحت شجرة ببطحاء ابن أزره ، فصلَّى عندها ، فثَمَّ مسجده صلى الله عليه
وسلم ، وصنع له طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثافي البرمة معلوم
هنالك ، واستقي له من ماء به يقال له : المُشَرَّب ، ثم ارتحل رسول الله صلى

(١) السيف . بالكسر : الشاطئ .

(٢) واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

(٣) جبل من جبال جهة . بقرب ينبع .

(٤) واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

الله عليه وسلم فترك الخلائق^(١) بيسار ، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبدالله . ثم صبَّ لليسار حتى هبط يَلِيل . فنزل بمجمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة . ثم سلك الفرش : فرش ملل ، حتى لقي الطريق بصُخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن ينبع . فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة . ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمرة . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا .

سرية سعد بن أبي وقاص

وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد ابن أبي وقاص . في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخَرَّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيدا .

غزوة سفوان

وهي غزوة بدر الأولى

ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهري على سرح المدينة^(٢) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه^(٣) حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر . وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ، وهي غزوة بدر الأولى . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وسبعان .

سرية عبد الله بن جحش

وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش في رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى .

(١) أُرِص بالمدينة لعبد الله بن أحمد بن جحش .

(٢) السرح : الإبل والمواشي تسرح للرعي بالعادة .

(٣) واستعمل على المدينة زيد بن حارثة .

وبعث ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا .
وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه . فيمضي لما أمر به . ولا
يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه . فإذا فيه :
إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل « نخلة » بين مكة والطائف . فترصد
بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم .

فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال
لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة ، أرسد بها
قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم . فمن كان
منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع . فأما
أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف منهم أحد .
وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق القرع يقال له : بحرّان ،
أصل سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه
في طلبه ، ومضى عبدالله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت
به عير لقريش تحمل زيبا وأدماً^(١) وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو
ابن الحضرمي ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبدالله ،
والحكم بن كيسان ، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف
لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا :
عُمّاؤُ لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من
رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ
منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ! فتردّد القوم وهابوا
الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدرّوا عليه

(١) الأدم : الجلد .

منهم وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بنهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبدالله فأعجزهم ، وأقبل عبدالله بن جحش بالغير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف الغير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سَقَطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا ، وعنتهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا . وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ! فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممَّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل . ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ ، أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ^(١) ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : لا

(١) الشَّقِّق : الخوف والحذر .

تُفديكموهما حتى يَقدَمَ صاحبنا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل أصحابيكم ! فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

صرف القبلة إلى الكعبة

ويقال : صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .

غزوة بدر الكبرى

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير قريش عظيمة ، فيها أموال لقريش ، وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون ، منهم مخرمة بن نوفل ، وعمر بن العاص . فندب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكموها . فانتدب الناس ، فحفت بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ! فحذر عن ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم ابن عمرو سريعاً إلى مكة .

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال

رؤيا أفرعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبة . فآتكم غني ما أحدثك به . فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره ^(١) على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ^(٢) فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقه !

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فآكتميتها ولا تذكرها لأحد . ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة حتى تحدث به قريشٌ في أندية .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعودٍ يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأي أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قلت وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة . فقلت : وما رأيت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب .

(٢) ارفضت : تفرقت وتمتت .

(١) مثل به : قام .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه من كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . ثم تفرقنا ، فلما أُمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير^(١) لشيء مما سمعت ! قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأعرضنَّ له ، فإن عاد لأكفيَنَّكَنَّهُ .

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغضَّب ، أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه منه . فدخلت المسجد فرأيتَه ، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضُهُ ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلُّ هذا قرقُ مني أن أشاتمَه ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرُخ يبطن الوادي واقفاً على بعيه ، قد جدَّع بعيه^(٢) وحول رحله وشقَّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرضَ لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها ! الغوث الغوث ! فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعاً وقالوا : أبطن محمد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي^(٣) . كلا والله ليعلمنَّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت^(٤) قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أنَّ أبا لهبٍ بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له^(٥) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزى عنه .

(١) الغير : الغيرة . (٢) جدعه : قطع أنفه .

(٣) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش . انظر ما سبق في صفحة ١٣٤ س ١

(٤) أوعبت : خرجت كلها للزور . (٥) لاط : احتبس وامتسك .

وأن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي مُعيطٍ ، وهو جالسٌ في المسجد بين ظهرائي قومه ، بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر^(١) حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء . قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تجهز فخرج مع الناس .

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جُعشم المدلجي فقال لهم : أنا جازٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس ثم ردَّ أبا لُبابة من الرِّوحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض . وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً . وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً . وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً .

فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش . ثم مرَّ على ثُرَبان ثم على مَلَك ثم غَميس الحَمَام من مَرَيْن . ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السَّيالة ، ثم على

(١) المجر : العود يتبخر به .

فَجَ الرُّوحَاءُ ثُمَّ عَلَى شَنُوكَةٍ . حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْرُقُ الظُّبْيَةِ لَقُوا رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ فَسَأَلُوهُ عَنِ النَّاسِ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبْرًا ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . قَالَ : أَوْفِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي عَمَّا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ . قَالَ لَهُ سَلْمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ : لَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَأَنَا أَخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ ، نَزَوْتُ عَلَيْهَا ، فَفِي بَطْنِهَا مِنْكَ سَخْلَةٌ^(١) ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَهْ ، أَفَحَشَتَ عَلَى الرَّجُلِ ! ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ سَلْمَةَ .

وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَجَسَجَ ، وَهِيَ بَثْرُ الرُّوحَاءِ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَرَفِ تَرَكَ طَرِيقَ مَكَّةَ بَيْسَارَ . وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى النَّازِيَةِ يَرِيدُ بَدْرًا . فَسَلَكَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا حَتَّى جَزَعَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ رُحْقَانُ ، بَيْنَ النَّازِيَةِ وَبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ . ثُمَّ عَلَى الْمَضِيقِ ، ثُمَّ انْصَبَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الصَّفْرَاءِ بَعَثَ بِسَبْسَ بْنِ عَمْرٍو الْجُهَنِيِّ وَعَدِيَّ بْنِ أَبِي الرُّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ إِلَى بَدْرٍ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ . ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَدَّمَهُمَا .

وَأَتَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قَرِيشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قَرِيشٍ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ . ثُمَّ قَامَ الْمُقَدِّدُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرَكِ الْعِمَادِ^(٢) ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ . وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْأَنْصَارَ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقْبَةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ

(٢) بَرَكُ الْعِمَادِ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ

(١) السَخْلَةُ : الصَّغِيرَةُ مِنَ الضَّأْنِ اسْتَعَارَهَا لَوْلَدِ النَّاقَةِ .

إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا ، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نُصْرَةً إِلَّا مَنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَجَلٌ . قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدُونَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . فَامْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بَنَاهَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ . وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بَنَاهَذَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبُورٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُوقٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، فَيَسِّرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ !

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ . وَنَشَطَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا وَأَبْشَرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ^(١) ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مِصَارِعِ الْقَوْمِ !

ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ^(٢) حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا أَخْبِرُكُمْ حَتَّى تَخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ ؟ قَالَ : أَذَاكَ بِذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ الشَّيْخُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ :

(١) الطائفة الأولى طائفة عير قريش ذات التجارة العظيمة ، وفيها أبو سفيان وأبو عمرو بن العاص ، والأخرى الطائفة التي استغفروا أبو جهل ، وكانوا ذوي شوكة وعدد .

(٢) هو أبو بكر الصديق .

من أنما؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ! ثم انصرف عنه . يقول الشيخ :
ما من ماء؟ أمن ماء العراق ؟

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والذبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبرَ عليه ، فأصابوا راوية^(١) لقريش ، فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي . فقالا : نحن سقاة قريش نعتونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما^(٢) قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته ، ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله إنهما لقريش ! أخبراني عن قريش ؟ قال : هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى . فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالوا : لا ندري . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قال : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث ابن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبية ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(٣) !

وكان بسبس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء ، قد مضيا حتى نزلا بدرأ . فأنابا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شئاً^(٤) لهما يستقيان فيه ، ومجدي

(١) الراوية : العير يستقي عليه الماء . والمراد بها السقاة .

(٢) أذلقوهما : بالغوا في ضربهما حتى أجهدهما .

(٣) جمع فلذة . وهي القطعة . (٤) الشن : الزق البالي

ابن عمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوارِي الحاضر^(١) وهما يتلازمان^(٢) على الماء ، والملزومة^(٣) تقول لصاحبتها : إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ فَأَعْمَلْ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ ، قال مجدي : صدقت . ثم خَلَصَ بينهما . وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أَنِّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلِّ ، ثم استقيا في شئٍ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتته فإذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحلَ بها ، وترك بدراناً ييسار ، وانطلق حتى أسرع . ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إِنَّمَا خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نردَ بدراناً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجُزُر ونُطعم الطعام ، ونُسقى الخمر وتعزف علينا القيان^(٤) ، وتسمع بنا العرب ويمسیرنا وجَمْعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً^(٥) ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرض ولم يمنعمهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله ﷺ يباذرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

(٢) التلازم . أن يتعلق الغريه بغريمه .

(٤) القيان : الجوارِي المغنيات .

(١) الحاضر : القوم البرول على الماء .

(٣) الملوزمة : المدينة . التي عليها الدين .

(٥) الدهس : اللين لم يبلغ أن يكون زملا .

قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمتزلاً
أنزلَكَ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟
فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس
بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله . ثم نفور^(١) ما
وراءه من القلب ، ثم نبي عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم ، فنشرب
ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي . فنهض رسول
الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل
عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَ ، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه .
فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ﷺ ألا نبي لك عريشا تكون فيه . ونعبدُ
عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا . كان
ذلك ما أحببنا . وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقنا بمن وراءنا
من قومنا ، فقد تخلفَ عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدَّ لك حُباً منهم . ولو
ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يَمْنَعُكَ الله بهم ، يناصرونك ويجاهدون
معك .

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ، ودعاه بخير ثم بني لرسول الله ﷺ
عريش فكان فيه .

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ
تَصَوَّبُ^(٢) من العَقَقَل - وهو الكتيب الذي جاءوا منه الى الوادي - قال :
اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٣) وفخرها ، تحادُّك وتكذب رسولك
اللهم فنصركَ الذي وعدتني ، اللهم أحْنِهم الغداة^(٤) !

فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ ،
فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فما شرب منه رجلٌ

(٢) أي تنحدر

(٤) أحْنِهم : أهلكهم . حان . هلك

(١) النفور : الدفء والطمس .

(٣) الخيلاء : الكبر والاعجاب .

يومئذٍ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل ، ثم أَسْلَمَ بعد ذلك فحسُنَ إسلامُهُ ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني من يوم بدر !

ولما اطمأنَّ القوم بعثوا عُمَيْرَ بن وهب الجمحي فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد . فاستجبال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلثائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظرَ اللقوم كمين أو مدد ؟ ففُصِرَ في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئاً ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش ، البلايا^(٢) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع^(٣) ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتَلَ رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حِزَام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى ألا تزال تُذكرُ فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(٤) قال : قد فعلتُ ، أنت عليّ بذلك ، إنما هو حليفي فعليّ عقله^(٥) وما أصيب من ماله ، فأَتِ ابن الحنظلية^(٦) فإني لا أخشى أن يشجّرَ أمرَ الناس^(٧) غيره . ثم قامَ عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، قَتَلَ ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته . فارجعوا واخلُّوا بين محمد وسائر العرب : فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك

(١) احزُر : أي قدر بالحدس والظن .

(٢) البلايا : جمع بلية . وهي الناقة أو الدابة تربط إلى قبر الميت فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت .

(٣) النواضح : الإبل يستقى عليها . الناقع : الثابت . البالغ في الإفناء .

(٤) انظر ما مضى في سرية عبد الله بن جحش ص ١٣٤ .

(٥) العقل : الدية .

(٦) هو أبو جهل بن هشام . أمه من حنظلة بن مالك .

(٧) أي يخالف بينهم .

ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل^(١) درعاً له من جرابها فهو يهشها^(٢) ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال . فقال : انتفخ والله سحره^(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور^(٤) وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك^(٥) ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمرأه واعمرأه^(٦) ! فحميت الحرب ، وحقب أمر الناس^(٧) ، واستوسقوا^(٨) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيء الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه ! فلما خرج ؛ خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه^(٩) بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(١٠) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يبرّ بيمينه . وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

(١) نثل : أخرج .

(٢) يهشها : يطلبها بعكر الزيت . ويرى : " يهشها " .

(٣) السحر : الرقة . وهذا كناية عن الجبن .

(٤) أي قليلو العدد . وأكلة الجزور نحو المائة . انظر ص ١٤١ .

(٥) أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك . أي عهدهم . فقد كان جارا لهم وحليفاً .

(٦) يندب أخاه عمرو بن الحضرمي

(٧) حقب : اشتد .

(٨) استوسقوا : اجتمعوا .

(٩) تشخب : تسيل بصوت .

(١٠) أطارها : أطارها .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين اخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ، ورجل آخر يقال هو عبدالله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديبهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم فقالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي . قالوا : نعم ، أكفأ كرام . فبارز عبيدة - وكان أسنَّ القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن تله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ^(١) ، وكرَّ حمزة وعليَّ بأسيا فهما على عتبة فذقفا عليه ^(٢) واحتملا صاحبهما إلى أصحابه .

ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم ^(٣) عنكم بالنبل . ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنى عشر

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر الصديق ، ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربَّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ! وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك .

وقد خفق رسول الله خفقة ^(٤) وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشروا

(١) أثبتته : حرقه جراحة لم يقم معها .

(٢) ذفف عليه : أجهز وأسرع .

(٣) انضحوهم : ارموهم .

(٤) أي نام نومة سيرة .

يا أبا بكر ، أذاك نصرُ الله ! هذا جبريل أخذُ بعنانِ فرسٍ يقوده ، على ثناباه
الْتَقَعَ (١) .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال : والذي نفس محمد
بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا
أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمَام ، أخو بنو سلمة ، وفي يده تمراتٌ
يأكلهن : بخ بخ (٢) ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم
قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل .

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفَنَةً من الحصباء فاستقبلَ قريشاً بها ، ثم
قال : شأته الوجوه ! ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدُّوا ! وكانت
الْهَزِيمَةُ . فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .
عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ : إني عرفت أن
رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن
لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختری بن هشام بن
الحارث بن أسد فلا يقتله . ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه
إنما أخرج مُستكرهاً . فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك
العبّاس ؟ والله لئن لقيته لألحمتَه السيف (٣) ! فبلغتُ رسول الله ﷺ فقال
لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أیضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف ؟
فقال عمر : يا رسول الله دعني فلاضربُ عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافق !
فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا
أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ! فقتل يوم البمامة شهيداً .

ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدرٍ من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه
من الأيام عدداً ومَدَداً ، لا يضربون .

(١) التّقع . العار .

(٢) كلمة يقال عند الإعجاب .

(٣) أي لأمكن منه السيف . ويروى : « لألحمتَه » أي لأضربه به في وجهه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأي جهل أن يلتبس في القتل .
 قال ابن مسعود : احترزت رأسه ثم جثت به رسول الله ﷺ فقلت : يا
 رسول الله . هذا رأس عدو الله أي جهل . فقال رسول الله ﷺ : آله^(١) الذي لا
 إله غيره ! - قال : وكان يمين رسول الله ﷺ - قلت : نعم والله الذي لا
 إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله .
 ولما أمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا في القلب طرَحُوا ، إلا ما كان من
 أُمَيَّة بن خلف . فإنه انتفخ في درعه فملاها . فذهبوا ليحرِّكوه فترايل^(٢)
 لحسه فأقروه . وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم في
 القلب وقف رسول الله ﷺ فسمعه أصحابه من جوف الليل وهو يقول :
 يا أهل القلب . يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة ، ويا أُمَيَّة بن خلف ،
 ويا أبا جهل - فعدَّد من كان منهم في القلب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا
 فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا ؟ فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي
 قومًا قد جَبَّؤا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون
 أن يحيوني !

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر . مما جَمَعَ الناس ، فجمع ،
 فاختلف المسلمون فيه . فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون
 العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحنُ شغلنا عنكم القوم حتى
 أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخالفَ
 إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ منا . والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله
 تعالى أكتافه . ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه . ولكننا
 خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه . فما أنتم بأحقَّ به منا .

ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل
 العالية بما فتح الله عزَّ وجلَّ على رسوله ﷺ وعلى المسلمين . وبعث زيد بن

(٢) أي تساقط .

(١) أي والله

حارثة إلى أهل السافلة ، ثم أقبل قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيْط ، والنضر بن الحارث . واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أُصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف .

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية ، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء .

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهتفوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلُعا كالإبل المعقلة فنحن نأها ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملاء !

حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قُتِل النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب . ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عُقبة بن أبي معيط ، فقال عُقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصبيّة يا محمد ؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري . ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم ، وحين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال : استوصوا بالأسارى خيراً .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله . وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم ^(١) لا يأرب ^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء . وكان الأسود بن المطلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال

(١) أي تؤخروا فداءهم .

(٢) يأرب : يشتد .

لغلامٍ له وقد ذهب بصره : انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ^(١) ! هل بكت قريشٌ على قتلها ؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَة - فإن جوفي قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأةٌ تبكي على بَعِيرٍ لها أَصْلَتُهُ . فذلك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ السُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ^(٢)
عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْصِصَ وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِيٍّ إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِيٍّ حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِيَّتِهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ^(٣)

ثم بعثت قريشٌ في فداء الأسارى . فقدم مِكرز بن حفص في فداء سهيل ابن عمرو ، فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلى مكان رجله واخلأوا سبيلَه حتى يبعثَ إليكم بفدائه . فخلأوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم .

وكان عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، دعني أنزعُ ثَنِيَّتِي سهيل بن عمرو ، وَيَذْلَعُ^(٤) لسانَه فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسول الله ﷺ : لا أمثلُ به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً . وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى : ختنُ رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب ، وكان الإسلام فَرَقَ بين زينب حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلما سارت قريشٌ إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يومَ بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

(١) النحْب : التحيب . وهو رفع الصوت بالبكاء .

(٢) البكر : الفتى من الإبل . وفي الشعر إقواء ظاهر .

(٣) لا تسمى : لا تسمي . النديد : المثيل .

(٤) يذلع : يخرج .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها مالها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بماله وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلماً فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً . فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلماً خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء ^(١) : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلماً سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : أي بُنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل متا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه . فردوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالذكو ، ويأتي الرجل بالشنّة ^(٢) وبالإداوة ^(٣) حتى

(١) الصفة . السقيفة .

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : وعاء من الجلد صغير .

إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشُّظَاظِ^(١) ، حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئاً .
ثُمَّ احْتَمَلَ إِلَى مَكَّةَ فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قَرِيشٍ مَالَهُ ، وَمَنْ كَانَ أَبْضَعَ
مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؟
قَالُوا : لَا ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيمًا . قَالَ : فَأَنَا أَشْهَدُ
أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ
إِلَّا تَخَوُّفُ أَنْ تَنْظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُلَ أَمْوَالَكُمْ ، فَلَمَّا أَذَاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ
وَفَرَّغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

وَكَانَ مِنْ سَمِيِّ لَنَا مِنَ الْأَسَارَى مَنْ مَنَّ عَلَيْهِ بِغَيْرِ فِدَاءٍ أَبُو الْعَاصِ بْنِ
الرَّيْعِ وَالْمَطْلُبُ بْنُ حَنْطَبٍ ، وَصَيْفِيُّ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ ، وَأَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَهْيَبَ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، كَانَ مُحْتَاجًا ذَا بَنَاتٍ ،
فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَرَفْتَ مَالِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنِّي
لَذُو حَاجَةٍ وَذُو عِيَالٍ فَاغْنُ عَنِّي . فَمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَا
يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا فَقَالَ أَبُو عَزَّةَ فِي ذَلِكَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ
فِي قَوْمِهِ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا	بَأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ امْرُوءٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى	عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شُهُودٌ
وَأَنْتَ امْرُوءٌ بَوِّثٌ فِينَا مِبَاءَةٌ	لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودٌ ^(٢)
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبَتِهِ لِمَحَارَبٍ	شَقِيٌّ وَمَنْ سَأَلَمْتَهُ لَسَعِيدٌ

وَكَانَ فِدَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِلرَّجُلِ إِلَى أَلْفٍ دِرْهَمٍ ،
إِلَّا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ . فَمَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ .

وَجَمِيعٌ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(٢) أَيِ أَنْزَلَتْ فِينَا مِثْلَ عِظِيمَةٍ .

(١) الشُّظَاظُ : حَشَّةٌ تَدْخُلُ فِي عُرْوَةِ الْجَوَالِقِ .

بسهمة وأجره ثلاثة وثمانون رجلاً . وجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره واحد وستون رجلاً . وجميع من شهد بدرًا من الخزرج مائة وسبعون رجلاً .

فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والانصار ، من شهدا منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .

غزوة بني سُلَيم بالكدر

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيم ^(١) فبلغ ماءً من مياههم يقال له « الكُدْر » . فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . فأقام بها بقية شوال وذا القعدة . وأدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

غزوة السوق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّوِّق ^(٢) في ذي الحِجَّة . وولى تلك الحِجَّة المشركون من تلك السَّنة ، فكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل ^(٣) قريش من بدر ، نذر ألا يمس رأسه ماءً من جَنَابَةٍ ^(٤) حتى يغزو محمداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش ليبراً يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبلٍ يقال له « ثَيْب » من المدينة على بَرِيدٍ أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضِير تحت اللَّيْل ، فأتى حُيَيَّ بن أخطب فضرب عليه بابَه ، فأبى أن يفتح عليه بابَه وخافَه ، فانصرف إلى سلام بن مُشْكَم ، وكان سيد

(١) واستعمل على المدينة حينئذ سباع بن عرفة الغفاري . وقيل : ابن أم كلثوم .

(٢) سميت بذلك لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم فيها السوق . فهجم المسلمون على كثير منه . والسويق : مطحون الحنطة أو الشعير . ويؤكل ممزوجاً باللبن والعسل والسمن . أو بالماء .

(٣) الفل : المنهزمون .

(٤) كان الغسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية . كالحج والنكاح .

بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كثرهم^(١) فاستأذن فأذن له فقراه^(٢) وسقاه ، وبطن له من خبر الناس^(٣) . ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحيةً منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أصوار^(٤) من نخل بها . ووجدوا بها رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، ونذروهم^(٥) بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، حتى بلغ « قرقرة الكدر » ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث ، يتخفون منها للنجاء ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السوق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجدا ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر^(٦) . فأقام بنجد صفرأ كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفُرع من بَحْران

ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً^(٧) حتى بلغ بَحْران : معدناً بالحجاز من ناحية الفُرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

(١) يراد بالكفر ما كانوا يجمعونه من مال بينهم ، لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٢) قراه : اطعمه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) بطن له من خبرهم : أعلمه سرهم .

(٤) جمع صور ، بالفتح . وهو جماعة النخل .

(٥) نذروا بهم : علموا بهم .

(٦) واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . (٧) واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

أمر بني قينقاع

كان من أمر بني قينقاع^(١) أَنَّ امرأةً من العرب قدمت بِجَلَبٍ^(٢) لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءُها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسُلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع .

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ! فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ! فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال له : أرسلني ! وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلالاً^(٣) ، ثم قال : ويحك أرسلني . قال : لا ، والله ، لا أرسلك حتى تُحسن في موالي : أربعمئة حاسر وتلثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود^(٤) تحصدهم في غداة واحدة ! إني والله امرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ : هم لك .

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان لهم من حلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسول الله ﷺ من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتوَلَّى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) بفتح القاف وتثنية النون . شعب من اليهود .

(٢) الجلب . بالتحريك . ما يجلب للأسواق لبيع فيها .

(٣) جمع ظلة . وأصلها السحابة . عنى بذلك تغير الوجه إلى السواد حين يشتد الغضب .

(٤) أي المعجم والعرب .

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ
آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿١٠٠﴾ ثُمَّ الْقَصَّةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴿١٠٢﴾ . وَذَكَرَ لِقَايَ عِبَادَةِ بَنِ الصَّامِتِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرَّيَهُ
مَنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَحَلَفَهُمْ وَوَلَايَتَهُمْ : ﴿١٠٣﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
فَأِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٠٤﴾ .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرَدَةِ

من مياه نجد

وكان من حديثها أن قريشاً حافوا طريقهم الذين كانوا يسلكون إلى الشام
حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم
أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا
رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان ، يدلهم على ذلك الطريق .
وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقبهم على ذلك الماء ، فأصاب
تلك البعير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ .

غزوة أحد

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ،
ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن
أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب آبؤهم وأبنائهم
وإخوانهم يوم بدر . فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك البعير
من قريش تجارة فقالوا : يا معشر قريش . إنّ محمداً قد وترككم وقتل خياركم ،

فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندركُ منه ثأرنا بمن أصابَ منا . ففعلوا .
 فأجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان
 وأصحاب العير بأحايشها^(١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا
 معهم بالظُّنن^(٢) التماسَ الحفيظة ، وآلا يفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب ،
 وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت
 الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة
 بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود الثقفية
 وخرج عمرو بن العاص برينة بنت منبه بن الحجاج .

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل بطن السَّبْحَةِ ، من قناة على شفير الوادي
 مقابل المدينة . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ،
 قال رسولُ الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقرأ لي
 تذبج ، ورأيت في ذباب^(٣) سيني ثلماً ، ورأيت أني أدخلتُ يدي في درع
 حصينة^(٤) ، فأولتها المدينة . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ،
 فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ! وكان رأي
 عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ . يرى رأيه في ذلك وألا
 يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجالٌ من المسلمين ،
 ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله .
 اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جبنّا عنهم وصعفنا ! فقال عبد الله بن أبي بن
 سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى
 عدوٍ لنا قطُّ إلا أصابَ منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول
 الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مَجِيس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم .

(١) الأحايش : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٢) جمع ظمينة ، وهي المرأة . (٣) ذباب السيف : حده .

(٤) قال ﷺ : « أبا البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيمي فهو رجل من أهل بيتي يقتل » .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجّعوا رجّعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناسُ برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حبٌ لقاء القوم ، حتّى دخل رسول الله ﷺ بيته ، فلبس لأمنته^(١) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناسُ وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلمّا خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعدْ صلى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمنته أن يضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشوط ، بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرني علام تقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس !

فرجع بمن اتّبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونبّيكم عندما حضر من عدوّهم . فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . فلما استعصّوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغني الله عنكم نبيّه .

وقال الأنصار يوم أحد : يا رسول الله ، ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

ومضى رسول الله ﷺ حتّى نزل الشّعب من أحد في عدوّ الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتّى تأمره بالقتال . وقد سرّحت قريش الظهرَ والكراع^(٢) في زروع كانت بالصّمغة^(٣) من « قنّاة » للمسلمين ، فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن

(١) الأمانة . الدرع . وقيل : السلاح .

(٢) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٣) الصمغة : أرض قرب أحد .

القتال : أترعى زروعُ بني قَيْلة^(١) ولما نُضارب !

وتعبى رسول الله ﷺ وهو في سبعمئة رجل . وأمر على الرماة عبد الله بن جُبَيْر ، وهو مُعَلِّمٌ يومئذ بшибاب بيض ، والرماة خمسون رجلاً . فقال : انضح الخيل عَنَّا بالنَّبل^(٢) ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا . فاثبت علينا لا تَوْتِنَنَّ من قَيْلك . وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين^(٣) ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخي بني عبد الدار .

وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرَةَ بن جندب ، ورافع بن خَدِيج أَخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردَّهما ، فقليل له : يا رسول الله ، إنَّ رافعاً رامٍ . فأجازه . فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرَةَ يصرع رافعاً . فأجازه . وردَّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطَّاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرسٍ قد جَنَّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل . وقال رسول الله ﷺ : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتَّى قام إليه أبو دُجَانَةَ سِمْكُ بن خَرْشَةَ فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟ قال : أن تضربَ به العدوَّ حتَّى ينحني . قال : أنا آخذُه يا رسول الله بحقِّه . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أَعْلَمَ بعصاةٍ له حمراء فاعتصب بها علم النَّاسُ أنه سيقاتل . فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرجَ عصابته تلك فعَصَبَ بها رأسه . وجعل يتبختر بين الصَّفين ، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجَانَةَ : إِنَّهَا لِمِشِيَةٌ يُبْغِضُهَا الله إلَّا في مثل هذا الموطن .

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على

(١) هم الأوس والخزرج . وقيلة أهم .

(٢) انضحهم : ادفعهم .

(٣) ظاهر بينهما : لبس إحداهما فوق الأخرى .

القتال : يا بني عبد الدار . إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإِذَا أَنْ تُكْفُونَا لَوَاءَنَا وَإِذَا أَنْ تَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَتُكْفِيكُمْوه . فَهَمُّوا بِهِ فِتْوَاعِدُوهُ ، وَقَالُوا : نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ، سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَقِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ ! وَذَلِكَ أَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ .

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرصنهم ؛ فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ (١)
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ (٢)

وتقول :

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ (٣)

أَوْ تَدْبِرُوا نَفَارِقَ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ (٤)

وكان شعار (٥) أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد : أُمْتُ أُمْتُ !

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أمعن في الناس ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتلته وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذَفَفَ عليه (٦) ، فجعل كل واحدٍ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمعَ بينهما ، فالتقيا فاختلعا ، ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجَانَةَ فاتقاه بدرقته فعصت سيفه ، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدلَ السيف عنها (٧) .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أُرطاة بن عبد سُرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مرَّ به

(١) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقابهم . (٢) البتار : السيف القطاع .

(٣) النمرقة : الوسادة . (٤) الوامق : المحب .

(٥) الشعار : علامة يتنادون بها في الحرب . ليعرف بعضهم بعضاً . (٦) ذفف عليه : أجهز عليه .

(٧) قال أبو دُجَانَةَ : رأيتُ إنساناً يخمش الناس خمشا شديداً . فصمدت له . فلما حملت عليه السيف ولول . فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

سباع بن عبد العُزَّى الغُبْشَانِي ، وكان يَكْنَى بِأَبِي نِيَار . فقال له حمزة : هَلَمْ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُور ! وكانت أمه خَتَّانَةَ بِمَكَّة .

قال وحشيُّ غلام جبير بن مُطْعِم : والله إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حِمْزَةِ يَهْدُ^(١) النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلَيِّقُ^(٢) بِهِ شَيْئاً ، مثل الجمل الأورق^(٣) ، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، فقال له حمزة : هَلَمْ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُور ! فضربه ضربة فكَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ^(٤) حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رَجْلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي فَعُلْبُ فَوْقَ . وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِثْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي ، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةً غَيْرَهُ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أَعْتَقْتُ ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَكَثْتُ بِهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْلُمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ ، فَقُلْتُ : أَلْحَقْ بِالشَّامِ ، أَوْ الْيَمَنِ ، أَوْ بَعْضِ الْبِلَادِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَنِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ : وَيْحَكَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ ، وَتَشْهَدُ شَهَادَتَهُ . فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَرَعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فَلَمَّا رَأَى قَالَ : أَوْحَشِي؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حِمْزَةَ ؟ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ : وَيْحَكَ ! غَيْبٌ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أُرِيكَ ! فَكُنْتُ أَتَنْكِبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ ، لَثَلَا يَرَانِي حَتَّى قَبِضَةَ اللَّهِ ، ﷺ . وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَتَلَ ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمْثَةَ اللَّيْثِي ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ! فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبُ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللِّوَاءَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالُ الْمُسْلِمِينَ .

(١) يَهْدُ : يسرع في قطع لحومهم بسيفه . وروى « يهد » بالمهمله . ومعناها يرددهم ويهلكهم .

(٢) مَا يُلَيِّقُ : ما يليق .

(٣) الأورق : ما لونه إلى الغيرة .

(٤) الثنية : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب : أن قدم الراية . فتقدم علي فقال : أنا أبو القُصم^(١) ! فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القُصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصّفين فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه : : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم ، وعرفت أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلّاس بن طلحة ، كلاهما يُشعره سهماً^(٢) ، فيأتي أمّه سُلّاقة ، فيضع رأسه في حِجَرها فتقول : يا بنيّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح . فندرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود - وهو ابن شعوب - قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة . فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسلّت صاحبتُه عنه فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسّوهم بالسيف^(٣) ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام هند بنت عتبة وصّواحبها ، مشمّرات هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وغلّوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ :

(١) القصم : الدواهي ، واحدها قصى . وإنما قال ذلك ردّا على قول أبي سعد : أنا قاصم من يبارزني !

(٢) أشعره السهم : أصابه به في جسده فصار له كالشعار .

(٣) حسّوهم : قتلوهم واستأصلوهم .

ألا إنَّ محمداً قد قُتِلَ ! فانكفأنا^(١) وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم ، ولم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعتة لقريش ، فلاتوا به^(٢) .

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو . وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص إلى رسول الله ﷺ ، فرُث^(٣) بالحجارة حتى وقع لشفقه^(٤) ، فأصيب رباعيته^(٥) ، وشُجَّ^(٦) في وجهه ، وكُلِّمَتْ^(٧) شفته ، وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وقاص . فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعلَ يمسح الدم وهو يقول : « كيف يُفْلح قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم ! » ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

وعن أبي سعيد الخدري ، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأنَّ عبد الله بن شهاب الزهريَّ شجَّه في جبهته ، وأنَّ ابن قمئة جرحَ وجنته^(٨) ، فدخلت حَلَقَتَانِ من حَلَقِ الْيَغْفَرِ في وجنته ، ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ، فأخذ عليُّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ، ورفعَه طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حتى استوى قائماً . ومصرَّ مالك بن سنان ، أبو أبي سعيد الخدري ، الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدردَه ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصَبِّهِ النَّارُ .

وقال رسول الله ﷺ ، حين غشيه القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي لَنَا نَفْسَهُ ؟ فقام زياد بن السَّكَنِ في نفرٍ خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ

(١) انكفأنا : رجعنا .

(٢) لاتوا به : احتجموا من حوله والتفوا .

(٣) رُث : أصيب .

(٤) الشق : الجانب .

(٥) الرباعية . كثنائية : السن المجاورة للأناب .

(٦) الشج : الجرح في الوجه والرأس .

(٧) كلِّمَتْ : جرحت .

(٨) الوجنة : أعلى الخد .

رجلاً ثم رجلاً ، يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد ، أو عمارة بن يزيد بن السكن . فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة ^(١) من المسلمين ، فأجهضوهم عنه ^(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسّده قدمه فمات وخذّه على قدم رسول الله ﷺ .

وترسّ دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يقع النبلُ في ظهره وهو منحني عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ، وهو يقول : ارم ، فذاك أبي وأمي ! حتّى إنه ليناولني السهم ماله نصل ، فيقول : ارم به .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ : كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه ترهّان ^(٣) من تحت المغفر ، فنادتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إلي رسول الله ﷺ : أن أنصت .

فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق . وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام - رضوان الله عليهم - والحارث بن الصّمة ، ورهط من المسلمين .

فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أنبي بن خلف ، وهو يقول : أي محمد ، لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجلٌ مِنّا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دَعُوهُ . فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمة فلما تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث ابن الصّمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفضَ بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرُ الشّعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفضَ بها . ثم استقبله فطعنهُ في عنقه طعنةً تدأدأ ^(٥) منها عن فرسه مِراراً .

(١) الفئة : الجماعة . (٢) أجهضوهم : أزالوهم وغلّبوهم .

(٣) ترهّان : تلمعان . (٤) الشّعراء : ذهاب له للدغ . (٥) تدأدأ : تدرج .

وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندي العوذ^(١) : فرساً ، أعلفه كل يوم فرقاً^(٢) من ذرة ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهبَ والله فؤادك ! والله إن بك من بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصقَ علي لقتلني .

فمات عدو الله بسرف^(٣) وهم قافلون به إلى مكة .

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته^(٤) ماءً من المهراس^(٥) ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً ، فعافه فلم يشرب منه ، وغسلَ عن وجهه الدم ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتدَّ غضب الله على مَنْ دُمِّي وجهَ نبيه .

ونهب رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن^(٦) رسول الله ﷺ ، وظاهرَ بين درعين ، فلما ذهب لينهضَ ﷺ لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهب به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ : أَوْجَبَ طلحة^(٧) ! حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

وكان ممن قُتِلَ يومَ أحدٍ مُخَيَّرِيقُ ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطَيَّونَ ، لما كان يوم أحد قال : يا معشرَ يهود ، والله لقد علمتم إن نصرَ محمدٍ عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبتَ لكم . فأخذ سيفه وعُدَّتَه ، وقال : إن أُصِيبْتُ فما لي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتلَ معه حتَّى قُتِلَ ، فقال رسول الله ﷺ : مخيريق خير يهود .

(١) العوذ : اسم فرسه .

(٢) الفرق . بالفتح والتحريك : مكيال يسع اثني عشر رطلا .

(٣) سرف . بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) الدرقة : ترس من جلود .

(٥) المهراس : ماء بأحد . أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويودع فيه الماء .

(٦) بدن : أسن وضعف .

(٧) أي وجبت له الجنة .

وكان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصل قط ؟
 فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل ، عمرو بن
 ثابت بن وقش .

قال الحصين بن عبد الرحمن : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأنُ
 الأصيرم ؟ قال : كان يابى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم خرج رسول الله
 ﷺ إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض
 الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة^(١) . فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون
 قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟
 لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث . فسألوه : ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء
 بك يا عمرو ؟ أحذبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في
 الإسلام ، آمنتُ بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيني فغدوت على رسول الله
 ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني . ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه
 لرسول الله ﷺ فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل
 الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا
 حبسه وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ؟ فأتى رسول الله ﷺ ، فقال :
 إن بنيَّ يُريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني
 لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد
 عذرك الله فلا جهادَ عليك . وقال لبنيه : ما عليكم ألا تمنعوه ، لعلَّ الله أن
 يرزقه الشهادة . فخرج معه فقتل معه يوم أحد .

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب
 رسول الله ﷺ ، يحدعن الآذان والأنف ، حتى اتَّخذت هند من آذان الرجال
 وآنفهم خدماً^(٢) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام

(١) أثبتته : أثقلته فلم يتحرك .

(٢) الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال .

جُبِير بن مطعم ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةٍ ، فَلَا كَتَبَهَا^(١) فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسَيِّغَهَا ، فَلَفَفْتُهَا^(٢) .

وَقَدْ كَانَ الْحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيْشِ ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِ حَمْزَةٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بَرْجَ الرَّمْحِ وَيَقُولُ : ذُقْ عَقَقُ^(٣) ! فَقَالَ الْحُلَيْسُ : يَا بَنِي كِنَانَةَ ، هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بَابَنَ عَمِّهِ مَا تَرَوْنَ لِحَمَاهُ^(٤) ! فَقَالَ : وَيَحْكُ ، اكْتُمُهَا عَنِّي فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ حِينَ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَقَالَ : أَنْعَمْتَ فَعَالٍ^(٥) ، إِنْ الْحَرْبُ سَجَالُ^(٦) يَوْمِ يَوْمٍ ، أَعْلَى هُبْلٍ^(٧) أَيُّ أَظْهَرَ دِينِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ فَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ ! لَا سِوَاءَ^(٨) ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ . فَلَمَّا أَجَابَ عُمَرُ أَبَا سَفْيَانَ قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عُمَرُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ : إِنَّهُ فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ ؟ فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : أَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ أَقْتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ قَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ . قَالَ : أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَمِئَةَ وَأَبْرَ ! لَقَوْلِ ابْنِ قَمِئَةَ لَهُمْ^(٩) : إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ! ثُمَّ نَادَى أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي قَتْلَاكُمْ مِثْلُ^(١٠) ، وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ وَمَا سَخِطْتُ ، وَمَا نَهَيْتُ وَمَا أَمَرْتُ !

وَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ وَمِنْ مَعِهِ نَادَى : إِنْ مَوْعِدُكُمْ بِدَرٍّ لِلْعَامِ الْقَابِلِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : قُلْ : نَعَمْ ، هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ . ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ

(١) لَا كَتَبَهَا : مَضَغْتُهَا .

(٢) لَفَفْتُهَا : طَرَحْتُهَا .

(٣) يَا عَقَقُ ، أَيُّ يَا عَاقُ .

(٤) أَيُّ مِثْلًا لَيْسَتْ بِهِ قُدْرَةٌ عَلَى الْإِنْصِرَافِ .

(٥) أَنْعَمْتَ : بِالْغَتِّ ، بِفَتْحِ التَّاءِ خِطَابٌ لِنَفْسِهِ ، وَبِكَسْرِهَا خِطَابٌ لِلْحَرْبِ أَوْ الْوَقِيعَةِ . عَالٍ : أَيُّ ارْتَفَعَ ، وَعَالِي : ارْتَفَعِي . أَوْ فَعَالٌ : اسْمٌ لِلْفَعْلَةِ ، كَمَا قَالُوا فَجَارُ الْفَجْرَةِ .

(٦) أَيُّ مِدَاوِلَةٍ ، مَرَّةً لِهَذَا الْفَرِيقِ وَمَرَّةً لِلْآخَرِ .

(٧) هُبْلٌ : اسْمٌ صَمٍّ .

(٨) أَيُّ لَا نَحْنُ سِوَاءَ ، لَا نَسْتَوِي .

(٩) أَنْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٦١ .

(١٠) الْمَثَلُ : التَّمَثِيلُ بِالْقَتِيلِ .

فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جَنَبُوا الخيل ^(١) وامتطوا الإبل فإِنَّهُمْ يريدون مَكَّةَ ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ثم لأناجزنَّهم . قال علي : فخرجتُ في آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فَجَنَبُوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مَكَّة .

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ رجلٌ ينظرُ لي ما فعلَ سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار ^(٢) : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر ، أفي الأحياء أنت أم الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عتاً خيراً ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذرَ لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف ^(٣) . قال : ثم لم أبرحَ حتَّى مات ، فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ومُثِّلَ به فُجِدِعَ أنفه وأذناه ، فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى : لولا أن تحزنَ صفية ويكون سنةٌ من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم ! فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغِيْظَه على من فعلَ بعمه ما فعلَ قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلةً لم يمثلها أحد من العرب .

عن ابن عباس أن الله عزَّ وجلَّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

(٢) هو محمد بن مبلغة الأنصاري .

(٣) تطرف : تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل .

وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ . فعفا رسول الله ﷺ ، ونهى عن المثلة .

وأمر رسول الله بحمزة فسُجِّي^(١) بِرُدَّةٍ ، ثم صَلَّى عليه فكَبَّرَ سبع تكبيرات ، ثم أَمَرَ بِالْقَتْلِ يُوَضَعُونَ إِلَى حَمْزَةٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ مَعَهُمْ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلَاةً .

قال ابن اسحاق : وَقَدْ أَقْبَلْتُ - فِيمَا بَلَغَنِي - صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَتَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَخَاهَا لِأَيِّهَا وَأُمُّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبْنِهَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ : الْقَهَّاءُ فَأَرْجِعْهَا لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا . فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّهُ ، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي . قَالَتْ : وَلَمْ ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مِثْلَ أَخِي . وَذَلِكَ فِي اللَّهِ ، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ! لِأَحْتَسِبَنَّ وَلَا صَبْرَنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ! فَلَمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ : خَلِّ سَبِيلَهَا . فَأَتَتْهُ فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ^(٢) . وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ .

وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلهم إلى المدينة ، فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ادفنهم حيث صرّعوا .

عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ ، إِنَّهُ مَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَيَبْعَثُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحَهُ ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مَسْكِ ! انْظُرُوا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ فَاجْعَلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فِي الْقَبْرِ .

وكانوا يدفعون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلقينته حَمَنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نَعِيَ إِلَيْهَا أَخُوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له . ثُمَّ نَعِيَ لَهَا خَالَها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له .

(٢) استرجعت : قالت : إيا الله وإيا إليه راجعون

(١) سجي : غطي .

ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لِمِكَانٍ ! لَمَّا رَأَى مِنْ تَبْتُّهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالَهَا ، وَصِيَّاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا .

ومرَّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قال : « لَكِنَّ حِمَزَةَ لَا بَوَاكِيَّ لَهُ » . فلما رجع سعد بن معاذ ، وأسيد بن حُضَيْر ، إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أَنْ يَتَحَزَّ مِنْ ثَمَّ يَذْهَبْنَ فِيهِكَيْنِ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَاءَهُنَّ عَلَى حِمَزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهْنٌ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْنَ يَرْحَمَكُنَّ اللَّهُ ، فَقَدْ آسَيْتَن ^(١) بِأَنْفُسِكُنَّ .

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دِينَارٍ وَقَدْ أَصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَحَدٍ ، فَلَمَّا نَعَوْا لَهَا قَالَتْ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالُوا : خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تَحْبِبِينَ . قَالَتْ : أُرُونِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَأَشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ . تَرِيدُ صَغِيرَةً . فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ نَاولَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ فَقَالَ : اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بَنِيَّةَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ . وَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيْفَهُ فَقَالَ : وَهَذَا أَيْضًا فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ .

وكان يوم أحدٍ يومَ السبت ، للنصف من شَوَّال .

فلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ لَسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ مَضَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ . فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

(١) المؤاساة : التعزية والمعاونة .

ابن حرام فقال : يا رسول الله ، إنَّ أبي كان خلَّفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بُني ، إنَّه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجلَ فيهنَّ ، ولستُ بالذي أوثرُك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّف على أخواتك . فتخلَّفْتُ عليهنَّ . فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه . وإنَّما خرج رسول الله ﷺ مُرهَباً للعدوِّ ، وليبْلُغهم أنَّه خرج في طلبهم ليُظنُّوا به قوة ، وأنَّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوِّهم .

فخرج رسول الله ﷺ حتَّى انتهى إلى حمراء الأسد - وهي من المدينة على ثمانية أميال - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرَّ به معبد بن أبي معبد الخُزاعي ، وكانت خزاعة مُسلمهم ومشرِكهم عِبةً نصحر^(١) لرسول الله ﷺ بتهامة ، صَفَقْتهم معه^(٢) ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك ، ولوددنا أنَّ الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتَّى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرَّوحاء^(٣) ، وقد أجمعوا الرُّجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه ، وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكُرَّنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرَّقون عليكم تحرُّقاً^(٤) ، قد اجتمع معه من كانَ تخلَّف عنه في يومكم ، وندِموا على ما صنعوا ، فيهم من الحقِّ^(٥) عليكم شيء لم أر مثله قط ! قال : ويحك ، ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيَّتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني

(٢) الصفقة : الاجتماع .

(١) عِبة نصحه : موضع سره .

(٣) الروحاء : قرية لمزينة على ليلتين من المدينة .

(٥) الحقن : شدة الغيظ .

(٤) التحرق : الغيظ .

ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :
كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجُرد الأبابيل (١)
تردي بأسدٍ كرامٍ لا تنابله عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل (٢)
فظلَّتْ عدوًّا أظنُّ الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول (٣)
فقلت ويل ابن حربٍ من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجحيل (٤)
إنسي نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةً لكل ذي إربةٍ منهم ومعقول (٥)
من جيش أحمد لا وخشٍ قنابله وليس يُوصف ما أنذرتُ بالقليل (٦)
مثنى ذلك أبو سفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة .
قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة (٧) . قال : فهل أتمُّ مُبلغون عتيَّ محمداً رسالة
أرسلكم بها إليه ، وأحملُّ لكم هذه غداً زبيياً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا :
نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أننا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه
لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه
بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن
المغيرة بن أبي العاص ، وأبا عزة الجهمي ، وكان رسول الله ﷺ أسره
بيدر ثم منَّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أقلني . فقال رسول الله ﷺ :
والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعتُ محمداً مرتين (٨) ،

(١) تهد : تسقط لهول ما رأت . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . الأبابيل : الجماعات .

(٢) نردى : تسرع . التناhle : القصار . الأميل : الذي لا يثبت على السرج . المزال : الذي لا سلاح معه .

(٣) العدو : مثنى سريع . سموا : ارتفعوا إلينا .

(٤) تغطمطت : اهتزت . الجيل : الصنف من الناس .

(٥) البسل : الحرام . والمراد قريش لأهم أهل مكة ، ومكة حرام . ضاحية : أي علانية . الإربة : العقل . وكذلك المعقول .

(٦) الوخش : رذالة الناس والأخساء منهم . والقنابل : جمع قبلة وقنبل . وهم الطائفة من الناس ومن الخيل .

(٧) الميرة : الطعام يجلب من بلد إلى آخر .

(٨) وقيل : قال له : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت . فضرب عنقه .

اضرب عنقه يا زبير ! فضرب عنقه .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبدالله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : « أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ^(١) ، واسمعوا له وأطيعوا » . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعل ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي عدو الله ، لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت ! فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلتُ بُجراً ^(٢) أن قمتُ أشدد أمره ! فلقية رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك ويلك ! قال : قمتُ أشدد أمره فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعتفونني ، لكأنما قلتُ بُجراً أن قمتُ أشدد أمره . قال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

قال ابن إسحاق :

وكان يوم أحد يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ومَحَن به المنافقين ، ممَّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مسخفٌ بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

يوم الرجيع في سنة ثلاث

قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عَصَل والقارة ^(٣) فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في

(١) التعزير : النصر .

(٢) البجر : الشر والأمر العظيم .

(٣) قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة

الدين ، وقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبدالله بن طارق . وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة ^(١) ، غدروا بهم ، فاستصرخوا ^(٢) عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشّوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا . فقال عاصم بن ثابت : ما علّتي وأنا جلد نابل ^(٣) والقوس فيها وتر غنابل ^(٤) .
تزل عن صفحتها المعابل ^(٥) الموت حق والحياة باطل
وكل ما حَمَّ الإله نازل ^(٦) بالمرء والمرء إليه آئل ^(٧)
ثم قاتل القوم حتى قُتل وقتل صاحبه .

فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه لبيعه من سُلَافة بنت سعد ابن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر ، فمنعته الدبّر ^(٨) فلمّا حالت بينه وبينهم الدبّر قالوا : دَعَوْه حَتَّى يُمَسِّيَ فَنَذَبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ . فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا ألا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركًا

(٢) استصرخوا : استنصروا .

(١) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة

(٤) الغنابل الغليظ الشديد .

(٣) الجلد : الشديد . النابل : صاحب النبل .

(٦) حم الإله : قدره .

(٥) المعابل : جمع معبل ، وهو نصل عريض طويل .

(٨) "دبر : الزباير والنحل .

(٧) آئل : صائر .

أبداً ، تنجساً . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنَّ الدَّبرَ منعتة : يحفظ الله العبدَ المؤمن ، كان عاصم نذر ألاَّ يمسه مشرك ولا يمسَّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .
 واما زيد بن الدَّثينة وخبيب بن عدي وعبدالله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ، لبيعهم بها ، حتَّى إذا كانوا بالظَّهرانِ انتزع عبدالله بن طارق يده من القرآن ^(١) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القومُ فرموه بالحجارة ، فقبَّره رحمه الله بالظَّهران .

وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدَّثينة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريشٍ بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاعَ خبيباً حُجير بن أبي إهاب لعقبة بن الحارث بن عامر ، ليقتله بأبيه .

وأما زيد بن الدَّثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف . وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، إلى التنعيم ^(٢) ، وأخرجوه من الحرَم ليقتلوه . واجتمع رهطٌ من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدَّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبُّ أنَّ محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحبُّ أنَّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني جالس في أهلي !

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً !
 ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

عن ماوية مولاة حُجير بن أبي إهابٍ - وكانت قد أسلمت - قالت : كان خبيبٌ عندي ، حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده

(١) القرآن : حبل يربط به الأسير .

(٢) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

لَقِطْفًا مِنْ عَنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ ، يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَمَا أَعْلَمُ فِي أَرْضِ اللَّهِ عَنَابًا يُوْكَلُ ، قَالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ الْقَتْلُ : ابْعَثِي إِلَيَّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهَّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ . فَاَعْطَيْتُ غُلَامًا مِنَ الْحَيِّ الْمُوَسَّى فَقُلْتُ : ادْخُلْ بِهَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْبَيْتِ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَكَّى الْغُلَامُ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَاذَا صَنَعْتُ ! أَصَابَ وَاللَّهِ الرَّجُلَ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هَذَا الْغُلَامِ ، فَيَكُونُ رَجُلًا بَرَجَلًا ! فَلَمَّا نَاوَلَهُ الْحَدِيدَةَ أَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ : لِعَمْرِكَ مَا خَافَتْ أُمُّكَ غَدْرِي حِينَ بَعَثْتُكَ بِهَذِهِ الْحَدِيدَةِ إِلَيَّ ؟ ! ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ .

ثُمَّ خَرَجُوا بِخَبِيبٍ حَتَّى إِذَا جَاءُوا بِهِ إِلَى التَّنْعِيمِ لِيُصْلِبُوهُ قَالَ لَهُمْ : إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي حَتَّى أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ فَافْعَلُوا . قَالُوا : دُونَكَ فَارْكَع . فَارْكَعَ رَكَعَتَيْنِ أَتَمَّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَظَنُّوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جِزْعًا مِنَ الْقَتْلِ لَأَسْتَكْرَثُ مِنَ الصَّلَاةِ ! فَكَانَ خَبِيبُ بْنُ عَدِيٍّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرَكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ رَفَعُوهُ عَلَى خَشْبَةٍ ، فَلَمَّا أَوْثَقُوهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ فَبَلِّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ! ! ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا^(١) ، وَلَا تَغَادُرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ! ! ثُمَّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ يَقُولُ : حَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَنْ حَضَرَهُ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَلْقِينِي إِلَى الْأَرْضِ فَرَقًّا^(٢) مِنْ دَعْوَةِ خُبَيْبٍ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَاضْطَجَعَ لَجَنِبِهِ زَالَتْ عَنْهُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ جَدِّيمَ الْجُمَحِيِّ عَلَى بَعْضِ الشَّامِ ، فَكَانَتْ تَصِيْبُهُ غَشِيَةٌ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرِي الْقَوْمِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ مُصَابٌ . فَسَأَلَهُ عُمَرُ فِي قَدَمَةٍ قَدِمَتْهَا عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا سَعِيدُ ، مَا هَذَا الَّذِي يَصِيْبُكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِي مِنْ بَأْسٍ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ حِينَ

(١) بددا : متفرقين .

(٢) الفرق : بالتحريب : الخوف والفرع .

قُتِلَ ، وسمعتُ دعوتهُ فوالله ما خطرتُ على قلبي وأنا في مجلسٍ قطُّ إلا عُثِي عليَّ ! فزادته عند عمر خيراً .

قال ابن عباس : لما أُصِيبَت السريَّة التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجالٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدّوا رسالةَ صاحبهم . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، أي يُظهِر من الإسلام بلسانه ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ وهو مخالفٌ لما يقوله بلسانه ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، أي ذو جدالٍ إذا كَلَّمَكَ وراجعك . ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ أي خرج من عندك ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ﴾ أي لا يحبُّ عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْبِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَئُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ، أي قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك . يعني تلك السريَّة .

وكان ممَّا قيل في ذلك من الشعر قول خبيب بن عدي حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

لقد جمَّع الأحزاب حولي وألبوا
وكلَّهم مُبْدي العداوة جاهدُ
وقد جمَّعوا أبناءهم ونساءهم
إلى الله أشكو عُربتي ثم كُربتي
فذا العرش ، صبرني على ما يراد بي
وذلك في ذات الإله وإن يشأُ
وقد خيروني الكُفْرَ والموتُ دونه

(١) ألبوا : جمعوا .

(٣) بضعوا : قطعوا . يأس : يش .

(٤) الشلو : الجسد . المزع : المقطع .

(٢) أرسدوا : أعدوا .

وما بي جذارُ الموت إني لميتٌ
فوالله ما أرجو إذا متُ مسلماً
فلمستُ بمبدٍ للعدو تخشعاً
وقال حسان بن ثابت يبكي خبيلاً :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
فيم قتلتم شهيداً لله في رجلٍ
سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق (٣)
لا فقل حين تلقاه ولا نزق (٤)
وجنة الخلد عند الحور في الرق (٥)
حين الملائكة الأبرار في الأفق
طاغ قد أوعث في البلدان والرق (٦)

حديث بثر معونة

في صفر سنة أربع

فأقام رسولُ الله ﷺ بقية شوال ، وذا القعدة ، وذا الحجة - وولي
تلك الحجة المشركون - والمحرم ، ثم بعث رسولُ الله ﷺ أصحاب بثر
معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان قد قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأُسنة ، على
رسول الله ﷺ المدينة ، فعرضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه ،
فلم يُسلم ولم يبعد من الإسلام وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك
إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال رسول
الله ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد . قال أبو براء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم
فليدعُوا الناسَ إلى أمرك .

(١) الجحيم : اضطراب النار . ملفع : يشمله من جميع نواحيه . (٢) أرجو : أخاف .

(٣) ترقا : تسكن . السح : الصب . (٤) من النزق ، وهو التسرع والبطش .

(٥) الرق : جمع رقعة . وهم الأصحاب . (٦) الرق ، بالتحريك : المرتع السهل المطلب .

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ، « المعيقَ ليموت »^(١) في أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصَّمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء ، ونافع بن بديل بن ورقاء ، وعامر ابن قُهيْرة مولى أبي بكر الصديق ، في رجالٍ مسمَّين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلم ، كيلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سُلم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حَرامَ بنَ ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطُّفَيْل . فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرَّجُل فقتله ، ثم استصرخ^(٢) عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفِرَ أبا براء^(٣) وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من سُلم فاجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ؛ إلا كعبَ بن زيد فأنتهم تركوه وبه رمق ، فارتث^(٤) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيدا ، يرحمه الله .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجلٌ من الأنصار أحدُ بني عمرو بن عوف^(٥) ، فلم ينبتهما بمصاب أصحابهما إلا الطَّيرُ تحومُ حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطَّيرَ لَشأنا . فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دِمَائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر . فقال الأنصاري : ما كنتُ لأرغبَ بنفسِي عن موطنٍ قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال ! ثم قاتل القوم حتى قُتل .

(١) أعتق : أسرع . وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) استصرخهم : استعان بهم . (٣) خفّره : نقض عهده .

(٤) الارتث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنه الجراح .

(٥) هو المنذر بن محمد بن عقبة .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلمّا أخبرهم أنّه من مُضَرَ أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه ، فخرج عمرو بن أمية حتّى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة^(٢) ، أقبل رجلان من بني عامر حتّى نزلا معه في ظلّ هو فيه . وكان مع العامريّين عقْد من رسول الله ﷺ وجوّار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر فأملهما حتّى إذا ناما عدا عليهما ، وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ . فلمّا قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، قال الرسول ﷺ : لقد قتلتَ قَتيلين لأديّتهما ! ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً ! فبلغ أبا براء فشقّ عليه إختفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره .

وكان فيمن أصيب عامر بن فُهيرة .

عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنّ عامر بن الطفيل كان يقول : ممّن رجلٌ منهم لما قُتِل رأيتُه بين السماء والأرض حتّى رأيتُ السّماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة .

إجلاء بني النضير

في سنة أربع

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القَتيلين من بني عامر ، اللذين قَتَلَ عمرو بن أمية الضّمريّ ، للجّوار الذي كان رسول الله ﷺ عقْد لهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقْد وحلف ،

(١) قرقرة الكدر : بينها وبين المدينة ثمانية برد .

(٢) واد يصب في قرقرة الكدر .

(٣) الثورة . الثأر .

فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذنبك القَتيلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببتَ مما استعنتَ بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه ... ورسولُ الله ﷺ إلى سُبُبِ جدارٍ من بيوتهم قاعد - فحسَّ رجلٌ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرةً فيريحها منه ؟ فانتدبَ لذلك عدوَّ بنِ جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك . فصعدَ ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسولُ الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ ، رضوانُ الله عليهم .

فأتى رسولُ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث^(١) النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به . وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنتَ تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بالَ قطعِ النخيل وتحريقها !

وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعه ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير ، أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ؛ إن قوتلتم قاتلنا معكم ؛ وإن أخرجتم خرجنا معكم . فربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجعلهم ويكفَّ عن دماءهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٢) . ففعل ، فاحتملوا من

(١) استلبثه : استبطأه .

(٢) الحلقة : السلاح كله .

أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه^(١) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام . فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وحبي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها . حدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي التي ابتاعوا منه^(٢) ، بزهاء وفخر ما رُئي مثله من حي من الناس في زمانهم .

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجاجة سيماك بن خراشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ . ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته ، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعمتهم حصوئهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقدف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذ احتملوها . ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ وكان لهم من الله نعمة ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾ ، أي بالسيف . ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ مع

(١) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٢) اسمها سلمى ، وكانت ناكحاً في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسبها . وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غنم . فرأوا عنده سلمى فاعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه . وفي ذلك يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوا عداء الله من كذب وزور
فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيء ويكرهه ضميري

ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ﴾ وَاللَّيْنَةُ : ما خالف العجوة من النخل ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نعمة من الله ﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ . وما أفاء الله على رُسوله مِنْهُمْ ﴾ يعني من بني النضير ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ما أفاء الله على رُسوله مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ : ما يُوجف عليه المسلمون بالخيول والركاب وفتح بالحرب عنوةً فلله وللرسول ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا ﴾ يعني عبدالله بن أبي وأصحابه وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ أَمْرِهِمْ ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِم الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني بني النضير ، الى قوله ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني بني قَيْنِقَاع ، ثم القصّة إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فكان عاقبتهما أُنهما في النارِ خالدينِ فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع الآخر وبعض جمادى . ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل

على المدينة أبا ذَرَّ الغِفاريّ حتى نزل نخلاً^(١) ، وهي غزوة ذات الرقاع^(٢) .
فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناسُ ولم يكن بينهم حرب ، وقد
خاف الناسُ بعضهم بعضاً حتّى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ،
ثم انصرف بالناس .

عن جابر بن عبد الله قال :

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل
لي ضعيف ، فلما قتل رسول الله ﷺ جعلت الرِّفاق تمضي ، وجعلتُ أتعَلِّفُ
حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلتُ : يا رسول الله ،
أبطأ لي جملي هذا . قال : أُنِخْه . فَأُنِخْتُهُ وَأَنَاخَ رسولُ الله ﷺ ثم قال :
أعطني هذه العصا من يدك ، أو اقطع لي عصاً من شجرة . ففعلتُ ، فَأَخَذَهَا
رسول الله ﷺ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخْسَاتٍ ثُمَّ قَالَ : اركبْ . فركبتُ فخرجَ ، والذي
بعثه بالحق ، يواهي ناقته مؤاهقة^(٣) .

وتحدّثت مع رسول الله ﷺ فقال لي : أتبيعي جملَكَ هذا يا جابر ؟
قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك . قال : لا ، ولكنِ بغيره . قلت : فسُئِنِيهِ
يا رسول الله . قال : قد أخذته بدرهم ! قلت : لا ، إذن تغبني يا رسول
الله . قال : بدرهمين ؟ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في
ثمنه حتى بلغ الأوقية . فقلت : أفقد رضىيت يا رسول الله ؟ قال : نعم . قلت :
فهو لك . قال : قد أخذته . ثم قال : يا جابر ، هل تزوّجتَ بعد ؟ قلت :
نعم يا رسول الله . قال : أثيبا أم بكرا ؟ قلت : لا ، بل ثيباً . قال : أفلا
جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إنّ أباي أصيبَ يومَ أحدٍ وترك

(١) نخل : موضع بنجد من أرض غطفان .

(٢) إنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها
ذات الرقاع . وقيل : لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشذوا رقاعا ، فقيل لها : ذات الرقاع .

(٣) يواهيها : يعارضها في المشي لسرعته .

بناتٍ له سبعاً ، فنكحتُ امرأةً جامعةً ، تجمع رءوسهنَّ وتقوم عليهنَّ . قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً^(١) أمرنا بجزورٍ فُجِرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسَمِعْتُ بنا فنفضتُ نمارقها^(٢) . فقلت : والله يا رسول الله مالنا من نمارق ! قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قَدِمْتَ فاعملْ عملاً كَيْساً . فلما جئنا صراراً أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بجزورٍ فُجِرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أَمَسَ رسولُ الله ﷺ دخلَ ودخلنا ، فحدَّثتُ المرآةَ الحديثَ وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسَمِعُ وطاعة . فلما أصبحتُ أخذتُ برأسَ الجمل ، فأقبلتُ به حتَّى أنخِته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلستُ في المسجد قريباً منه ، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجملَ فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جملٌ جاء به جابر . قال : فأين جابر ؟ فدُعيتُ له فقال : يا ابن أخي ، خذْ برأسَ جملك فهو لك . ودعا بلالاً فقال له : اذهبْ بجابرٍ فأعطه أوقية . فذهبتُ معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً ، فوالله ما زال يَنسِي عندي ، ويُرى مكانه من بيتنا حتَّى أصيب أَمَسَ فيما أصيب لنا - يعني يومَ الحرة .

وعنه أيضاً قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجلٌ امرأةً رجلٍ من المشركين ، فلما انصرف رسولُ الله ﷺ قافلاً أتى زوجها وكسان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتَّى يُهريق في أصحاب محمد ﷺ دماً ! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فترل رسول الله ﷺ منزلاً فقال : مَنْ رجلٌ يكلُّونا ليلتنا هذه ؟ فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ آخر من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله . قال : فكونا بقم الشعب . فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب قال الأنصاريُّ للمهاجري : أيَّ الليل تحبُّ أن

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) النمارق : جمع نمرقة . وهي الوسادة الصغيرة .

أَكْفِيكَه . أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجريُّ فنام وقام الأنصاري يصلي .

وأتى الرجل ، فلما رأى شخصَ الرجل عرف أنَّه ربيثة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه ، فتزعه ووضعه فثبت فيه قائماً ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فتزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أَهَبَّ صاحبه^(١) فقال : اجلس قد أثبت^(٢) . فلما رآهما الرجل عَرَفَ أن قد نذرا به^(٣) فهرب .

ولما رأى المهاجريُّ ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله ، أفلا أَهْبَيْتَنِي أولَ ما رماك ؟ قال : كنتُ في سورةٍ أقرؤها فلم احبَّ أن أقطعها حتَّى أنفدَها فلما تابع عليَّ الرَّميَ ركعتُ فأذنتك . وإيمُ الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدَها . قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرِّقَاع أقام بها بقية جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزل . فأقام عليه ثمانِيَّ ليالٍ ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّةً^(١) ، من ناحية الظهران ، ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشرَ قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامٌ جذب ، وإني راجعٌ فارجعوا . فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة « جيشَ السَّويق » . يقولون : إنَّما خرجتم تشربون السويق .

(١) أهبة إهباباً : أيقظه . (٢) أثبته : جرحه جرحاً لا يمكنه التحرك معه .

(٣) نذرا به : علما به فتحزرا .

(٤) واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده . فأتاه مَحْثِيُّ بن عمرو الضَّمْرِيُّ ، وهو الذي كان وادَّعه على بني ضَمْرَةَ في غَزْوَةِ وَدَّانَ ، فقال : يا محمد ، أجبْتَ للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بني ضَمْرَةَ ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالذناك^(١) حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان ، فمرَّ به مَعْبِد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال وقد رأى مكانَ رسول الله ﷺ وناقته تهوى به^(٢) :
 قد نَفَرْتُ من رُفْقَتِي محمد وعَجْوَةٍ من يثربِ كالعنجد^(٣)
 تهوى على دين أبيها الأتلد^(٤) قد جعلت ماءً قد يد موعدي^(٥)
 وماء ضَجْنانَ لها ضُحَى الغدِ

وقال عبدالله بن رواحة في ذلك^(٦) :
 وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد
 فأقيم لو وافيتنا فلقيتنا
 تركنا به أوصال عتبة وابنه
 عصيتم رسولَ الله أفٍ لدينكم
 فإني وإن عتفتُموني لقائلٌ
 أظعنناه لم نعدله فينا بغيره
 لميعاده صدقاً وما كان وافيًا
 لأبست ذميما وافتقدت المواليا
 وعمراً أبا جهل تركناه ثاوياً^(٧)
 وأمركم السيء الذي كان غاوباً
 فدئى لرسول الله أهلي وماليا
 شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً

(١) المجالدة : المضاربة بالسيوف .

(٢) تهوى به : تسرع .

(٣) العنجد : الزبيب الأسود .

(٤) الدين : الدأب والعادة . الأتلد : الأقدم .

(٥) قديد : موضع قرب مكة .

(٦) قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري ، لكعب بن مالك .

(٧) ثاوباً : مقيماً .

غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها شهراً حتى مضى ذو الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، وهي سنة أربع من مقدّم رسول الله ﷺ المدينة .

ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل^(١) ، ثم رجع قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق في شوال سنة خمس

ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .
إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النَّضْرِي ، وحِيَّ بن أخطب النَّضْرِي ، وكِنانة بن أبي الحقيق النَّضْرِي ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمَّار الوائلي ، في نفر من بني النَّضِير ونفر من بني وائل - وهم الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قدّموا على قريش مكة فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد ، أفديتُنا خير أم دينُنا ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .
فهّم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أوتوا نصيباً من الكتاب يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أولئك الذين كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَنُوا اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾
(١) بضم الدال ، وتفتح : من أعمال المدينة ، بينها وبينها خمس عشرة ليلة . وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في هذه الغزوة سباع بن عرفة .

إلى قوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي النبوة ﴿ فقد آتينا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشيطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك وأنعدوا له ، ثم خرج أولئك الثفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأنّ قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن رُخيلة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ؛ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُورُونَ^(١) . بالصَّعِيف من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله ﷺ ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابتة من الحاجة التي لا بدَّ منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه في اللُّحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخبر واحتساباً له . فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لِهِمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فنزلت هذه الآية فيمن

(١) التورية . أن يستتر شيئاً ويظهر غيره

كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .
ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون
بغير إذن من النبي ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ
بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهُ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ - قال ابن هشام : اللواذ :
الاستتار بالشيء عند الهرب - ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من صدق أو كذب ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع
الأسياح من رومة ، بين الجرف وزغابة ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن
تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ،
حتى نزلوا بذي نغم إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ،
حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك
عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالدراري والنساء فجعلوا في
الآطام (١) .

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي ،
صاحب عقد بني قريظة وعهدهم . وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه
وعاقده على ذلك وعاهدته ، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه
باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب !
افتح لي . قال : ويحك يا حيي . إنك امرؤ مشثوم ، وإني قد عاهدت محمداً
فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً . قال : ويحك !
افتح لي أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت الحصن دوني
إلا ^{خوفاً} على جيشي شك (٢) أن آكل منها معك ! فأحفظ الرجل ففتح له ، فقال :

(١) الآطام : الحصون ، جمع أطم .

(٢) الجيشية : طعام من البر يطحن غليظاً .

ويحك يا كعب ! جثتك بعزّ الدهر وبيحر طام^(١) ، جثتك بقريش على قادتها
وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها
حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن
لا يبارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب : جثتي والله بذلّ
الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء ، ويحك
يا حيّ ! فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمدٍ إلّا صدقاً ووفاء . فلم يزل
حيّ بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٢) حتى سمع له على أن أعطاه عهداً من
الله وميثاقاً ، لئن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك
في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسدٍ عهده ، وبرىء
مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسول الله
ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة
ابن دليم ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبدالله بن رواحة وخوات بن
جبير ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟
فإن كان حقاً فالحنوا^(٣) لي لحناً أعرّفه ، ولا تقتلوا في أعضاد الناس^(٤) ؛
وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا
من رسول الله ﷺ . وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمدٍ
ولا عقد ! فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه جدّة . فقال له
سعد بن عبادة : دُع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى^(٥) من المشاتمة .

(١) طام : ممتلئ مرتفع الأمواج .

(٢) أي بخاتله ويراه . وأصل المثل في البعير ، يفعل به ذلك ليسكن . يأس . الذروة : أعلى السنام .
والغارب : الكاهل ، وهو ما بين السنام إلى العنق .

(٣) اللحن : التعريض والإشارة في الكلام .

(٥) أربى : أزيد وأكثر .

(٤) فت في عضده : أوهنه وأضعفه .

ثم أقبل سعدٌ وسعدٌ ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا :
عضل والقارة ^(١) ! أي كغدر عَصَل والقارة بأصحاب الرجيع : خُبيب
وأصحابه - فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين !
وعظم عند ذلك البلاء واشتدَّ الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ ، ونجم النفاق من بعض المنافيين ،
حتى قال معتب بن قُشير : كان مُحَمَّدٌ يَعِدُّنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ،
وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن
قَيْطِيٍّ : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرَةٌ من العدو - وذلك عن ملأٍ من رجال
قومه - فأذن لنا أن نخرجَ فَنرجعَ إلى دارنا فأَهاجَ خارجُ من المدينة . فأقام
رسولُ الله ﷺ ، وأقام عليه المشركون بعضاً وعشرين ليلةً ، قريباً من شهر ،
لم تكن بينهم حربٌ إلا الرَّمْيُ ^(٢) بالنبل ، والحصارُ .

فلما اشتدَّ على الناس البلاء بعث رسولُ الله ﷺ إلى عُيينة بن حصن ،
وإلى الحارث بن عوف المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلثَ ثمار
المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فَجَرى بينه وبينهما الصلح ،
حتى كتبوا الكتابَ ، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمةُ الصلح ، إلا المَراوِضة في
ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعلَ بعثَ إلى سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة ، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً
تُحبُّه فنصنعه ، أم شيئاً أمَرَكَ الله به لا بدَّ لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه
لنا ؟ قال : بل شيئاً أصبَحَ لكم ، والله ما أصنع ذلك ، إلا لأنني رأيت العربَ
قد رمَّتكم عن قوسٍ واحدة ، وكألبوكم ^(٣) من كلِّ جانب ، فأردت أن
أكبرَ عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما . فقال له سعدُ بن معاذ : يا رسول الله ،

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٣ . هامس ٣ رَقِيلَانِ سَمِ الْهَوْنِ بِهِمْ خَزِيمَةٌ بِهِمْ مَرَكَةٌ
غَدِرُوا بِبَصِيرِ الْمُسْلِمِينَ

(٢) الرمي : المرامة بالسهم .

(٣) المكالبة : المضايقة والتشديد .

قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشُّرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرَى^(١) أو بيعاً ، أفحِينَ أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَا بك وبه نعطيهـم أموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهـم إلا السيفَ حتى يحكم الله بيننا وبينهم . قال رسول الله ﷺ : فَأَنْتَ وَذَاكَ . فتناول سعد بن مُعَاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون ، وعدُوهُم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدُودَ ، وعكرمة بن أبي جهل وهيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ، تلبَّسوا^(٢) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهبثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفُرسانُ اليوم . ثم أقبلوا تُعَيِّقُ^(٣) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إنَّ هذه لمكيـدةٌ ما كانت العربُ تكيـدُها^(٤) !

ثم تيمَّموا مكاناً ضيقاً من الخندق فاضربوا خيلهم فافتحمت منه ، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلْعٍ ، وخرج عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في نفرٍ من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغْرَةَ التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفُرسانُ تُعَيِّقُ نحوهم .

وكان عمرو بن عبدُودٍ قد قاتَلَ يومَ بدرَ حَتَّى أثبتته الجراحة فلم يشهدْ يومَ أحدٍ . فلما كان يومَ الخندق خرجَ مُعَلِّماً^(٥) ليُرَى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له عليُّ بن أبي طالبٍ فقال له : يا عمرو ،

(١) القرى : طعام الصيف .

(٢) أي تهبثوا له .

(٣) تُعَيِّقُ : تسرع .

(٤) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ .

(٥) المعلم : الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .

إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ عَاهَدْتَ اللَّهَ أَلَّا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى إِحْدَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْهَا مِنْهُ . قَالَ لَهُ : أَجَلٌ ! قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ . قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّرَالِ ، فَقَالَ لَهُ : لَمْ يَأْبِ ابْنُ أَخِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! فَجِئْتِي عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرْسِهِ ، فَعَقَرَهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .
وَأَلْقَى عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رُمَحَهُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مِنْهُمْ عَنْ عَمْرُو ، فَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ فِي هَذَا :

فَرٌّ وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرَمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيلِ سَمَ مَا إِنَّ تَجُورَ عَنِ الْمَعْدِلِ ^(١)
وَلَمْ تَلَوْ ظَهْرَكَ مَسْتَأْنَسًا كَأَنَّ قِفَاكَ قِفَا فُرْعُلِ ^(٢)
وَكَانَ شِعَارُ ^(٣) أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ :
« حَمَّ . لَا يَنْصُرُونَ » .

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِيهَا وَصَفَ اللَّهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالشَّدَةِ لَتَظَاهَرُ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَإِتْيَانِهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ .
ثُمَّ إِنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخُذْ عَنَّا ^(٤) إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ .

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،

(١) الضِّلْمُ . ذَكَرَ النَّعَامُ ، وَهُوَ الْمَثَلُ فِي الْجَبَنِ . تَجُورُ : تَحِيدُ . الْمَعْدِلُ : الطَّرِيقُ .

(٢) الْمُرْعَلُ . الصَّغِيرُ مِنَ الضَّبَاعِ .

(٣) الشِّعَارُ . الْعَلَامَةُ الَّتِي كَانُوا يَتَعَارَفُونَ بِهَا فِي الْحَرْبِ .

(٤) أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَخْذُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إنَّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد ببلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم . لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنَّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا هزّة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم . فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ، ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه فقالوا له : لقد أشرت بالرأي !

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ خطأً أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتبوا عني . فقالوا : نفعل . قال : تعلّموا أنَّ معشر يهود قد نديموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم . ثم نكون معك على مَنْ بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي . وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم : قال : فاكتبوا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة

بن أبي جهل ، في نفر من قريش و غطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر^(١) ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً . ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطينا رهنأ من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمداً ؛ فإننا نخشى إن ضُرستم^(٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشسروا^(٣) إلى بلادكم ، وتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه !

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ! ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشسروا إلى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش و غطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطينا رهنأ . فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية بازدة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً . عن محمد بن كعب القرظي قال :

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايتم

(١) الخف : الإبل . والحافر : الخيل

(٢) ضرسكم : نالت منكم .

(٣) انشسروا : انقبضوا وأسرعوا إلى بلادهم .

رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا ابن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهد . فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل ^(١) ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رجلٌ يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجلٌ من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد . فلما لم يبق أحدٌ دعاني رسول الله ﷺ ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا ! فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤٌ من جلسه ؟ فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلانُ ابن فلان ^(٢) .

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبَحتم بدارٍ مُقام ، لقد هلك الكُراعُ والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئنُّ لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلقَ عِقَالَهُ إلّا وهو قائم ، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليّ : « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئتُ لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يصلي في مرطٍ ^(٣)

(١) هويّا من الليل : قطعة منه .

(٢) في شرح المواهب : « فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان . ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص » . (٣) المرط : الكساء .

لبعض نسائه مَراجل^(١) ، فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليّ طرف المِرْط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه . فلما سلّم أخبرته الخبر .
وسمعتُ غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .
ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرفَ عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة في سنة خمس

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ ، معتجراً بعمامة من إسترَق^(٢) ، على بغلةٍ عليها رحالة^(٣) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوَقَدْ وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريلُ : فما وضعتَ الملائكةُ السلاح بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم . إن الله عزّ وجلّ يأمرُك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامدٌ إليهم فمزلزلُهم .
فأمَرَ رسول الله ﷺ مؤذناً فأذّن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينَ العصر إلّا ببني قريظة .

وقدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدراها الناس ، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لِمَ ؟ أظنُّك سمعت منهم لي أذى . قال : نعم ، يا رسول الله . قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا إخوان

(١) المراحل : ضرب من وشي اليمن .

(٢) الإسترَق : ديباج غليظ .

(٣) الرحالة : السرج .

القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .
ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية
أموالهم يقال لها : بئر آثا .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر ،
لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحدُ العصر إلا ببني قريظة « فشغلهم نما
لم يكن منهم بُدٌ في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله ﷺ : « حتى
تأتوا بني قريظة » . فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك
في كتابه ، ولا عنتهم به رسول الله ﷺ .

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً حتى جهدهم الحصار ،
وقذف الله في قلبهم الرعب .

وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم
قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن
رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم :
يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارضٌ عليكم خلافاً
ثلاثاً فخذوا أيها شتم . قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقّه ،
فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون
على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة
أبداً ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أيتم عليّ هذه فهلتم نقتل أبناءنا ونساءنا ،
ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم تترك وراءنا ثَقَلًا ،
حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلاً
نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء
المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة
السبت ، وإنه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا
نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قالوا : نُفسد سبتنا علينا ، ونُحدث فيه ما

لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلاّ من قد علمت ، فأصابه ما لم يَخَفَ عليك من المسخ !
 قال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمّه ليلةً واحدةً من الدهر حازماً !
 ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ،
 لنستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلمّا رأوه قام إليه الرجال ،
 وجَهَّشَ إليه النساء والصبيانُ ليكون في وجهه ، فرقّ لهم وقالوا له : يا أبا
 لُبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد^(١) ؟ قال : نعم - وأشار بيده إلى حلقة -
 إنه الدَّبَحُ^(٢) .

قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتّى عرفت أنّي قد
 خُنت الله ورسوله ﷺ .

ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتّى ارتبطَ في
 المسجد إلى عمود من عمّده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتّى يتوب الله عليّ
 مما صنعت . وعاهدتُ الله ألا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلدٍ خنتُ
 الله ورسولَه فيه أبداً .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان قد استبطأه قال : أما إنه
 لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ فعلَ ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه
 حتّى يتوب الله عليه .

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : ييبّ على أبي لُبابة . قلت : أفلا
 أبشّره يا رسول الله ؟ قال : بلى إن شئت . فقامت على باب حجرتها - وذلك
 قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة ، أبشّر فقد تاب الله عليك !

(١) وذلك أنهم لما حوصروا حتّى أيقنوا بالهلكة ، أنزلوا شأس بن قيس . فكلّمه رسول الله ﷺ أن
 ينزلوا على ما نزل بنو النضير ، من ترك الأموال والحلقة ، والخروج بالنساء والذراري وما حملت
 الإبل إلا الحلقة . فأبى رسول الله ﷺ . فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية . ولا حاجة
 لنا فيما حملت الإبل . فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه . فعاد شأس إليهم بذلك .
 « عن شرح المواهب للزرقاني » .

(٢) في شرح المواهب : كأن أبا لُبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن دماهم ، وعرف أن
 رسول الله سيذهبهم إن نزلوا على حكمه . وبهذا أشار إلى بني قريظة .

قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه ، فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده . فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجدع ست ليال ، تأتبه امرأته في كل وقت صلاة فتحلّه للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجدع .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه .. فسأله إياهم عبدالله بن أبيّ بن سلول فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى . قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رُفيدة ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمارٍ قد وطّؤوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك لتحسن فيهم ! فلما أكثروا عليه قال : لقد أتني لسعدٌ ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه ^(١) .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ :

(١) أي ما فهمه من قوله : « أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » ، أن سعداً رأى قتلهم ، ، فثأرهم ، قبل موتهم .

قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولَّك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد بن مُعَاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنَّ الحكمَ فيهم لِمَا حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى مَنْ هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو مُعرِضٌ عن رسول الله ﷺ إجلالاً - فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال سعد فأني أحكم فيهم ، أن تُقتل الرجال ، وتقسَّم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة ^(١) » .

ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ^(٢) ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة - التي هي سوقها اليوم - فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يُخرج بهم إليه أرسالا ^(٣) ، وفيهم عدو الله حُيَّ بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثّر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد قالوا لكعب بن أسدٍ وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطنٍ لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع ، وإنَّه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

وَأُني بحبي بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلَّة له فُتَّاحِيَّة ^(٤) قد شقَّها عليه من كل ناحية قدرَ أتملةٍ ، لئلا يُسَلِّبَهَا ، مجموعةٌ يداها إلى عنقه بحبل . فلما نظر

(١) جمع ربيع ، وهي النساء .

(٢) اسمها كيسة بنت الحارث .

(٣) أرسالا : جماعات .

(٤) فُتَّاحِيَّة - على لون الورد هم أن يتفتح .

إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكته من يخذل الله يخذل ! ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة^(١) كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضرب عنقه . عن عائشة أم المؤمنين قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدثت معي وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قلت ها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته^(٢) . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها .

فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى ، عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل .

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أثبت منهم . عن عطية القرظي قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أثبت منهم ، وكنت غلاماً فوجدوني لم أثبت ، فخلوا سبيلي . (أثبت أي ثبت مشعر طيسته) وعن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلست معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة ابن سموءل القرظي ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها^(٣) وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحجم الجمل . فوهبه لها فاستحيته .

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل ، بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً .

(١) الملحمة : الواقعة العظيمة القتل .

(٢) قال ابن هشام : هي التي طرحها الرحي على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) لاد بها : النجا إليها .

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفِّي عنها وهي في ملكه . وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليّ وعليك . فتركها . وقد كانت حين سبها قد تعصّت بالإسلام وأبت إلا اليهودية ، فعرّضها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلّفه ، فقال : إنّ هذا للعلبة بن سعية يبشّرني بإسلام ريحانة . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ! فسره ذلك من أمرها .

وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصّة في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفابته إياهم ، حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة . وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ . فالذين جاؤوهم من فوقهم : بنو قريظة ، والذين جاؤوا من أسفل منهم : قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُنَا لَكَ ابْتِلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ ، لقول معتب بن قشير ^(١) إذ يقول ما قال : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إنّ بيوتنا عورة ، وما هي بعورة إنّ يريدون إلا فراراً ﴾ لقول أوس بن قطيبة ومن كان على رأيه من قومه . ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ﴾ أي المدينة ﴿ ثم سئلوا

(١) انظر ما مضى في صفحة ١٩٢ من طبع ٦

الْفِتْنَةَ ﴿ أَيِ الرُّجُوعِ إِلَى الشَّرِكِ ﴾ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مَنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسْتَوْثَلًا ﴿ فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ ، وَهُمْ الَّذِينَ هُمُوا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ ﴾ مَعَ بَنِي سُلَيْمَةَ حِينَ هَمَّتْ بِالْفِشْلِ يَوْمَ أُحُدٍ ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا الْمِثْلَهَا أَبَدًا ، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أُعْطُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أَيِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أَيِ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْدِيرًا ^(١) ، ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ أَيِ لِلضُّغْنِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أَيِ إِعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْسِينَةِ حُدَادٍ ﴾ أَيِ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تَخْبُونَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسْبَةً ^(٢) ، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ . ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قَرِيشَ وَغُطَفَانَ ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَثْلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ أَيِ لَثَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا عَنْ مَكَانٍ هُوَ بِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَدَقَهُمْ وَتَصَدَّقَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ يَخْتَبِرُهُمْ بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُوهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ، أَيِ صَبَرُوا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَتَسْلِيمًا وَتَصَدِيقًا لِلْحَقِّ ، لِمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ مِنْ

(١) التَّعْدِيرُ : أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَقِيمَ الْعِلْدَرُ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ

(٢) الْحِسْبَةُ : الْأَجْرُ .

المؤمنين رجالاً صَدَقُوا ما عَاهَدُوا الله عليه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴿١﴾ أي فرغ من عمله ورجع إلى ربه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ﴿٢﴾ ومنهم مَنْ يَنْتَظِرُ ﴿٣﴾ أي ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى ﴿٤﴾ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٥﴾ أي ما شكُّوا وما تردَّدوا في دينهم وما استبدلوا به غيره ﴿٦﴾ ليجزي الله الصَّادِقِينَ بصدقتهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إنَّ الله كان غفوراً رحيماً . وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴿٧﴾ ، أي قريشاً وغطفان ﴿٨﴾ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكانَ اللهُ قوياً عزيزاً . وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴿٩﴾ أي بني قريظة ﴿١٠﴾ من صياصبيهم ﴿١١﴾ والصياصي : الحصون والآطام التي كانوا فيها ﴿١٢﴾ وقذَّف في قلوبهم الرُّعْبَ فريقاً تَقْتُلُونَ وتأسرونَ فريقاً ﴿١٣﴾ أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء . ﴿١٤﴾ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تَطَّوُّوها ﴿١٥﴾ يعني خيبر ﴿١٦﴾ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ قديراً ﴿١٧﴾ .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن مُعَاذٍ جُرحه فمات منه شهيداً . عن الحسن البصري قال : كان سعدُ رجلاً بادئاً ، فلماً حمله الناس وجدوا له خِصَّةً ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازةٍ أخفَّ منه ! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « إنَّ له حَمَلَةً غيرَكم ، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكةُ بروح سعد ، واهتَزَّ له العرش » .

وقُتِل من المشركين ثلاثة نفر : منبّه بن عثمان بن عبيد . أصابه سهم فمات منه بمكة . ومن بني مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فغلب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه » فحُلِّي بينهم وبينه .

ومن بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد ودٍ ، قتله علي بن أبي طالب . واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين : خلاد بن سويد ، طرحت عليه رَحَى

فشدخته شدخاً شديداً . فرعموا أن رسول الله ﷺ قال ؛ « إِنَّ لَهُ لِأَجْرٍ شَهِيدِينَ » .

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثَان ، ورسولُ الله ﷺ محاصراً بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغني : « لَنْ تَغْزَوْكُمْ قَرِيشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا ، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ » .

فلم تغزهم قريشٌ بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرأ وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني لحيان ، يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ؛ ليصيب من القوم غيرة^(١) .

فخرج من المدينة^(٢) فسلك على غراب : جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَخِيض ، ثم على البتراء ، ثم صفق^(٣) ذات اليسار فخرج على بين^(٤) ثم على صُخَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغدت السير سريعاً حتى نزل على عُرَّان ، وهي منازل بني لحيان - وعُرَّان : واد بين أمّج وعُسفان ، إلى بلد يقال له ساية - فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غيبتهم لما أراد قال : لو أنّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أنّا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان . ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا

(١) الغرة : الغفلة .

(٢) صفق : عدل وانصرف .

(٣) بين : بالكسر : واد قرب المدينة .

(٤) بين : بالكسر : واد قرب المدينة .

كُرَاعَ الْغُمِيمِ ، ثُمَّ كَرُّوا وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا .

فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ وَجَّهَ رَاجِعًا :

آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ^(١) وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسَوْءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

غزوة ذي قَرَد

ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَقُمْ بِهَا إِلَّا لِيَالِي قَلِيلٍ حَتَّى أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، فِي خَيْلٍ مِنْ غُطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ^(٢) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ^(٣) وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ^(٤) وَامْرَأَةٌ لَهُ ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَذِرَ بِهِمْ^(٥) سَلْمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَكُوْعِ السُّلَمِيِّ ، غَدَا يَرِيدُ الْغَابَةَ مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، وَمَعَهُ غَلَامٌ لَطْلَحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، مَعَهُ فَرَسٌ لَهُ يَقُودُهُ . حَتَّى إِذَا عَلَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خَيْبِهِمْ ، فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ ثُمَّ صَرَخَ . وَاصْبَحَاهُ ! ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، وَكَانَ مِثْلَ السَّبْعِ ، حَتَّى لَحِقَ بِالْقَوْمِ ، فَجَعَلَ يَرُدُّهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَيَقُولُ إِذَا رَمَى : « خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوْعِ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٦) » . فَإِذَا وَجَّهَتِ الْخَيْلُ نَحْوَهُ انْطَلَقَ هَارِبًا ثُمَّ عَارَضَهُمْ ، فَإِذَا أَمَكْنَهُ الرَّمِيُّ رَمَى ثُمَّ قَالَ : « خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوْعِ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ » . فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ : أَوْيَكِنُّا هُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ .

(١) أَيِ مَشَقَّتِهِ وَشِدَّتِهِ

(٢) اللَّقَاحُ . بِكَسْرِ اللَّامِ : الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ ذَوَاتُ الْأَبَانِ .

(٣) الْغَابَةُ : مَوْقِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ .

(٤) هُوَ ابْنُ أَبِي ذَرٍّ

(٥) نَذَرَ بِهِمْ : عَلِمَ بِهِمْ .

(٦) جَمَعَ رَاضِعٌ ، وَالرَّاضِعُ : اللَّثِيمُ . وَالْمَعْنَى : الْيَوْمَ يَهْلِكُ اللَّثَامُ .

وبلغ رسول الله ﷺ صياحُ ابن الأَكوع ، فصرخ بالمدينة : الفرع
الفرع ! فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ،
ثم عبَّاد بن بشر بن وقش . وسعد بن زيد . وأسيد بن ظهير ، وعُكَّاشة بن محصن ،
ومحرز بن نضلة . وأبو قتادة الحارث بن ربعي . وأبو عيَّاش عُبَيْد بن زيد .
فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمرَ عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : اخرج
في طلب القوم حتى أَلْقَكَ بالناس .

ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي ، حبيب بن عيينة
ابن حصن . وغشَّاه ببرده . ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين . فإذا حبيب مسجى يرد أبي قتادة .
فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة ! فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبي
قتادة . ولكنه قُتل لأبي قتادة وضعَ عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار . وهما على بعير
واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً . واستنقلدوا بعض اللقاح ، وسار
رسول الله ﷺ حتَّى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل
رسول الله ﷺ به وأقام عليه يوماً وليلة . وقال سلمة بن الأكوع : يا رسول
الله ، لو سَرَّحتني في مائة رجل لاستنقلدت بقية السرح ، وأخذت بأعناق
القوم . فقال رسول الله ﷺ : إنهم الآن لِيُغَبِّقُونَ في غطفان^(١)

فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه . في كل مائة رجل جزوراً وأقاموا
عليها . ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة .

وأقبلت امرأة الغِفاري على ناقَةٍ من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت
عليه ، فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسولَ الله ، إني قد نذرت لله
أن أنحرها إن نَجَّاني الله عليها ! فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بشس ما

(١) يغبقون : يسقون الغبوق . وهو اللبن يشرب في العشي .

جزئتيها ان حَمَلَكَ اللهُ عليها ونجّات بها ثم تنخريتها ! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقةٌ من إبلي ، فارجمي إلى أهلك على بركة الله .

غزوة بني المصطلق^(١)

فَاقَامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعضَ جُمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست .

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارثُ بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له : المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتراحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم الله ، بني المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقلَ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه . وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كعب بن عوف ، يقال له هشام بن ضبابة ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر ابن الخطاب أجيرٌ له من بني غِفَار يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسان بن وبرّ الجهني على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار . وصرخ . جهجاه : يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سنوب - وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث - فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلايبَ قریش^(٢) إلا كما قال الأول . سَمْنُ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ! أما والله لئن رجَعْنَا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَ ! ثم أقبلَ على مَنْ حضَّره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ! وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم !

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع . (٢) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مرّ به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ولا تكلمت به ! وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدّباً على ابن أبي بن سلول ، ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رُحِتَ في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها ! فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبدالله بن أبي . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إنّ رجوع إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتّى أصبح ، وصدر يومهم ذلك ، حتّى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليُشغل الناس بالحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبي .

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتّى نزل على ماء بالحجاز فويق الثقيع يقال له بقاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على

الناس ريح آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها ، فإنما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت ، أحد بني قينقاع - وكان عظيمًا من عظماء يهود ، وكهفًا للمنافقين - مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبدالله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل ترقق به وتُحسّن صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقدِم بئس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلماً . وجئتكم أطلب دية أخي . قُتل خطأ ! فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم غدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً . وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس^(١) ، وقتل علي بن أبي طالب منهم

(١) قال ابن هشام : « وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور ، أمت ، أمت » .

رجلين : مالكا وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر ، أو أحيمير .

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فشا قسمه في المسلمين . وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار . زَوْج رسول الله ﷺ .

قالت عائشة : لما قسم رسولُ الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جُويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له . فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة مَلَّاحَةً^(١) ولا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه . فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها . فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها . وعرفت أنه سيرى منها رسولُ الله ﷺ ما رأيت . فدخلتُ عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه . وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك . فوقعتُ في السهم لثابت قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسي . فجئتُك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أنَّ رسول الله ﷺ قد تزوج جُويرية ابنة الحارث ابن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . وأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق . فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركةً منها .

وعن يزيد بن رومان : أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، فلما سمِعوا به ركبوا إليه ، فلما سمِع بهم هاجهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنَّ القومَ فدَهُمُوا بقتله ومنعوه

(٢) أي شديدة الملاحه .

ما قبلهم من صدقتهم . فأكثر المسلمون في ذكر غزروهم حتى همَّ رسولُ الله ﷺ بأن يغزوهم . فبينما هم على ذلك قدِم وفدُهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله . سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدِّيَ إليه ما قبلنا من الصدقة . فانشمرَ راجعاً^(١) . فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله . ووالله ما جئنا لذلك .

فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أنَّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعنتم ﴾ إلى آخر الآية . وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك . قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك ، في غزوة بني المصطلق

سنة ست

عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه . فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العَلَقَ^(٢) لم يُهَبَّجَنَّ اللحمُ فيقتلن^(٣) ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

(١) انشمر : جد وأسرع .

(٢) العلق : جمع علقة . بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الطعام .

(٣) الهيج : الورم . هجه تهيجاً : ورمه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجهه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل . فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزْعُ ظَفَّار^(١) ، فلما فرغت انسلت من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتسمه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتسمته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحلون لي البعير^(٢) ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنني فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب . قد انطلق الناس ، فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني . وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي . فوالله إنني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته . فلم يبت مع الناس . فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي . وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رأي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعيته رسول الله ﷺ ! وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلَّفك يرحمك الله ؟ فما كلمته . ثم قرب البعير فقال : اركبي . واستأخر عني . فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج^(٣) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قديمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة^(٤) ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي لا

(١) الجزع : الخرز . وظفَّار : مدينة باليمن قرب صنعاء

(٢) رحل البعير : وضع عليه الرحل .

(٣) ارتعج : تحرك واضطرب .

(٤) الشكوى : المرض .

يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً . إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي . كنت إذا اشتكيت رحماني ولطف بي . فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك . فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي^(١) تمرّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . حتي وجدت^(٢) في نفسي ققلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني ؟ قال : لا عليك .

قالت : فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نكّفت من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة .

وكنّا قوماً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنف التي تتخذها الأعاجم . نعافها ونكرهها . إنما كنا نذهب في فُسح المدينة . وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة في حوائجهن . فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف ، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها^(٣) . فقالت : تعيس مسطح ! قالت : بشس لعمر الله ما قلت لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٤) كبدي ، وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بني ، خفضي عليك الشأن^(٥) ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل

(١) اسمها زينب بنت عبد دهمان ، فيما قال ابن هشام

(٢) الوجد : الحزن .

(٣) المرط : الكساء .

(٤) يصدع : يشق .

(٥) أي هوني عليك الأمر .

يُحِبُّهَا ، لها ضرائر ، إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها^(١) .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يُخَاطِبُهُمْ - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ . ما بال رجال يُؤْذِنُونِي فِي أَهْلِي . ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم إلا خيراً . ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتِي إلا وهو معي » .
قالت : وكان كِبَرُ ذَلِكَ^(٢) عند عبدالله بن أَبِي بن سَلُول ، في رجالٍ من الخزرج ، مع الذي قال مُسَطَّحٌ وَحَمْنَةُ بنت جحش . وذلك أَنَّ أختها زَيْنَب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ . ولم تكن من نسائه امرأةً تناصيني^(٣) في المنزلة عنده غيرها . فأما زَيْنَب فعَصَمَهَا الله بدينها فلم تَقُلْ إلا خيراً . وأما حَمْنَةُ بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت . تضادَّتْني لأختها . فشقيتُ بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهلُّ أن تضرب أعناقهم ! فقام سعد بن عُبَادَةَ . وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً . فقال : كذبتَ لعمر الله . لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج . ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ! فقال أُسَيْدٌ : كذبتَ لعمر الله . ولكِنَّكَ منافقٌ تجادلُ عن المنافقين !

قالت : وتساوَرَ الناس^(٤) حتَّى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله ﷺ ودخل عليّ ، فدعا علي بن أبي

(١) أي كثُرُوا القول فيها والعتت عليها . ويروى : « كبرن » من الكبر وهو الإثم .

(٢) كبر ذلك ، أي معظم ذلك الإثم .

(٣) المناصاة : المساواة .

(٤) تساوَرُوا : تواءموا .

(٥) أي من على المنر .

طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامةُ فأتى عليَّ خيراً وقاله ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وهذا الكذبُ والباطل ! وأما عليٌّ فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساءَ لكثير ، وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ، وسلِّ الجارية فإنها تصدِّقك .

فدعا رسول الله ﷺ بُريرة^(١) ليسألها ، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً وقال : اصدقي رسول الله ﷺ . فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أتني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي . فجلس فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : يا عائشة . إنه كان ما بلغك من قول الناس فأتقي الله . وإن كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله . فإنَّ الله يقبلُ التوبة عن عباده ! فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي^(٢) حتى ما أحسُّ منه شيئاً ، وانتظرت أبوي أن يجيئا عني رسول الله ﷺ . فلم يتكلما ! وإيم الله لأنا كنت أحقرَ في نفسي وأصغر شأناً من أن يُنزلَ الله فيَّ قرآناً يُقرأ به في المساجد ويصلَّى به ، ولكي قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذبُ به الله عني ، لما يعلمُ الله من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآن يُنزلُ في فوالله لَنفسي أحقر عندي من ذلك !

فلما لم أر أبوي يتكلمان قلتُ لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . ووالله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخلَ على آل أبي بكر في تلك الأيام !

فلما أن استعجما عليَّ^(٣) استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى

(١) بريرة : مولاة عائشة .

(٢) قلص : ارتفع وأمسك .

(٣) استعجم . لم ينطق

الله مَّا ذَكَرْتُ أَبَدًا ! والله إِنِّي لأَعْلَمُ لئن أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بِرِيْثَةٍ لَأَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَلئن أَنَا أَنْكَرْتُ مَا يَقُولُونَ لَا تَصْدُقُونِي

قَالَتْ : ثُمَّ التَّمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكَرُهُ ، فَقُلْتُ : وَلَكِنْ سَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . فَوَاللهِ مَا بَرَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ حَتَّى تَغْشَاهُ مِنَ اللهِ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ ، فَسُجِّيَ بَثْوُهُ وَوُضِعَتْ لَهُ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمَ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ فَوَاللهِ مَا فَرَعْتُ وَلَا بَالَيْتُ ، قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بِرِيْثَةٍ ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ ظَالِمٍ . وَأَمَّا أَبُوَايَ فَوَالَّذِي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ مَا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنْفُسُهُمَا ، قَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النَّاسُ .

قَالَتْ : ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَإِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ^(١) فِي يَوْمٍ شَاتٍ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعِرْقَ عَنْ حَيْثُ بِهِ وَيَقُولُ : أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ . فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكَ . قُلْتُ : بِحَمْدِ اللهِ !

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِمَسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ . وَحَمَّةَ بِنْتَ جَحْشٍ . وَكَانُوا مِنْ أَفْصَحِ الْفَاحِشَةِ ، فَضْرَبُوا حَدَّهُمْ .

قَالَ : ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالَدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ ، أَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ ، أَكُنْتُ يَا أُمُّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً ؟ قَالَتْ : وَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ .

قَالَ : فَعَائِشَةُ وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ !

قَالَتْ : فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ ذَكَرَ مِنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . - وَذَلِكَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا

(١) الجمَان : حب كالدر يصع من القفزة .

ما قالوا - ثم قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه .

ثم قال : ﴿ إذ تلقونه بالستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علمٌ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بشفع أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا .

قالت : فأنزل الله في ذلك : ﴿ ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيلِ الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفرَ الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ . فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحبُّ أن يغفرَ الله لي . فرجع إلى مسطحٍ نفقته التي كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق : وقال قاتل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه
لقد ذاق حسانُ الذي كان أهله : وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا ، وَمُسْطَحٌ^(١)
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيهم وَسَخَطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَنْزَحُوا^(٢)
وآذوا رسولَ الله فيها فجَلَّلُوا مَخَازِي تَبَقَى عُمُومُهَا وَقُضُّوا
وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتُ كَأَنَّمَا شَائِبُ قَطْرِ مَنْ دُرَى الْمِزْنِ تَسْفَحُ^(٣)

أمر الحُدَيْيَةِ

في آخر سنة ست

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج في ذي

(١) الهجير : الهجر ، والقول الفاحش القبيح .

(٢) الرجم : القول بالظن . أنزحوا : أحزنوا . الترح : الحزن .

(٣) المحصّدات : السياط المحكمة القتل الشديدة . الشايب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر الذرى : الأعالي . المزن : السحاب . تسفح : تسيل .

القعدة معتمراً لا يريد حرباً^(١) واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا : أن يعرضوا له بحربٍ أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساقَ معه الهذلي^(٢) ، وأحرَمَ بالعمرة ، ليأمنَ الناسُ من حربه ، وليعلم الناسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفان^(٣) لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريشٌ قد سمعتُ بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٤) ، وقد نزلوا بذِي طُوًى^(٥) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالدُ بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُرَاعِ الغَميمِ^(٦) . فقال رسول الله ﷺ : يا ويحَ قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلَوْا بيني وبين سائر العرب ، فإنّهم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظنُّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني به حتى يُظهره الله أو تنفردَ هذه السالفة^(٧) !

ثم قال : من رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غير طريقهم التي هم بها ؟ وإن رجلاً من بني أسلم قال : أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقاً وعرّاً أَجْرَل^(٨) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شقَّ ذلك على المسلمين وأفضّوا إلى أرضٍ

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثي .

(٢) كان سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

(٣) عسفان : منهل من مكة على مرحلتين .

(٤) العوذ : جمع عائد ، وهي الحديثة التناج من الإبل . المطافيل : التي معها أولادها . يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً .

(٥) ذُو طُوًى : موضع قرب مكة .

(٦) كُرَاعِ الغَميم : واد أمام عسفان بشمانية أميال .

(٧) السالفة : صفحة العنق . (٨) الأجرل : الكثير الحجارة .

سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا : نستغفر الله ونَتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها للْحِطَّةُ ^(١) التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَي الحمض ، في طريقٍ تخرجهم على ثنيةٍ المَرار ، مَهْبِطُ الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأتُ خيلُ قريشٍ قَتْرَةَ الجيش ^(٢) ، قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راکضين إلى قريش . وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المَرار برکت ناقته ، فقالت الناس : خَلَّات ^(٣) الناقة . قال : ما خَلَّات ، وما هو لها بِخُلُقٍ ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة . لا تدعوني قريشُ اليومَ إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صلَّةَ الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يا رسولَ الله ، ما بالوادي ماءً تَنَزَّل عليه . فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القُلُب ^(٤) ففرزه في جوفه ، فجاش بالرواء ^(٥) حتى ضرب الناس عنه بَعَطَن ^(٦) .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في رجالٍ من خزاعة ، فكَلَّموه وسألوه : ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أَنَّهُ لم يأتِ يريد حرباً ، وإِنَّمَا جاء زائراً للبيت ، ومعظماً لحرمة ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تَعَجِلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتالٍ وإِنَّمَا جاء زائراً هذا البيت .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (وقولوا حطة) ، ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) القَتْرَة : الغبار .

(٣) خَلَّات : بركت ولم تنهض .

(٤) القليب : البئر .

(٥) جاش : ارتفع . الرواء : الكثير .

(٦) العطن . مبرك الإبل حول الماء .

فأتهموهم وجبّوهم^(١) وقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتلاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب .
وكانت خزاعة عيّبة نصّح^(٢) رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشرکها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجلٌ غادر . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحوا مما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة - أو ابن زبان - وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إنّ هذا من قوم يتأهلّون^(٣) ، فابعثوا الهديّ في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي^(٤) في قلائده^(٥) ، وقد أكل أوبأره من طول الحبس عن مَحَلّه^(٦) ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ، إعظاماً لما رأى . فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فإنّما أنت أعرايٌّ لا علم لك . فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أبصّد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحُلَيْس بيده لتُخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرونَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : مه ، كفّ عنّا يا حُلَيْس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب

(١) جبّه : خاطبه بما يكره . (٣) يتأهلّون : يتعبدون ويعظمون الله .

(٢) أي خاصته وأصحابه سره . (٤) عرض الوادي : جانبه .

(٥) القلادة : ما يعلق في عنق الهدي إعلالاً له .

(٦) المحل : الموضع الذي ينحر فيه من الحرم .

الناس^(١) ثم جث بهم إلى بيضتك^(٢) لتفضّها بهم^(٣) ، إنها قريشٌ قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٤) ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوةٌ أبداً . وإيّم الله لكائي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ! وأبو بكر الصديقٌ خلفَ رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصصْ بظُر اللات ، أنحن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يداً قد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . .

ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقفٌ على رأس رسول الله ﷺ في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك ! فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن اخيك المغيرة ابن شعبة . قال : أيّ غدر ، وهل غسّلتُ سوءتُك إلا بالأمس^(٥) ! فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً . فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا وابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيءٌ إلا أخذوه . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جثتُ كسرى في ملكه ، وقصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيتُ ملكاً في قومٍ قطّ مثل محمد في أصحابه ! وقد رأيتُ قوماً لا يُسلمونه لشيءٍ أبداً ، فرّوا رأيكم .

وإن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريشٍ

(١) الأوثاب : الأخطا .

(٢) بيضة الرجل : قبيلته وعشيرته

(٣) تفضها : تكسرها

(٤) انظر ما سبق في صفحة ٢٢١ .

(٥) قال ابن هشام : أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، فنهاج الحيان من ثقيف . بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

بمكة ، وحمله على بعير له يقال له : « الثعلب » ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، ففعلوا به جملَ رسول الله ﷺ وأرادوا قتله . فمنعته الأحابيش فحلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحدٌ يمنعني ، وقد عرفتُ قريشُ عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكي أدلّك على رجلٍ أعزّ بها مني : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنّه لم يأت لحرب ، وأنّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته . فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص ، حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف . فقال : ما كنت لأفعل حتّى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريشُ عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن اسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرح حتى نناجز القوم . فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر ابن عبدالله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله ﷺ الناس^(١) ، ولم يتخلف عنه أحدٌ من المسلمين حضرها ، إلاّ الجُدُّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً يابط ناقته ، قد ضبأ إليها^(٢) يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

أمر الهدنة

(صلح الحديبية)

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ، قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامٌ تُعطي الدنية^(٣) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزَه^(٤) فأني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامٌ تُعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

(٢) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

(٣) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٤) أي الزم أمره . والغرز للرحل ، بمترلة الركاب للسرّج .

أمره ولن يُضيعني .

فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمتُ به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم » . فكتبها .

ثم قال : اكتب » هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله ﷺ : اكتب :

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمداً لم يرده عليه . وإن بيننا عيبة مكفوفة^(١) . وإنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) . وإنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتوالت خزاعة فقتلوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عامٌ قابلٌ خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمنا بها ثلاثاً ، معك سلاح الرأكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها . فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ؛ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا ، وهم يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع . وما تحمّل

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع . مكفوفة : أشرجت على ما فيها وأقلت . ضرب ذلك مثلاً للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون . فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه ^(١) ، ثم قال : يا محمد ، قد لَجَّت القضية ^(٢) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يَنْتَرُهُ ^(٣) بتليبيه ويجره ليردَّه إلى قریش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أَرُدُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ ! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً ! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم علي ذلك وأعطينا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون ، وإنَّما دُمُ أحدَهم دم كلب ! ويدني عمر قائمَ السيف منه ، يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباه ! ففطن الرجلُ بآييه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتبَ الصحيفة .

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحِلِّ ، وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون . ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين

(١) التلييب : جمع الثياب عند الصدر والنحر ؛ أخذ بتليبه : جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره .

(٢) لجت القضية : تم الحكم .

(٣) نتره : جذبه جذباً شديداً .

مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .
ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ . فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف . يقول : مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ : صلح الحديبية .
يقول الزُّهري : فما فتح في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب . وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتفوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحدٌ بالإسلام يَعْقِلُ شيئاً إلا دخل فيه . ولقد دخل في تينك الستين مثلٌ من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر ^(١) .

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعضَ المحرم ، ووليَ تلك الحجة المشركون . ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر .
عن أبي معتب بن عمرو :
أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قِفُوا .
ثم قال :

« اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَدْرَيْنَ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

(١) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

وخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .
أَقْدِمُوا بِاسْمِ اللَّهِ » .

قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

وعن أنس بن مالك قال :

كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغزِ عليهم حتى يصبح ، فإن سمِعَ أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خير ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، فركبتُ خلفَ أبي طلحة وإنَّ قدمي لَتَمَسَّ قَدَمَ رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عُمَالُ خير غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم^(١) ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيشَ قالوا : محمد والخميس^(٢) ! فأدبروا هُرَّاباً ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباحُ المنذرين .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خير سلك على عِصْر^(٣) ، فُبِّي له فيها مسجد ، ثم على الصهباء^(٤) . ثم أقبلَ رسول الله ﷺ بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان . ليحولَ بينهم وبين أن يمدُّوا أهلَ خير ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خير جمعوا له . ثم خرجوا ليظاهروا^(٥) يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقِلة^(٦) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وغلَّوا بين رسول الله ﷺ وبين خير .

(١) الساجي : جمع مسحاة ، وهي بحرفة من حديد . والمكتل : ففة كبيرة .

(٢) الخميس : الجيش ، لانتظامه خمس فرق : المينة ، والميسرة ، والمقدمة ، والمؤخرة ، والقلب

(٣) جبل بين المدينة ووادي الفرع .

(٤) موضع بينه وبين خير روحة .

(٥) ليظاهروا : ليعاونوا وينصروا .

(٦) منقلة : مرحلة .

وتدنى^(١) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصناً حصناً . فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم . وعنده قُتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رَحَى فقتلته . ثم القموص حصن بني أبي الحُقَيْق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهم صفية بنت حُيٍّ بن أخطب - وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق - وبني عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها . وفشت السبايا من خير في المسلمين .

ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الاموال ما حاز انتهبوا إلى حصنهم : الوطيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون خير افتتاحها . فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

وخرج مَرَحَبُ اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه ، يرتجز ويقول :
 قد علمتُ خيرُ أَيَّ مَرَحَبُ شاكِي السلاح بطلٌ مجرَّبُ^(٢)
 أظعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوث أقبلت تُحَرَّبُ^(٣)
 إنَّ حمايَّ للحمي لا يُقَرَّبُ

وهو يقول : مَنْ يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتُ خيرُ أَيَّ كعبُ مفرجُ الغمى جريءُ صُلبُ^(٤)
 إذ شَبَّت الحرب ثلتها الحربُ معي حُسامٌ كالعقيق غضبُ^(٥)
 نطؤكم حتَّى يذِلَّ الصَّعبُ نُعطي الجزاء أو يفِيءُ النَّهْبُ
 بكفٍّ ماضٍ ليس فيه عتبُ

فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة . يا رسول

(١) تدنى : أخذ الأدنى فالأدنى .

(٢) الشاكِي السلاح : التام السلاح الحديدية .

(٣) تحرب : أي مغضبة .

(٥) العقيق : شعاع البرق .

(٤) الغمى : الشدة والكرب .

الله ، أنا والله الموتور الثائر . قُتل أخي بالأمس . قال : فقُم إليه . اللهم أعنه عليه .

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرةٌ عُمريةٌ^(١) من شجر العُشْرِ^(٢) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتّى برز كل واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فتن . ثم حمل مرحبٌ على محمد بن مسلمة ، فضربه فأتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته . وضربه محمد بن مسلمة حتّى قتله .

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز ؟ فرغم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يُقتل ابني يا رسول الله ! قال : أبل ابنك يقتله إن شاء الله ! فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال :

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جُهد . ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جُهد . فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمَد ، فتقلّ في عينيه ثم قال : خذْ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك !

يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح ، يُهرول هرولةً ، موائاً لخلفه يتبع أثره ، حتى ركز رايته في رَضْمٍ^(٤) من حجارة الحصن ، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب .

(١) عمرية : قديمة .

(٢) العُشْر : شجر أملس ضعيف العود .

(٣) يأنح : أي به نفس شديد من الإعياء في العدو

(٤) الرضم : الحجارة المجتمعة .

يقول اليهودي : عَلَوْتُمْ وما أُنْزِلَ على موسى !
فما رَجَعَ حَتَّى فَتَحَ اللهُ على يديه .

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصينهم : الوَطِيحَ والسَّلَامَ ،
حتى إذا أَيْقَنُوا بالهَلَكَةِ سألوه أن يَسِيرَهم ^(١) وأن يَحِقْنَ لهم دماءهم . ففعل
- وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشَّقْ ، وَنَطَاقَ ، والكِتْيَةَ ،
وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين - فلَمَّا سَمِعَ بهم أهل فَذَكْ
قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يَسِيرَهم وأن يَحِقْنَ
دماءهم ويَحْلُوا له الأموال ، ففعل .

وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِصَّةٌ ^(٢) بن
مسعود ، أخو بني حارثة ، فلما نَزَلَ أهلُ خيبر على ذلك سألوا رسولَ الله
ﷺ أن يَغَامِلَهم في الأموال على النصف . وقالوا : نحنُ أَعْلَمُ بها منكم
وأَعْمَرُها . فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أَنَا إِن شِئْنَا أن نَخْرِجَكم
أَخْرَجْنَاكم . فصالحه أهل فَذَكْ على مثل ذلك ، فكانت خيبرَ فَيْثًا بين المسلمين ،
وكانت فَذَكْ خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يُجْلِبُوا عليها بخيلٍ ولا رِكَابٍ .
فلما اطْمَأَنَّ رسول الله ﷺ أَهَدَتْ له زينب ابنة الحارث ، امرأة
سَلَامَ بن مشكم ، شاةً مَصْلِيَةً ^(٣) ، وقد سألت : أَيُّ عَصِيٍّ من الشاةِ أَحَبُّ
إلى رسول الله ﷺ ؟ فَقِيلَ لها : الذراع . فأكثرت فيها من السمِّ ثم سَمَتْ
سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وَضَعَتْها بين يَدَي رسول الله ﷺ تناولَ
الذراعَ فَلَكَ منها مُضْغَةً فلم يُسِفْها ، ومعه بشرُّ بن البراء بن معرور ، قد
أَخَذَ منها كما أَخَذَ رسول الله ﷺ . فَأَمَّا بشرُّ فَأَسَاغَهَا ، وأما رسول الله ﷺ
فلَفَظَهَا ثم قال : إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، ثم دعا بها فاعترفت ،
فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يُحْفَ عَلَيْكَ ،

(١) يسيرهم : يخرجهم ويجلبهم عن بلدهم .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٤١ .

(٣) المصلية : المشوية .

فقلتُ : إن كان ملكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسيُخبرُ . فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشرٌ من أكلته التي أكل .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير انصرف إلى وادي القرى ، فحاصر أهله ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية ، بخير أو ببعض الطريق ، وكانت التي جمعتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها ، أم سليم بنت ملحان . أم أنس بن مالك ، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ويُطيف بالقبّة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهدٍ بكفر ، فحشنتها عليك

فرععوا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم احفظ أبا أيوب . كما بات يحفظني ! ولما انصرف رسول الله ﷺ من خير فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجلٌ يحفظُ علينا الفجرَ لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظُه عليك . فترسل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلي فصلّى ما شاء الله عز وجل أن يصلي ، ثم استند إلى بغيره واستقبل الفجرَ يرمقه ، فغلبنه عينه فنام ، فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس . وكان رسول الله ﷺ أولَ أصحابه هباً فقال : ماذا صنعتُ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذتُ بنفسِي الذي أخذتُ بنفسك . قال : صدقت . ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلّى رسول الله ﷺ بالناس ، فلماً سلّم أقبل على الناس فقال : إذا نسيتُم الصلَاة فصلُّوها إذا ذكرتموها ، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِى ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لقيم العبسي حين

افتتح خيبر ، ما بها من دَجاجة أو داجن^(١) ، وكان فتحُ خيبر في صفر ، فقال ابنُ لُقيم العسبيُّ في خيبر :

رُميتْ نَطَاةٌ مِنَ النَّبِيِّ بِقَيْلِقٍ	شهباء ذاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَّارٍ ^(٢)
وَاسْتَيْقَنْتُ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعْتُ	وَرِجَالُ أَسْلَمٍ وَسَطَّهَا وَغِفَّارٍ ^(٣)
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بَن زُرْعَةٍ عُذْوَةٍ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارٍ ^(٤)
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدْعَ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ ^(٥)
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي النَّجَارِ ^(٦)
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيَمَاهُمْ	فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَتُّوا لِإِفْرَارٍ ^(٧)
وَلَقَدْ عَلِمْتَ لِيَغْلِيَنَّ مُحَمَّدٌ	وَلِيُشَوِينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ ^(٨)
فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَغَى	تَحْتَ الْعِجَاجِ غَمَائِمَ الْأَبْصَارِ ^(٩)

قدوم جعفر بن ابي طالب إلى الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام

عن الشعبي : أن جعفر بن ابي طالب قدِم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسولُ الله ﷺ بين عينيه ، والتزمه وقال : ما أدري بأيِّهما أنا أُسرُّ ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

-
- (١) الداجن : ما يألف بيوت الناس ، كالشاة والحمامة .
(٢) نطاة : حصن بخيبر . الفيلق : الكتيبة . الشهباء : البيضاء ، الكثيرة السلاح .
(٣) شيعت : فرقت . أبيلم وغفار : قبيلتان .
(٤) الشق : حصن بخيبر .
(٥) الأبطح : المكان السهل .
(٦) قبيلتان من الأنصار وفي البيت إقواء .
(٧) المعمر : ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب .
(٨) ليثوين : لقيمن . أصفار : جمع صفر ، وهو اسم الشهر الذي فتحت فيه .
(٩) فرت : كشفت ، كما تمر الدابة عن أسنانها . وغمائم الأنصار . أراد بها الجفون

قال ابن إسحاق :

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية :

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وابنه عبدالله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابنة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على مال المسلمين ؛ وأبو موسى الأشعري .

ومن بني أسد عبد العزى : الأسود بن نوفل بن خويلد .

ومن بني عبد الدار بن قصي : جهم بن قيس .

ومن بني زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود .

ومن بني تميم بن مر : الحارث بن خالد بن صخر .

ومن بني جُمح بن عمرو : عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بني سهم بن عمرو : محمية بن الجزء .

ومن بني عدي بن كعب : معمر بن عبدالله بن نضلة .

ومن بني عامر بن لؤي : أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط .

وقد كان حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين .

فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا . وجميع من

تخلف عن بدر ولم يقدّم على رسول الله ﷺ مكة ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين أربعة وثلاثون رجلا .

عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجماديين ، ورجبا وشعبان ، ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه .

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكانَ عمرته التي صدّوه عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صدّه معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع . فلما سمع به أهل مكة خرجوا ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهدٍ وشدة .

قال ابن عباس :

صَفُّوا له عند دار الندوة ، لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه^(١) وأخرج عضده اليمنى ثم قال : رحم الله امرأاً أراهم اليوم من نفسه قوة ! ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واروه البيت منهم واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود . ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها .

وعنه أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام . وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِب بن عبد العزى في نفرٍ من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله ﷺ

(١) اضطجع : أدخل رداءه من تحت إبطه الأيمن ، وجعل طرفه على منكبه الأيسر فبدا بذلك أحد ضبعيه .
والضبع بسكون الباء : وسط العضد بلحمه .

من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ^(١) فأخرجُ عنا . فقال النبي ﷺ : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فأخرجُ عنا .

فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع موله على ميمونة حتى أتاه بها بِسْرَف ^(٢) فبنى رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرفت إلى المدينة .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل - فيما حدثني أبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْلَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ .

غزوة مؤتة ^(٣)

في جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها ^(٤) بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرأ وشهري ربيع . وبعث في جمادى الأولى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ ، الذين أصيبوا بمؤتة ، واستعمل عليهم زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدا لله بن رواحة على الناس .

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، وَهَمُّ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى ، فَقَالُوا لَهُ : مَا يَبْكُكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا ، وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ

(١) أي الأجل الذي اتفق عليه في صلح الحديبية ، وهو ثلاثة أيام .

(٢) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٣) مؤتة : قرية من أرض البلقاء بالشام .

(٤) أي بالمدينة .

إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿١﴾ ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ
بعد الورود !

فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين !
فقال عبدالله بن رَوَاحَة :

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ قُرْغٍ تَذْفُ الزَّيْدَا (١)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجَهَّزَةً بِحَرْبَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)
حَتَّى يَقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)
ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم
قال عبدالله بن رَوَاحَة

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِيءٍ وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مَشِيعٍ وَخَلِيلٍ (٤)
ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل
مأب من أرض البلقاء في ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقيين
وبهراء وبلي مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة ، يقال له
مالك بن رافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في
أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن
يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمُضِي لَهُ .

فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ
لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدِي وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ .
مَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَاَنْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى
الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا ظُهُورٌ ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ .
فقال الناس : قد والله صدق ابن رَوَاحَة .

(١) الفرج : السعة والربد : رغبة الدم .

(٢) مجهرة : سريعة القتل . تنفذها : تحرقها .

(٣) الحديث : القبر . ويروى : « يا أرشد الله » .

(٤) خلف السلام . أي كان السلام خلفا .

فمضى الناس حتى إذا كانوا بـتُخوم^(١) البلقاء لقيتهم جموع هِرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مَشَارَف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعباً لهم المسلمون فجعلوا على ميمتهم رجلاً من بني عُذرة يقال له قُطبة بن قَتادة ، وعلى ميسرهم رجلاً من الأنصار يقال له عَباية بن مالك .

ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براءة رسول الله ﷺ حتى شاط^(٢) في رماح القوم .

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمة القتال^(٣) اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها^(٤) ، ثم قاتلَ القومَ حتى قُتل وهو يقول :

يا حَبذا الجنةُ واقترأبها طيبةً وبارداً شرأبها
والرُومُ زومٌ قد دنا عذابها كاسفرةً بعيدهُ أنسابها
عليَّ إذْ لاقيتها ضراًبها

قال ابن هشام : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه ففُطعت ، فأخذه بشماله ففُطعت فاحتضنه بعُضديه حتى قُتل . رضي الله عنه ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء . ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة ففقطعه بنصفين

قال ابن إسحاق :

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويردِّد بعض الردد ، ثم قال :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه لتنزلنَّه أو لا تُكرهنَّه

(١) التخوم . الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، واحدها : تخم

(٢) شاط : سال دمه فهلك .

(٣) ألحمة القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .

(٤) اقتحم عنها : رمى بنفسه عنها . عقرها . ضرب قوائمها بالسيف وهي تلهة .

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ^(١) مَالِي أَرَأَيْكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَيْءٍ^(٢)
 وَقَالَ أَيْضاً :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي نَمُوتِي هَذَا حِمَامٌ الْمَوْتُ قَدْ صَلَبَتْ
 وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ أَنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ بَعْرَقٍ مِنْ لَحْمٍ^(٣) فَقَالَ : شَدَّ بِهَذَا صُلْبَكَ ،
 فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ ! فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسَةً^(٤)
 ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ^(٥) فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ فَقَالَ : وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا ! ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ
 يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ ، أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
 الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ . قَالُوا : أَنْتِ . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ .
 فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ وَحَاشَى بِهِمْ^(٦)
 ثُمَّ انْحَاذَ وَانْحِيزَ عَنْهُ حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ .

وَلَمَّا أَصِيبَ الْقَوْمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنِي : أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ
 حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً .
 ثُمَّ صَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجْوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ
 فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ . ثُمَّ قَالَ : « ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
 فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً » . ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ

(١) أَجْلَبُوا : صَاحُوا وَاجْتَمَعُوا . الرِّثَّةُ : صَوْتُ فِيهِ تَرْجِيعٌ شَبِيهُ بِالْبُكَاءِ .

(٢) النُّطْفَةُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ الصَّافِي . الشَّيْءُ : السَّقَاءُ الْبَالِي .

(٣) الْعِرْقُ : بِالْفَتْحِ : الْعَظْمُ عَلَيْهِ بَعْضُ اللَّحْمِ .

(٤) انْتَهَسَ : أَخَذَ مِنْهُ بِفَمِهِ يَسِيرًا .

(٥) الْحَطْمَةُ : زَحَامُ النَّاسِ وَحَطْمُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا .

(٦) حَاشَى بِهِمْ : انْحَاذَ .

على سُرْرِ من ذهب ، قرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازوراراً^(١) عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا ؟ ف قيل لي : مضياً ، وتردّد عبدالله بعض التردّد ثم مضى .

فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدون^(٢) ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر . فأتي بعبدالله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه .

وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا قرار ! فررتم في سبيل الله !

فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالقرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى .

وكان مما بُكي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت :

تَأْوَبَنِي لَيْلٌ يَبْثُرُ أَعْسَرُ	وَهُمْ إِذَا مَا نَوْمُ النَّاسِ مُسْهَرُ ^(٣)
لَذَكَرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً	سَفَوْحاً وَأَسْبَابَ الْبُكَاءِ التَّذْكَرُ ^(٤)
بَلَى ، إِنَّ فَقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ	وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ ^(٥)
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَدُوا	شُعُوبَ وَخُلُفَاءَ بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَايَعُوا	بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَايَعُوا	جَمِيعاً وَأَسْبَابَ الْمَنِيَةِ تَخْطُرُ ^(٦)

(١) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٢) يشتدون : يسرعون في العدو .

(٣) تأوَبني : عادني . أعسر : عسير . نوم الناس : ناموا .

(٤) سفوح : سائلة غريرة .

(٥) ويروى : « بلاء وفقدان » .

(٦) تخطر : أصل معناه تختال وتهتر .

غداةً مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
أَغْرُكَضَوْهُ الْبَدْرَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوسِدٍ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ، ثَوَابُهُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسِ حَوْلَهُمْ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
بِهِمْ تُفَرِّجُ الْأَوَاءَ فِي كُلِّ مَازِقٍ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ

إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النِّقْيَةَ أَزْهَرُ
أَبِي إِذَا سِيمَ الظُّلَامَةَ مَجَسَّرُ^(١)
بِمَعْتَرَكٍ فِيهِ قَنَسًا مُتَكَسِّرُ^(٢)
جَنَانٌ وَمَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَقَاءٌ وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
دَعَائِمَ عَزٍّ لَا يُزْلَنَ وَمَفْخَرُ
رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ^(٣)
عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيِّرُ^(٤)
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يَعْصُرُ^(٥)
عَمَّاسٌ إِذَا مَاضَا قِبالَ النَّاسِ مَصْدَرُ^(٦)
عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ

فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعَثِهِ إِلَى مَوْتَةٍ ، جَمَادَى الْآخِرَةَ وَرَجَبًا .
ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَّتْ عَلَى خِزَاعَةٍ ، وَكَانَ الَّذِي هَاجَ
مَا بَيْنَ بَكْرِ وَخِزَاعَةٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ عَبَادٍ -
وَحِلْفُ الْحَضْرَمِيِّ يَوْمَئِذٍ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنٍ - خَرَجَ تَاجِرًا ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ

(١) ميمون النقيبة : مسعود الجد . أزهر : أبيض .

(٢) سيم الظلامه : حمل على قبول الظلم . المجسر : المقدم الجهور .

(٣) المعترك : موضع الحرب .

(٤) الرضام : الحجارة . الطود : الجبل . يروق : يعلو .

(٥) البهلول : السيد الوضي الوجه .

(٦) يعصر : يطر .

(٧) الأواء : الشدة . العماس : المظلم . يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب .

أَرْضَ خَزَاعَةَ عَدَّوْا عَلَيْهِ فَقَتْلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ ، فَعَدَّتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ فَقَتْلُوهُ ، فَعَدَّتْ خَزَاعَةُ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ عَلَى بَنِي الْأَسُودِ بْنِ رَزْنٍ الدِّيلِيِّ : سَلَمَى ، وَكَلْثُومَ ، وَذُؤَيْبَ ، فَقَتْلُوهُمْ عِنْدَ أَنْصَابِ الْحَرَمِ ^(١) .

فَبَيْنَمَا بَنُو بَكْرٍ وَخَزَاعَةُ عَلَى ذَلِكَ حَجَزَ بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَتَشَاغَلَ النَّاسُ بِهِ . فَلَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْحَدِيثِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قَرِيشَ ، كَانَ فِيْمَا شَرَطُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَرَطَ لَهُمْ : أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ فَلْيَدْخُلَ فِيهِ ، وَمِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قَرِيشَ وَعَهْدِهِمْ فَلْيَدْخُلَ فِيهِ . فَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قَرِيشَ وَعَهْدِهِمْ ، وَدَخَلَتْ خَزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ .

فَلَمَّا كَانَتْ الْهَدَنَةُ اغْتَنَمَهَا بَنُو الدِّيلِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، مِنْ خَزَاعَةَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَصِيبُوا مِنْهُمْ ثَأْرًا بِأُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ أَصَابُوا مِنْهُمْ بَنِي الْأَسُودِ بْنِ رَزْنٍ فَخَرَجَ نُوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ ، فِي بَنِي الدِّيلِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَائِدُهُمْ ، وَلَيْسَ كُلُّ بَنِي بَكْرٍ تَابِعَهُ ، حَتَّى بَيْتَ خَزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ : مَاءٌ لَهُمْ ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَتَحَاوَزُوا ^(٢) وَاقْتَتَلُوا ، وَرَفَدَتْ بَنِي بَكْرٍ قَرِيشٌ بِالسَّيْفِ ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قَرِيشَ مَنْ قَاتَلَ بِاللَّيْلِ مُسْتَخْفِيًا ، حَتَّى حَازُوا خَزَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ : يَا نُوفَلُ ، إِنَّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ ، إِهْلِكَ إِهْلَكَ ! فَقَالَ كَلِمَةً عَظِيمَةً : لَا إِلَهَ لَهُ الْيَوْمَ ^(٣) ! يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ ، فَلَعَمْرِي إِنَّكُمْ لَتَسْرِقُونَ ^(٤) فِي الْحَرَمِ ، أَفَلَا تَصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فِيهِ ؟ !

وَقَدْ أَصَابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةً بَيْتَهُمْ بِالْوَتِيرِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « مَنَّبَه » ، وَكَانَ مَنَّبَهُ

(١) أَنْصَابِ الْحَرَمِ : حِجَارَةٌ تَجْعَلُ عَلَامَةً بَيْنَ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ .

(٢) تَحَاوَزُوا ، يَعْنِي انْحَازَ كُلُّ مَنْهُمْ إِلَى قَبِيلَةٍ .

(٣) أَيُّ لَا إِلَهَ لِنُوفَلٍ ، نَطَقَ بِهَا كُفْرًا .

(٤) وَيُرْوَى : « لَتَسْرِفُونَ » بِالْفَاءِ .

رجلاً مفثوداً^(١) ، خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، فقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني ، لقد انبت فؤادي^(٢) !

وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبهاً فقتلوه .
فلما دخلت خزاعة مكة لجثوا إلى دار بُديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عهده وعقده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد محمداً	حلفَ أبنينا وأبيه الأتلدا ^(٣)
قد كنتم ولداً وكُنَّا والداً	ثمّتَ أسلمنا فلم نترع يداً
فانصر هداك الله نصراً أعتداً ^(٤)	وادعُ عبادَ الله يأتوا مدداً
فيهم رسولُ الله قد تجرّداً	إن سيمَ خسفاً وجهه تربّداً ^(٥)
في قَيْلق كالبحر يجري مزبداً	إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضو ميثاقك المؤكّدا	وجعلوا لي في كداء رُصّداً ^(٦)
وزعموا أن لستُ أدعو أحداً	وهم أذلُّ وأقلُّ عدداً
هم يئتوننا بالوتير هُجّداً	وقتلونا ركعاً وسجّداً

(١) المفثود : الضعيف الفؤاد .

(٢) انبت انبتاتا : انقطع .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . الأتلد : القديم .

(٤) أعتد ، من العتيد ، وهو الحاضر .

(٥) سيم الخسف : كلف الذل تريد : تغير إلى السواد .

(٦) كداء : موضع بأعلى مكة . رصداً : جمع راصد ، وهو المرتقب .

فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم !
ثم عَرَضَ لرسول الله ﷺ عَنانُ^(١) من السماء فقال : إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ
لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ .

ثم خرج بُدَيْلُ بن ورقاء في نفر من خُزَاعَةَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمَظَاهِرَةِ قَرِيشِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ : كَأَنكُمْ بَأَبِي
سَفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ .

وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بُعْثَانَ^(٢) ،
قَدْ بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وَقَدْ رَهَبُوا
الَّذِي صَنَعُوا . فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ قَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا
بُدَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : تَسَيَّرْتُ فِي خِزَاعَةَ فِي هَذَا
السَّاحِلِ وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي . قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا . فَلَمَّا
رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلُ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى !
فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَحَهُ فَوَجَدَ فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ
لَقَدْ جَاءَ بِدَيْلٌ مُحَمَّدًا !

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى قَدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى
ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَتْهُ
عَنْهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرِي ، أَرُغِبْتَ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ
عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ ،
وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ
يَا بُنَيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ !

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى

(١) العنان : السحاب .

(٢) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

أبي بكر فكلمه أن يكلمه له رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بناعلي !
ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ،
فوالله لو لم أجد إلا الذر^(١) لجاهدتكم به !

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها ، وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك أمس القوم بي رجماً ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائفاً ، فاشفع لي إلى رسول الله . فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنبئك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بئى ذلك : أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحي . قال : والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة . فقم فأجز بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظن ، ولكني لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ، إني قد أجزت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قریش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئاً ؛ ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا ؟

قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجبر بين الناس ، ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل

(١) الذر : صغار النمل .

على أن لعب بك ، فما يُغني عنك ما قلت ؟ ! قال : لا والله ما وجدتُ غير ذلك .

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بُنية ، أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهّز . قال : فأين تريته يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدري .

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدّة والتهيؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تَبَغْتَهَا ^(١) في بلادها » . فتجهّز الناس .

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جُعْلاً على أن تبْلغه قريشاً ؛ فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ^(٢) ثم خرجت به

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ ابن أبي طالب والزيير بن العوّام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتابٍ إلى قريش يُحذّرهم ما أجمعنا له في أمرهم .

فخرجا حتى أدركاها بالخليفة ، خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال لها علي بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذِّبنا ، ولتُخرجن لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنك ! فلمّا رأت الجدّ منه قالت : أعرض . فأعرضَ فحلّت قرونها ، فاستخرجت الكتابَ منها ، فدفعته إليه فأتى به رسول الله ﷺ .

(١) نبغتها ، أي نفجوها .

(٢) القرون : الضفائر .

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكي كنت امرأاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليه . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ! فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالموَدَّة ﴾ إلى قوله : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيمَ والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءٌ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وجده ﴾ إلى آخر القصة .

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكُديد ، بين عُسفان وأمّج ، أفطر .

ثم مضى حتى نزل مرَّ الظَّهران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبَّع سليم ، وبعضهم يقول : ألَّفت^(١) سليم وألَّفت مُزينة ، وفي كل القبائل عددٌ وإسلام . وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلَّف عنه منهم أحد .

فلما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران وقد عُيِّت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل . وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل

(١) سبعت : بلغت سبعمائة • وألَّفت : بلغت ألفاً .

بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .
وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ببعض الطريق ، وقد كان
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة
قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بين العقابر ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا
الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك
وابن عمك وصهرك . قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ،
وأما ابن عمي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال .
فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبي سفيان بُني له ، فقال : والله
ليأذنن لي أو لأخذن بُني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً !
فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقى لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ،
وأشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه . واعتذر إليه مما كان مضى منه .
فقال :

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً	لتغلب خيلُ السلات خيلَ محمد ^(١)
لكالمدلج الحير ان أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى واهتدي ^(٢)
هدى بي هادٍ غير نفسي ونالني	مع الله من طردت كل مطردٍ
أصد وأنأي جاهدأ عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب من محمد ^(٣)
هم ما هم من لم يقتل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند ^(٤)
أريد لأرضيهم ولست بلائطم	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد ^(٥)
فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك غيري أو عدي ^(٦)

(١) أحمل راية : أي أقود الناس للحرب . خيل اللات : يعني جيوش الكفر والوثنية .

(٢) المدلج : الذي يسير ليلاً .

(٣) أنأي : أبعد .

(٤) يفند : يكذب .

(٥) لائط : ملصق .

(٦) أوعدى . من الإبعاد .

فما كنتُ في الجيش الذي نالَ عَامِراً
وما كَانَ عن جَرِّ السَّانِي ولا يَدِي^(١)
قبائل جاءت من بلاد بعيدة
نزاعَ جاءت من سَهَامٍ وسُرَدَدَ^(٢)

فرعّموا أنه حين أنشد رسولَ الله ﷺ قوله : « ونالني مع الله من
طُرِدْتُ كلَّ مطرَد » ضربَ رسولُ الله ﷺ في صدره وقال : أنت طُرِدْتَنِي
كل مطرَد !

فلما نزل رسولُ الله ﷺ مرَّ الظَّهْرَان قال العباس بن عبد المطلب :
واصبحَ قريش ! والله لئن دخل رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ عَنُوءَةً قَبْلَ أن يأتوه
فيستأمنوه إنّه لَهلاكُ قريش إلى آخر الدهر !

قال العباس : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ : البيضاء ، فخرجت
عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الخطابة ، أو صاحب لبن ،
أو ذا حاجة ، يأتي مَكَّةَ فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه
فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنُوءَةً .

قال : فوالله إني لأسيرُ عليها وألمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ كلام أبي
سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة
نيراناً قط ولا عسكراً . ويقول بُديل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتْهَا الحرب^(٣) !
ويقول أبو سفيان : خُزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها !
قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرفَ صوتي فقال : أبو
الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلتُ : ويحك يا أبا
سفيان ! هذا رسولُ الله ﷺ في الناس ، واصْبَاحَ قريش والله ! قال :
فما الحيلة ، فذاك أبي وأمي ؟ قلتُ : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ،
فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ ، فاستأمنه لك .

(١) عن جرا : أي من جراء ذلك .

(٢) سهام وسردد : موضعان في بلاد عك .

(٣) حمشتها الحرب : أحرقتها وعليت بنارها .

فركبَ خلفي ورجع صاحباه . فجئت به كلِّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا : مَنْ هذا ؟ فإذا رأوا بغلةَ رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته .

حتى مررت بنار عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ . فلمَّا رأى أبا سفيان على عَجْزِ الدَّابَّةِ قال : أبو سفيان عدوُّ الله ! الحمدُ لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ ، وركضتُ البغلة فسبقتهُ بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فاقتحمتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان قد أمكنَ اللهُ منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضربُ عنقه .

قلتُ : يا رسولَ الله ، أيُّ قد أجرته ! ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت : والله لا يناجيه الليلةَ دوني رجل !

فلما أكثرَ عمرُ في شأنه قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عديٍّ بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنتُ قد عرفتُ أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فلاسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : اذهبْ به يا عبَّاسُ إلى رحلك ، فإذا أصبحتَ فأتني به .

فذهبتُ به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبحَ غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأنِ لك^(١) أن تعلم أنَّه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي . ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعدُ ! قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمَّا هذه والله فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئاً !

(١) ألم يأن لك : أي ألم يحن لك .

فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تُضرب عنقك .

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : قلتُ يا رسول الله ، إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ هذا الفخرَ فاجعلْ له شيئاً . قال : « نَعَمْ » ، مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل^(١) حتَّى تمرَّ به جنودُ الله فيراها .

قال : فخرجتُ حتَّى حبَّسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أن أحبسه .

ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمرُّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزيّنة . فيقول : مالي ولمزيّنة . حتَّى نفذت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلةٌ إلّا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبي فلان ، حتَّى مرَّ به رسولُ الله ﷺ في كتيبته « الخضراء »^(٢) ، فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يرى منهم إلّا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، مَنْ هؤلاء ؟ قلت : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قَبْل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابنِ أخيك الغداةَ عظيماً ! قلت : يا أبا سفيان ، إنَّها النبوة . قال : فنعم إذن . قلت : النجاء^(٣) إلى قومك !

حتَّى إذا جاءهم صرخٌ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قبْل لكم به ، فمن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن !

(١) خطم الجبل : أنف يخرج منه مضيق به طريق .

(٢) ابن هشام : إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

(٣) النجاء : الإسراع .

فقامت إليه هند بنت عتبة . فأخذت بشاريه فقالت : اقتلوا الحَيَّيت
الدَّسَمَ الأحْمَسَ ^(١) . قُبِّحَ من طليعة القوم ^(٢) !

قال . ويلكم . لا تعرَّثُكم هذه من أنفسكم . فإنَّه قد جاءكم ما لا قِبَلَ
لكم به . فمن دخلَ دار أبي سفيان فهو آمن !
قالوا : قاتلك الله . وما تُغني عَنَّا دارك ؟

قال : ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن !

فتفرق الناسُ إلى دُورهم وإلى المسجد .

عن عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوى
وقف على راحلته معتجراً ^(٣) بشُقَّة بُرد حَبْرَةٍ ^(٤) حمراء . وإنَّ رسول الله ﷺ
ليضعُ رأسَه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح . حتى إنَّ عُثُونَه
ليكاد يمسُّ واسطةَ الرجل .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت :

لما وقف رسول الله ﷺ بذي طُوى قال أبو قحافة لابنَه من أصغر
ولده : أيُّ بَنِيَّةٍ ، اظهري بي على أبي قُبَيْس ^(٥) - وقد كُفَّ بصره - فأشرقتُ
به عليه فقال : أيُّ بَنِيَّةٍ ماذا تريسِن ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال :
تلك الخيل . قالت : وأرى رجالاً يسعى بين يدي ذلك مُقبلاً ومدبراً . قال :
أيُّ بَنِيَّةٍ . ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت : قد
والله انتشر السَّواد . فقال : قد والله إِذْنُ دُفَعَت الخيل . فأسرعي بي إلى بيتي .
فانحطَّت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته . وفي عُنُقِ الجارية
طوقٌ من وَرَقٍ ^(٦) . فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

(١) الحَيَّيت : زق السمن الدسم : الكثير الودك . الأحْمَس : الشديد اللحم . شبهته بالزق لضحمته وسمته

(٢) الطليعة : الذي يحرس القوم .

(٣) الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة

(٤) الشُقَّة : النصف . والحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٥) اظهري بي : اصعدي . أبو قُبَيْس : جبل بمكة .

(٦) الطوق : القلادة . الورق : الفضة .

قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ ! قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت .

فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم .
فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة ^(١) فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره :

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوقاً أختي ! فلم يجبه أحد ، فقال : أي أختي ، احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل ! .

* * *

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا ، إلا أنه قد عهد في نفر سماءهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبدالله بن سعد أخو عامر بن لؤي . وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي ، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار :

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، نبت أشد ما يكون بياضاً إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

فهلأ أو مات إلي يا رسول الله ؟ قال : إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة ^(١) .
و« عبدالله بن خَطَل » : رجل من بني تميم بن غالب . إنما أمر بقتله أنه
كان مُسْلِماً ، فبعثه رسول الله مصدقاً ^(٢) وبعث معه رجلاً وكان معه مولى
له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع
طعاماً ، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً . فغدا عليه فقتله ثم ارتدَّ مشركاً .
وكانت له قيتان : قرنتي وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله
ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .
و « الحويرث بن نُقَيْد » وكان ممن يؤذيه بمكة .
و « مِقَيْس بن صُبابة ^(٣) » : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لقتل الأنصاري
الذي كان قد قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركاً .
و « سارة » : مولاة لبني عبد المطلب .
و « عكرمة بن أبي جهل » .
وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة .
فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث
ابن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فخرجت في طلبه
إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .
وأما عبدالله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومي ، وأبو بَرْزة
الأسلمي ، اشتركا في دمه .
وأما مِقَيْس بن صُبابة فقتله ثُمَيْلة بن عبدالله ، رجلٌ من قومه ، فقالت
أختُ مِقَيْس في قتله :

لعمري لقد أخزى ثُمَيْلة رَهْطَه
فله عَيْتاً مَنْ رأى مِثْلَ مِقَيْسٍ
وفجَّعَ أضيافَ الشتاء بمقَيْسٍ
إذا النفساء أصبحت لم تُخَرَّسَ ^(٤)

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد فولاة عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر ، .

(٢) المصدق : جامع الصدقات ، وهي الزكوات .

(٣) انظر جبهة أنساب العرب ١٨٢ .

(٤) لم تخرس : لم يصنع لها طعام الولادة ، واسمه الخرس والخرسة ، بضم الخاء . أرادت شدة الزمان .

وَأَمَّا قَيْنَتَا ابْنِ خَطْلٍ فَتُتِلتَ إِحْدَاهُمَا ، وَهَرَبَتِ الْأُخْرَى حَتَّى اسْتَوِيَتْ
لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ ، فَأَمَّنَهَا .
وَأَمَّا سَارَّةٌ فَاسْتَوِيَتْ لَهَا فَأَمَّنَهَا ، ثُمَّ بَقِيَتْ حَتَّى أَوْطَأَهَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ
فِرْسًا ، فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، بِالْأَبْطَحِ فَقَتَلَهَا .
وَأَمَّا الْحَوِيثُ بْنُ نُقَيْدٍ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ بِهِ أَبِي طَالِبٍ .

*

عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ :
لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَرَّ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنْ أَحْمَاطِي مِنْ بَنِي
مَخْزُومٍ - وَكَانَتْ عِنْدَ هَيْبَةِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيِّ - قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَيَّ
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَ لِهَئِمَّا ! فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي ،
ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ إِنَّ
فِيهَا لَأَثَرَ الْعَجِينِ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتَرُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّعَ
ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَّ رَكَعَاتٍ مِنَ الصُّحَى ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ فَقَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا
يَا أُمَّ هَانِيَةَ ، مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَيْرِ عَلِيٍّ . فَقَالَ : قَدْ
أَجَرْنَا مِنْ أَجْرٍ ، وَأَمَّا مَنْ أَمَّنْتَ ، فَلَا يَقْتُلُهُمَا !

عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ خَرَجَ
حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمَحْجَنٍ ^(١) فِي يَدِهِ .
فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ ، دَعَا عُمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَفُتِحَتْ
لَهُ فَدَخَلَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ ، فَكَسَّرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا ، ثُمَّ
وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اسْتَكْفَى لَهُ النَّاسُ ^(٢) فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ

(١) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير في يده .

(٢) استكفوا : استجمعوا .

الأحزابَ وحده . ألاكلُ مائرةً أو دم أو مالٍ يُدعى فهو تحت قدميَّ هاتين ،
إلا سدانة البيت ^(١) وسقاية الحاج .

ألا وقنيل الخطأ شبه العمد بالسَّوط والعصا ، ففيه الدية مغلظةً ، مائة من
الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .
يا معشر قريش ، إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء .
الناس من آدم ، وآدمُ من تراب .

ثم تلا هذه الآية : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .
ثم قال : يا معشر قريش ، ما تَرَوْنَ أُنِي فاعلُ فيكم ؟ قالوا : خيراً ،
أخُ كريم وابنُ أخٍ كريم .
قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقاء .

ثم جلس رسولُ الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح
الكعبة في يده ، فقال : يا رسولَ الله ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْكَ . فقال رسول الله ﷺ : أَيْنَ عِثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ؟ فدعَى له . فقال :
هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يومُ بَرٍّ ووفاء .

قال هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيتَ
يومَ الفتح ، فرأى صُورَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّراً
في يده الأُزْلَامَ يَسْتَقْسِمُ بها . فقال : قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ! جعلوا شَيْخِنَا يَسْتَقْسِمُ بِالْأُزْلَامِ ^(٢) !
ما شأن إبراهيم والأُزْلَامَ ! ﴿ ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان
حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ .

ثم أمر بتلك الصُّور كُلِّهَا فطمست .
وأنَّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ،
وأبو سفيان بن حرب وعُتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ والحارث بن هشام جلوسُ بفناء

(١) سدانة البيت : خدمته .

(٢) الأُزْلَام : السهام التي كانوا يستقسمون بها ، يستشيرونها في أمورهم .

الكعبة . فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سميع هذا فيسمع منه ما يغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لا تبعه ! فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى ! فخرج عليهم النبي ﷺ فقال : قد علمت الذي قلتم . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك !

قال ابن هشام :

عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ^(١) إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع .

وحدثني من أثق به من أهل الرواية أن فضالة بن عмир اللبني أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ! فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه .

قال فضالة : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأتي كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث . فقلت : لا . وانبت فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأتني عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى يئناً والشرك يغشى وجهه الإظلام

قال ابن إسحاق :

(١) زهى : اضحل وبطل .

وكان جميع مَنْ شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من بني سليم
سبعمائة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غفار أربعمائة ، ومن بني مُزينة
ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب
من تميم وقيس وأسد .

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :
عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَذْرَاءٍ مَتْرَظًا خَلَاءَ ^(١)
دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ تَعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ ^(٢)
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مَرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ ^(٣)
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ يُوَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعْنَاءِ النَّيِّ قَدْ تِمَّتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَيْثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ ^(٤)
إِلَى مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ
تُوَلِّيَهَا الْمَلَامَةُ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَعْتُ أَوْ لَحَاءُ ^(٥)
وَنَشْرِبَهَا فَتَرَكْنَا مَلُوكًا وَأُسْدًا مَا يَنْهِنُهَا اللَّقَاءُ ^(٦)
عَدِمْنَا خَيْلِنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ ^(٧)
يَنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ ^(٨)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ ^(٩)
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

(١) عفت : تغيرت ودرست . ذات الأصابع والجواء : موضعان بالشام ، وبالجواء كان منزل الحارث

بن أبي شمر الغساني مدحج النابغة . وعذراء : قريبة على يريد من دمشق .

(٢) بنو الحسحاس : حي من بني أسد . الروامس : الرياح تطمس الآثار . السماء : المط

(٣) النعم : المال الراعي ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والشاء : جمع شاة .

(٤) الخيثة : الخمر المصونة المضنون بها . بيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة .

(٥) ألما : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . المعث : الضرب باليد : اللحاء : السباب .

(٦) ينهنها : يزعجنا ويردنا .

(٧) النقع : الغبار . كداء : ثنية بأعلى مكة .

(٨) الأعنة : جمع عنان ، وهو اللجام . الأسل : الرماح . الظماء : الذوايل .

(٩) متمطرات : مسرعات . الخمر : جمع خمار .

وإلا فاصبروا لجلاد يوم
وجبريل رسولُ الله فينسا
وقال الله : قد أرسلت عبداً
شهدتُ به فقوموا صدقوه
وقال الله : قد سِرتُ جنداً
لنا في كلِّ يومٍ مع معدٍ
فَنَحْكُمُ بالقوافي مَنْ هجانا
ألا أبلغُ أباً سفيانَ عني
بأنَّ سيوفنا تركتك عبداً
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
أتهجوه ولستَ له بكفٍ
هجوتَ مباركاً براً حنيفاً
أَمَنْ يهجو رسولَ الله منكُم
فإنَّ أبي ووالده وعرضي
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه

يُعين الله فيه من يشاء
وروحُ القدس ليس له كِفَاءٌ^(١)
يقول الحقُّ إنَّ نفعَ البلاءِ
فقلتم : لا نقوم ولا نشاء
هم الأنصارُ عُرِضَتْهَا للقاءِ^(٢)
سيابٌ أو قتالٌ أو هجاء
ونضرب حينَ تختلطُ الدماءُ^(٣)
مغلَّقةً فقد برح الخفاءُ
وعبدُ الدار سادتها الإمامُ
وعند الله في ذلكَ الجزاءِ
فشرُّكمَا لخيركمَا الفداءُ
أَمِينَ الله شيمتُه الوفاءُ^(٤)
ويمدحُه وينصرُه سواءُ
لعرضِ محمداً منكم وِقَاءُ
وبحري لا تكدره الدلاءُ

غزوة حنين

في سنة ثمان ، بعد الفتح

وما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها
مالك بن عوفِ النَّضْرِيّ ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت
نصر وجُشْمُ كلِّها ، وسعد بن بكر ، وناسٌ من بني هلال وهم قليل ، ولم

(١) ليس له كِفَاء : الكفء والنظير والمثل .

(٢) عُرِضَتْهَا للقاء ، أي عادتُها أن تتعرض للقاء ، فهي قادرة عليه .

(٣) نحكم : نمنع ونكف .

(٤) الحنيف : المسلم ، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل إلى الحق الشيمة : الطبيعة .

يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسم .

وفي بني جشم دريد بن الصمة ، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وفي ثقيف سیدان لهم . وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب . وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك ابن عوف النصرى .

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس^(١) اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجارٍ له^(٢) يُقاد به . فلما نزل قال : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجالُ الخيل ، لا حَزَنٌ ضِرس^(٣) ولا سهل دَهِس^(٤) ، مالي أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء^(٥) ؟ قالوا : ساقَ مالكُ ابن عوفٍ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك . ودُعي له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيسَ قومك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ! مالي أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سَقْتُ مع الناس أموالهم ونساءهم . قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجلٍ منهم أهله وماله ليقاتل عنهم .

فأنقَضَ به^(٦) ثم قال : راعي ضأنٍ والله ! وهل يرُدُّ المنهزم شيء ؟ إنها

(١) أوطاس : وادٍ في ديار هوازن .

(٢) الشجار : شبه الهودج مكشوف الأعلى .

(٣) الخزن : المرتفع من الأرض : الضرس : الذي فيه حجارة محددة .

(٤) الدهس : اللبن الكثير التراب .

(٥) يعار الشاء : صوتها .

(٦) أنقض به ، من الإقراض ، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت في حافتيه ، يفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل .

إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمَحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِّحَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منها أحد . قال : غاب الحد^(١) والجُدُّ ، ولو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تُغِبْ عنه كعبٌ ولا كلاب ! ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذاك الجدعان^(٢) من عامر ، لا ينفعان ولا يضران ! يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٣) بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً . ارفعهم إلى متمتع بلادهم وعُليا قومهم ، ثم الق الصِّبَا^(٤) على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألك ذلك وقد أحرزتَ أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرتَ وكبر عقلك ! والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأُثَكِّنَنَّ على هذا السيف حتَّى يخرجَ من ظهري - وكره أن يكون لدريد بن الصِّمة فيها ذكر أو رأى - فقالوا : أطعناك . فقال دريد بن الصِّمة : هذا يومٌ لم أشهده ولم يُقْتَنِي .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ^(٥) أَخْبُ فِيهَا وَأَضْعُ^(٥)
أَفُودَ وَطَفَاءَ الزُّرْمَعِ^(٦) كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٧)
ثم قال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ !

(١) الحد : الشجاعة والحدة .

(٢) الجدع : الضعيف في الحرب ، كأنه الجدع من الإبل .

(٣) البيضة : الجماعة .

(٤) جمع صابئ ، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام .

(٥) الجدع : الشاب .

(٦) الخب والوضع : ضربان من السير .

(٧) الوطفاء : الطويلة الشعر . الزمع : الشعر الذي فوق مربوط القيد .

(٨) الشاة : الوعل . الصدع : الوسط بين العظيم والحقير .

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حذَرْدٍ الاسلمي . وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن حذَرْدٍ فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمرِ هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية . أعرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدونا غداً . فقال صفوان : أغضباً يا محمد ؟ قال : بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك . قال : ليس بهذا بأس ! فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم ، فكانوا اثني عشر ألفاً . واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس . ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن .

عن الحارث بن مالك قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية ، فسرنا معه إلى حُنين ، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ويمكّفون عليها يوماً ، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سيرة خضراء عظيمة ، فتنادينا من جنّات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ! قلتم - والذي نفس محمد بيده - كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا

إِلَهُكُمْ لَهُمْ آلَهُ قَالُوا إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١﴾. إِنَّمَا السُّنَنُ ، لَتَرْكِبَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .
عن جابر بن عبد الله قال :

لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجُوفَ حَطُوطٍ ^(١)
إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَاراً ، وَفِي عِمَايَةِ الصُّبْحِ ^(٢) ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى
الْوَادِي فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ ^(٣) وَمَضَائِقِهِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَهَبُوا
وَأَعْدُوا ، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَتْنَا وَنَحْنُ مَنْحَطُونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شِدَّةَ
رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ ^(٤) رَاجِعِينَ لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ .

وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا
إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ! فَلَأَيَّ شَيْءٍ ^(٥) حَمَلْتَ الْإِبِلُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ .

قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ وَرَأَى مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْهَزِيمَةَ ، تَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الضُّغْنِ ،
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ ! وَإِنَّ الْأَزْلَامَ ^(٦)
لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ .

وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ : أَلَا بَطَلَ السَّحَرُ الْيَوْمَ !
وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ : قُلْتُ : الْيَوْمَ أَدْرِكُ ثَارِي مِنْ مُحَمَّدٍ ! الْيَوْمَ
أَقْتُلُ مُحَمَّدًا ! فَأَدْرَتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَقْتُلَهُ ، فَأَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَّى
فَوَادِي فَلَمْ أَطِيقْ ذَاكَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنِّي .

(١) أجوف : متسع . حطوط : منحدر .

(٢) عماية الصبح : ضلالمه قبل أن يتبين .

(٣) الأحناء : الجوانب .

(٤) انشمروا : انفضوا وانهمزوا .

(٥) أي لشيء عظيم .

(٦) الأزلام : السهام التي كانوا يستقسمون بها ويخضعون لحكمها .

(٧) كان أبوه قد قتل يوم أحد .

وحدثني بعض أهل مكة أنَّ رسول الله ﷺ قال حينَ فَصَلَ من مكة إلى حنين ، ورأى كثرةَ مَنْ معه من جنود الله : لن نُغَلَبَ اليومَ من قَلَّةٍ !
عن العباس بن عبد المطلب قال :

إني لمَعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بِحَكْمَةٍ ^(١) بغلته البيضاء ، قد شجرُها ^(٢) بها ، وكنت امرأةً جسيماً شديد الصوت ، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيُّها الناس ؟ فلم أرَ الناسَ يَلَوونَ على شيء ، فقال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السَّمرَةِ . قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ !

فيذهب الرجل ليشيَ بغيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، وبأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بغيره ويحلي سبيله ، فيؤمُّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا . وكانت الدعوى أَوَّلَ ما كانت : يا للأنصار ! ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه ، فتنظر إلى مجتَلِدِ القوم ^(٣) وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حَمِي الوطيس ^(٤) !
عن جابر بن عبد الله قال :

بيننا ذلك الرجل من هوازن ، صاحبُ الراية ، على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هَوَى له علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريد أنه ، فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضربَ عرقوبَيَ الجمل فوقَ على عجزه ، ووثبَ الأنصاريُّ على الرجل فضرَبَه ضربةً أطنَّ قدمه ^(٥) بنصف ساقه ، فانجفع ^(٦) عن رحله ، واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من

(١) الحكمة : اللجام .

(٢) شجرها بها : وضعها في شجرها ، وهو مجتمع اللحين .

(٣) مجتلد القوم : موضع حلاهم بالسيوف ، حيث تكون المعركة .

(٤) الوطيس : المعركة ، وهي كلمة لم تسمع إلا من الرسول .

(٥) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوي .

(٦) انجفع : سقط سريعاً .

هزيمتهم حتّى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله ﷺ .

والتقت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذٌ بثُمر بغلته ^(١) ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابنُ أمِّك يا رسول الله !
عن عبدالله بن أبي بكر :

أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أمَّ سليم بنت ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمةٌ وسطها يبرُد لها ، وإنها لحاملٌ بعبدالله من أبي طلحة ، ومعها جملُ أبي طلحة ، وقد خشيتُ أن يُعزّها الجمل ^(٢) ، فأدنتُ رأسه منها ، فأدخلتُ يدها في خزامته ^(٣) مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أمَّ سليم . قالت : نعم ، بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ! فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يا أمَّ سليم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنسا مني أحدٌ من المشركين بعَجْته به ^(٤) . يقول أبو طلحة : الا تسمع يا رسول الله ما تقول الرميضاء ^(٥) !

عن أبي قتادة قال :

رأيت يومَ رجلين حُنين يقتتلان : مسلماً ومشرِكاً ، وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعين صاحبه المشرِك على المسلم ، فأثبته فضربت يده فقطعتها . واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتّى وجدتُ ريحَ الدم ؛ وكاد يقتلني . فلولا أنَّ الدم نَزَّفه لقتلني ، فسقط فضربته فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ^(٦) . ومَرَّ

(١) الثمر : السير في مؤخر السرج .

(٢) يعزها : يغلبها .

(٣) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

(٤) بعج بطنه بالسكين : شقه وحضضه فيه .

(٥) مصعر الرميضاء : من الرميض ، وهو القذى يكون في العين

(٦) أجهضني عنه : شعلني وضيق علي وغلبني .

به رجلٌ من أهل مكة فسلبه . فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فقلت : يا رسول الله والله لقد قتلْتُ رجلاً ذا سلبٍ ، فأجهضني عنه القتال فما أدري مَنْ استلبه ؟ فقال رجلٌ من أهل مكة : صدقَ يا رسول الله ، وسَلَبُ ذلك القَتيلِ عندي ، فأرضه عني مِنْ سَلْبِهِ . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا والله ، لا يُرضيه منه ، تَعْمِدُ إلى أسدٍ من أسد الله يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سَلْبُهُ ؟ ! ارددْ عليه سَلْبَ قَتِيلِهِ . فقال رسول الله ﷺ : صدقَ ، ارددْ عليه سَلْبَهُ . قال أبو قتادة :

فأخذته منه فبعته فاشتريت بشمته مخرفاً^(١) ، فإنه لأوّل مالٍ اعتقدته^(٢) . قال ابن إسحاق :

فلما انهزمت هوازن استحرّ^(٣) القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب وكانت رايتهم مع ذي الخمار^(٤) ، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتّى قُتل .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبع خيلُ رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامرٍ بهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ففتح الله

(١) المخرف : نخلة واحدة ، أو نخلات يسيرة إلى عشر . وما فوق ذلك فهوستان أو حديقة .

(٢) اعتقدته ، أى ملكته .

(٣) استحر : اشتد .

(٤) ذو الخمار ، هو عوف بن الربيع .

على يديه وهزمهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارسٍ من قومه على ثنية^(١) من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتّى تمضي ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتّى مضى مَن كان لحق بهم من منهزمة الناس .

ومرّ رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد . والناس متقصّون^(٢) عليها ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد . فقال رسول الله ﷺ لبعض مَن معه : أدركُ خالدًا فقل له : إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفاً^(٣) .

وإن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتم على إيجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفلتكنم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفوا عليها في السياق ، فقالت للمسلمين : تعلّموا والله إنني لأختُ صاحبكم من الرضاعة ! فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضّة عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك^(٤) . فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيّرّها وقال : إن أحببت فعندي محبةٌ مكرّمة ، وإن أحببت أن أمتّلك^(٥) وترجعني إلى قومك فعلت . فقالت : تمتعني وتردني إلى قومي . فتّعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها .

(١) الثنية : موضع مرتفع بين جبليْن

(٢) متقصّون : مزدحمون .

(٣) العسيف : الأجير والعبد المستعان به

(٤) تورّكته : حملته على وركها .

(٥) أمتّك : أعطيك ما يكون به التمتع ، أي الانتفاع .

فرعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام :

وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جِزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ . قال ابن إسحاق .

ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبائاً حُنين وأموالها ، وكان على المغنم مسعود بن عمرو الغفاري ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبأ والأموال إلى الجعرانة فحبست بها

غزوة الطائف

في سنة ثمان

ولما قدم قلٌ ثقيف^(١) الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيئاً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بُجَرس يتعلمان صنعة الدَّبَابات^(٢) والمجانيق^(٣) والضُّبور^(٤) .

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله ﷺ السير إلى الطائف :

قُضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ	وَحَيَّرَ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا ^(٥)
نَحِيرُّهَا ، وَلَوْ نَطَقَتْ لِقَالَتْ	قَوَاطِمَهُنَّ ، دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنَا أُلُوفَا
وَنَتَنَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطُنَ وَجٍ	وَتَصْبِحُ دَارُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا ^(٦)

(١) القل : الجماعة المنهزمون .

(٢) الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها .

(٣) جمع منجنيق ، وهي من آلات الحصار ، يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٤) الضبور : مثل رؤوس الأسفاط ، يتقى بها في الحرب عند الانصراف .

(٥) الريب : الشك . أجمعنا السيوف : أرحناها .

(٦) العروش : سقوف البيوت . وج : موضع بالطائف . خلوف : تغيب عنها أدبارها .

فسلک رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ثم على الملیح ، ثم على بخرة الرغاء من لية^(١) فابتی بها مسجداً فصلی فيه ، ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة ، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سيدة يقال لها : « الصادرة » قريباً من مال رجل من ثقیف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج . فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره^(٢) ، فقتل به ناساً من أصحابه بالنبل ؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم . فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصره بضعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية ، فضرب لهما قبتين ثم صلی بين القبتين . ثم أقام فلماً أسلمت ثقیف بنی على مصلی رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمع لها نقيض^(٣) ، فحاصره رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل^(٤) .

حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقیف سبك الحديد محمأة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقیف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنان ثقیف ،

(١) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولىة : مواضع بالطائف .

(٢) أي نصب الخيام للجنود .

(٣) النقيض : الصوت .

(٤) قال ابن هشام : « ورامهم رسول الله ﷺ بالمنجنق . حدثني من أثنى به أن رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنق رمى أهل الطائف » .

فوقع الناس فيها يقطعون .

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً :
يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قعبة^(١) مملوءة زبدًا ، فتقرّها ديكٌ فهراقَ
ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنُّ أن تدركَ منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول
الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خويلة بنت حكيم السلمية ، وهي امرأة عثمان ، قالت : يا رسول الله ،
أعطني إن فتح الله عليك الطائفَ حلِّي بادية بنتِ غيلان أو حلي الفارغة بنت
عقيل - وكانتا من أحلى نساء ثقيف^(٢) - فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها :
وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك
لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حدثُ
حدثَ ثيبِ خويلة زعمتُ أنك قُلتَه ؟ قال : قد قُلتَه . قال : أو ما أذن لك فيهم
يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن
عمر بالرحيل .

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عبيد : ألا إنَّ الحَيَّ مقيم .

ويقول عيينة بن حصن : أجلُّ والله مَجْدَةٌ كراماً . فقال له رجلٌ من
المسلمين : قاتلكَ الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ،
وقد جئت تنصر رسول الله ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ،
ولكنني أردت أن يفتح محمدُ الطائف فأصيبَ من ثقيف جارية أتطشها ، لعلها
تلد لي رجلاً ، فإنَّ ثقيفاً قومٌ منا كبير .

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته بمن كان محاصراً بالطائف عبيد ،
فأسلموا فأعتقهم رسول الله ﷺ .

ولما أسلم أهل الطائف تكلمَ نفرٌ منهم في أولئك العبيد . فقال رسول الله

(١) القعبة : القدح .

(٢) أي من أكثر من حليا .

(٣) مناكير : ذوو دهاء وفطنة .

ﷺ : « لا ، أولئك عتقاء الله » .

وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

وجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً :
سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من ليث .

فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَيْر بن
زهير بن أبي سلمى يذكر حُنيئاً والطائف :

وَعْدَاةُ أوطاسٍ ويوم الأبرق ^(١)	كانت علالة يومَ بطن حُنيئٍ
فتبدّدوا كالطائر المتمزق ^(٢)	جمعت باغواءٍ هوأزنُ جمعها
إلا جدارهم وبطن الخندق	لم يمنعوا منّا مقاماً واحداً
فتحصّنا منّا بسابِ مغلق	ولقد تعرّضنا لكيما يخرجوا
شهباء تلمع بالمانيا فيلق ^(٣)	ترتد حسرانا إلى رجراجةٍ
حَصَنّا لظُلّ كأنه لم يخلق ^(٤)	ملمومة خضراء لو قذفوا بها
قُدْرٌ تَفَرَّقُ في القياد وتلتقي ^(٥)	مَشَى الصّراء على الهراس كأننا
كالنّهي هبّت ريحه المترقّق ^(٦)	في كلّ سابعةٍ إذا ما استحصنت
مِن نسج داودٍ وآلٍ محرق ^(٧)	جُدُلٌ تَمَسُّ فضولهنّ نعالنا

(١) العلالة : جري بعد جري ، أو قتال بعد قتال . حنين : تصغير حنين .

(٢) الإغواء : الإضلال . والغني : خلاف الرشد .

(٣) حسرى : جمع حسير . الرجراجة : الكتبة الضخمة . الشهباء : البيضاء لما فيها من لمعان الحديد .

(٤) ملمومة : مجتمعة خضراء . لما بها من السلاح . حصن : جبل بأعلى نجد .

(٥) مشى الصّراء : أي في استخفاف وخلل . الهراس : بات له شوك . قدر : جمع قدور ، وهي الخيل

تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت . ويروى : « قدر » بالغاء ، وهي الوعول المسنة .

(٦) السابعة : الدرع التامة . والنهي : الغدير من الماء .

(٧) الجدُل : جمع جدلاء ، وهي الدرع الجيدة النسج . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دَحْنًا^(١) حَتَّى نَزَلَ الْجِعْرَانَةَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَعَهُ مِنْ هَوَازَنْ سَبِيٍّ كَثِيرٍ ، وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ ظَنَّ عَنْ ثَقِيفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُ عَلَيْهِمْ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ مِنْ سَبِيِّ هَوَازَنْ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ ، وَمِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ مَا لَا يُدْرَى مَا عِدَّتُهُ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا أَصْلُ وَعْشِيرَةٍ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَحْفَ عَلَيْكَ ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ .

وقام رجلٌ من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر ، يقال له زهيرٌ ، يكنى أبا صُرْدٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا فِي الْحِطَّائِرِ^(٢) عَمَّاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ^(٣) اللَّاتِي كَنْ يَكْفُلُنكَ ، وَلَوْ أَنَّا مَلَكْنَا^(٤) لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمِرٍ ، أَوْ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا بِمَثَلِ الَّذِي نَزَلَتْ بِهِ ، رَجَوْنَا عَظْفَهُ وَعَائِدَتَهُ^(٥) عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَيْرَتُنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا . فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِرَسُولِ

(١) دَحْنًا : مخلاف من مخاليف الطائف .

(٢) الحِطَّائِرُ : جمع حظيرة ، وهي الزرب يصنع للإبل والغنم ليكفها . وكان السبي يوضع في حظائر .

(٣) حواضنك : اللاتي أرضعنك . وكان حاضنة الرسول من بني سعد بن بكر ، من هوازن .

(٤) ملحنًا : أرضعنا . والملح : الرضاع .

(٥) العائدة : الفضل العائد .

الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم .

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ .

يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهتتموني ^(١) . فقال رسول الله ﷺ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسانٍ ستُّ فرائض . من أول سبي أصيبه ، فردُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

وقال رسول الله ﷺ لوفد من هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل . فأني مالكا بذلك فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيئت له ، وأمر بفرسٍ له فأني به إلى الطائف ، فخرج ليلاً فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس ، فركبها فلاحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عوفٍ حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد

(١) وهتتموني : أضعفتموني .

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد
 وإلى الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهتد^(١)
 فكأنه ليث على أشباله وسط الهباء خادر في مرصد^(٢)
 فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل : ثمالة ،
 وسليمة ، وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ،
 حتى ضيق عليهم ، فقال أبو مخجن الثقفي :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سليمة
 وأتانا مالك بهم ناقضاً للعهد والحرمه
 وأتونا في منازلنا ولقد كنّا أولي نعيمه

* * *

واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسّم علينا فيثنا من الإبل والغنم !
 حتى أُلجئوه إلى شجرة فاخترطت عنه رداءه ، فقال : رُدُّوا عليّ ردائي أيها
 الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما
 ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذّاباً .

ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرّة من سنامه فجعلها بين إصبعه ، ثم رفعها
 ثم قال : « أيها الناس ، والله مالي من فيثكم ولا هذه البرّة إلا الخمس ،
 والخمس مردود عليكم ، فأدّوا الخياط والمخييط^(٣) ؛ فإن الغُلُول يكون على
 أهله عاراً وناراً وسناراً^(٤) يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكبة^(٥) من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ،

(١) عرّدت : أحجمت وفرت . والأنياب : سادات القوم . السهمري : الرمح . المهتد : السيف المنسوب
 إلى المهتد .

(٢) الهباء : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . الخادر : الذي في عرينه : المرصد : المكان يرقب منه .
 ينعته باليقظة .

(٣) الخياط : الخيط . والمخييط : الابرة .

(٤) الشار : أفقيح العار .

(٥) الكبة : ما جمع من الغزل ونحوه .

أخذتُ هذه الكُبةَ أعملُ بها بَرْدَةً بعيرٍ لي دَبَرٌ^(١) . فقال : أَمَا نصيبُ منها فلك ! قال : أَمَا إِذْ بَلَغْتَ هذا فلا حاجةَ لي بها . ثم طَرَحَهَا من يده .

وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤلفةَ قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة بعير ، وأعطى سُهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطَب بن عبد الغزى مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوفٍ النصري مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ، منهم مخرمة بن نوفل الزُّهري ، وعُمَيْر بن وهبٍ الجمحي ، وهشام بن عمرو وأخو بني عامر بن لؤي لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة . وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكثة خمسين من الإبل ، وأعطى السهميَّ خمسين من الإبل .

وأعطى عباس بن مرداسٍ أبا عَرَفْسَ خِطَهَا ، فعاتب فيها رسولَ الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كانت نهباً تلافيتُها	بكرِّي على المهر في الأجرع ^(٢)
ويقاضي القوم أن يرقدوا	إذا هجعَ الناسُ لم أمجع ^(٣)
فأصبح نهي ونهبُ العيب	دِر بين عيينة والأقرع ^(٤)
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرا	فلم أعط شيئاً ولم أُمنع ^(٥)

(١) الدبر : الذي به الدبر ، وهي القروح .

(٢) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم . والأجرع : المكان السهل .

(٣) لم أمجع : لم أُنم .

(٤) العيب : اسم فرس العباس .

(٥) ذا تدراً : ذا دفع عن قومي . لم أعط شيئاً ، أي شيئاً طائلاً .

إلا أفائل أعطيتها عديدَ قوائمها الأربع^(١)
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان شيخي في المجمع^(٢)
وما كنتُ دونَ امرئٍ منهُما ومَن تَضَعُ اليومَ لا يُرْفَعُ
فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه . فأعطوه حتى
رضي . فكان ذلك قَطَعَ لسانه الذي أَمَرَ به رسول الله ﷺ^(٣) .
عن أبي سعيد الخُدري قال :

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل
العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجَدَ هذا الحيُّ من الأنصار في
أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(٤) ، حتى قال قائلهم : لَقِيَ والله رسول الله
ﷺ قومه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحيُّ
من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفِء الذي أصبتَ ،
قَسَمْتُ في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا
الحيُّ من الأنصار منها شيء ! قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال :
يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة .
فخرج سعدٌ فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجالٌ من المهاجرين
فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال :
قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الانصار .

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

(١) الأفائل : جمع أفيل ، وهو الصغير من الإبل .

(٢) شيخي ، يريد به أباه مرداسا . ويروى : « شيخي » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان
مرداس » .

(٣) قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له :
أنت القاتل : فأصبح نهي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع
فقال رسول الله ﷺ : هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر
وما ينبي له » .

(٤) القالة : الكلام الرديء .

يا معشر الأنصار ، ما قالةً بلغتني عنكم ، وجدة^(١) وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، والله ورسوله آمنٌ وأفضل^(٢) !

ثم قال : ألاّ تحببونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نحببك يا رسول الله ؟ لرسوله المنّ والفضل . قال ﷺ : أما والله لو شتم لقلتم ، فلصدّقتهم ولصدّقتهم : أتيناك مكذباً فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك^(٣) . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة^(٤) من الدنيا تألفتُ بها قوماً يُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! ألاّ ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنتُ أمراً من الأنصار ، ولو سلكتُ الناس شعباً^(٥) وسلكتُ الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ؟

قال : فبكى القوم حتّى أخضّلوا لحاهم^(٥) ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة

واستخلافه عتّاب بن أسيد على مكة ، وحجُّ عتّاب بالمسلمين سنة ثمان
قال ابن إسحاق :

(١) الحدة : الغضب .

(٢) أمن : أكثر منة ، وهي النعمة .

(٣) آسيناك : أعطيناك حتّى جعلناك كأحدنا .

(٤) اللعاة ، بالضم : البقية اليسيرة .

(٥) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٦) أخضّلوها : بلّلوها .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفياء فحبسَ بِمَجَنَّةِ بناحية مَرَّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه مُعَاذ بن جَبَل يُفَقِّه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ، وأتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفياء^(١) . وكانت عُمرهُ رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجة .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ ، إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير

بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عن الطائف كتب يُجِيرُ بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوهُ ويؤذيه ، وإن من بقي من شعراء قريش : ابن الزُّبَيْرِ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب ، قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يَقْتُلُ أحداً جاءه تائباً ، وإن لم تفعل فأتِجْ إلى نجائك من الأرض .

وكان كعب قد قال :

أَلَا أبلِغَا عَنِّي يُجِيرُ رِسَالَةً فهل لك فيما قلتُ ويحك هل لكَا

(١) قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

فَبِئْسَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَبِي شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ ذَلِكَ
عَلَى خُلُقِي لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ وَلَا قَاتِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَ (١)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَأَ رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ (٢)

قال : وبعث بها إلى يُجَيْر ، فلما أَنْتَ يُجَيْرُ أَكْرَهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فأنشده إِيَّاهَا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لما سمع « سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ » : « صدق وإنه لكذُوبٌ ، أنا الْمَأْمُونُ » .

ولما سمع « على خُلُقِي لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ » قال : أَجَلٌ لَمْ يَلْفِرْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ .

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حضرته من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بُدَأَ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صَلَّى الصُّبْحَ ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من

(١) بَاسَفٌ : بنادم . وقوله « لَعًا لَكَ » كلمة يقال للعائر . يدعى له بها ، ومعناها قم وانتعش .

(٢) أَنْهَلَكَ : سَقَاكَ التَّهْلُ . وهو الشرب الأول ، وعلك : سَقَاكَ الْعِلُّ . والعلل : الشرب الثاني .

الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دَعَيْني وَعَدَّوْ الله أَضْرَبُ عَنْقَه ! فقال رسول الله ﷺ « دَعْنَهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعاً عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ » . فغضب كعبٌ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بَآتٍ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ^(١)
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمولُ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلَا قرآن فيها مواعيطُ وتفصيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاقِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ من الرسولِ يَإِذْنِ اللَّهِ تَنَوِيلُ
مَا زِلْتُ أَقْطَعُ الْبِيدَاءَ مُدْرَعاً جُنْحُ الظَّلَامِ وَتَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ^(٢)
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زِعْمَا فِي كَفٍّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلَهُ الْقِيلُ^(٣)
فَلَهُوَ أَخْشَوْفٌ عِنْدِي إِذَا أَكَلَّمْتُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَنَسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيْعَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرُهُ فِي بَطْنِ عَرٍّ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ^(٤)
يَعْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ^(٥)
إِذَا يَسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولُ^(٦)
مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلَا تَمْشِي بَوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٧)

(١) البين : الفراق ، وبات : ذهبت وفارقت . وسعاد : اسم صاحبه . ومتبول : هالك ، والتبل ،

بفتح فسكون ، هو الهلاك وطلب الثأر . ومتيم : معبد مذلل . ويروي « متيم عندها لم يميز » .

(٢) مدرعا : لايسا . والمراد شمول الظلام له .

(٣) أي قوله هو قول الحق .

(٤) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : ما واراك من شجر ونحوه . مخدر الأسد : أجمته وغابته .

عثر : موضع مشهور بالأسد . الغيل : الأجمة .

(٥) يلحم : يطعم اللحم . معفور : ممرغ في العفر ، وهو التراب . خراديل : قطع .

(٦) يساور : يوايب . مفلول : مكسور منهزم .

(٧) الجو : اسم موضع . والأراجيل : الجماعات من الرجال .

ولا يزالُ بواديه أخو ثَقَفة
 إِنَّ الرِّسولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 فِي عُصبةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائلُهُمْ
 زالوا فما زال أنكَاسٌ ولا كُشْفٌ
 شَمَ العِرائِنِ أبطالُ لَبوسُهُمْ
 بِيضٌ سَوابِغٌ قد شُكَّتْ لَها حَلَقُ
 لِيَسُو مَقارِيجَ إِنْ نالتْ رِماحُهُمْ
 يَمْشونَ مَنى الجِمالِ الزَّهرِ يَعْصِمُهُمْ
 مُضَرَّجُ البِزِّ والدَّرسانِ مَأْكولٌ^(١)
 مُهَنَّدٌ مِنْ سِوَفِ اللَّهِ مَسْئُولٌ^(٢)
 يَبِطْنَ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زولوا^(٣)
 عِنْدَ اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعازِلُ^(٤)
 مِنْ نَسَجِ داوُدَ فِي الهَيْجَا سَرايِلُ^(٥)
 كَأَنَّها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْدُولُ^(٦)
 قَوماً ، وَليسَ بِمَجازِيعاً إِذا نِيلوا
 ضَرَبُ إِذا عَرَدَ السُّودُ التَّنابُلُ

(١) مضرج : مخضب بالدماء . والبز : السلاح . والدبران - بكسر الدال وسكون الراء - جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالي .

(٢) سيف الهند مضرب المثل في الجودة . يستضاء به : أي يتهدى به إلى الحق .

(٣) « في عصبه » يروى أيضاً : « في قبة » . وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان .

(٤) أنكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الرجل الضعيف . سمي بذلك تشبيهاً بالنكس من السهام وهو الذي انكسر فوقه . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترس معه في الحرب . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف معه ، أو هو الذي لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج . والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذي لا سلاح معه .

(٥) الشم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبته أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم . والعرائن : جمع عرين ، وهو الأنف ، والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر . ونسج داود أراد به الدروع . والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره . والسرايل : جمع سرايل .

(٦) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهو الطويل التام ، وهذان وصفان للسرايل في البيت السابق . وشكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشيء في الشيء . ويروى : « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت . والحلق : جمع حلقة ، بفتح فسكون . والقفعاء : شجر ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع . ومجدول : معكم الصنعة .

(٧) مفاريج : جمع مفراج ، ومجازيع : جمع مجزاع ، وكلاهما صيغة مبالغة من الفرح ومن الجزع . يريد أنهم إذا تعلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك ، لأن هذا أمر تعودوه ، وإذا غلبهم أحد لم يمزعوا ، لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فيما بعد .

(٨) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض . وعرد : نكب عن قرنه وهرب منه . والتنايل : جمع تنبال ، وهو القصير .

لَا يَقَعُ الطَّعَنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١)
 قال عاصم بن عُمر بن قتادة : فلما قال كعب « إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ »
 - وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخصَّ المهاجرين
 من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بِمَدْحَتِهِ - غَضِبْتُ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ ،
 فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ،
 وموضعهم من اليمَن :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
 الْمَكْرِهِينَ السَّمْهَرِيِّ بِأَذْرَعِ
 وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ
 وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِثِيَّهِمْ
 وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ
 يَتَطَهَّرُونَ يَرُونَهُ نُسْكَأَ لَهُمْ
 دَرَبُوكَا كَمَا دَرَبْتُ بَيْطُنَ خَفِيَّةٍ
 وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
 ضَرْبُوكَا عَلَيَا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً

فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٢)
 إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْإِخْيَارِ
 كَسَوَافِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٣)
 كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ
 لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَقَ وَكَرَّارِ
 بِالْمِشْرِفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(٤)
 بِذِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
 غُلِبَ الرُّقَابِ مِنَ الْأُسُودِ صَوَارِي^(٥)
 أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاqِلِ الْأَغْفَارِ^(٦)
 دَائِبَ لِيُوقِعَتْهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(٧)

(١) وصفهم بأنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم ، بل من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن في
 نحورهم وصدورهم . تهليل : فرار . هلال عن قرنه تهليلًا ، إذا فر .

(٢) أصل المِقْنَب الجماعة من الخيل ، وجمعه المقانب ، أراد الفرسان .

(٣) السمهري : الرمح . « كسوافل الهندي » ، يريد به الرماح . والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب
 إلى الخط . انظر ديوان كعب ص ٢٦ .

(٤) الذائدين : المانعين والدافعين . وقد وقع في نسخة « والقائدين » . والمشرقي : السيف . والخطار : المهتر .

(٥) دربوا : تعودوا . وخفية : موضع تنسب إليه الأسود . وغلب الرقاب : غلاظها . وضوار : متعودة
 الصيد ، جمع ضار .

(٦) معاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الذي يمتنع فيه من احتله . والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد
 الوعل . ويضرب بها المثل في الامتناع .

(٧) عليا : أراد به علي بن مسعود بن مازن الغساني . وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة
 ابن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي (١)
 قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ قَائِمُهُمْ لِلطَّارِقِينَ التَّازِلِينَ مَقَارِي (٢)
 فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جُرْنُومَةٍ أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى الْمَنَارِ (٣)
 قال ابن هشام :

ويُقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده :

* بَأْتَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ *

« لَوْلَا ذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَأَتُهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ » ؟ فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له .

وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أنه قال : أنشد كعبُ بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد :

* بَأْتَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ *

غَزْوَةُ تَبُوكَ

في رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزوة الروم .

وقد ذكر لنا الزُّهْرِيُّ ، ويزيد بن رومان ، وعبدالله بن أبي بكر ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كُلُّ حَدَّثٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا لَا يَحْدُثُ بَعْضٌ .

أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوه الروم ، وذلك في زمن عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ ، وَجَدْبٍ مِنَ الْبَرْدِ ، وَحَنَ طَابَتِ الثَّمَارُ ،
 (١) أُمَارِي : أَجَادِل .

(٢) خَوَّتِ النُّجُومُ : سَقَطَتْ وَلَمْ تَطْرُقْ فِي نَوْتِهَا . وَالطَّارِقِينَ : الَّذِينَ يَأْتُونَ لَيْلًا . وَالْمَقَارِي : جَمْعُ مَقْرِي ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْإِطْعَامُ لِلضَّيْفِ .

(٣) الْمَحَافِر : مَوَاضِعُ الْحَفْرِ . وَالْمَنَارُ : حَدِيدَةٌ كَالْفَأْسِ يَنْقُرُ بِهَا .

والناس يُجِبُونَ الْمُقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وظلالهم ، ويكرهون الشُّخُوصَ على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قَلَمًا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كُنِيَ عَنْهَا ، وأخبر أنه يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِيدُ لَهُ ^(١) ، إلا ما كان من غَزْوَةِ بَبْلُوكَ ، فإنه بَيَّنَّهَا لِلنَّاسِ ، لِبَعْدِ الشُّقَّةِ ^(٢) وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يَصِيدُ لَهُ ؛ لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أَهْبَتُهُ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَرِيدُ الرُّومَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازٍ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ ، أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ : « يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ^(٣) » ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى إِذَا رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ : « قَدْ أَذِنْتُ لَكَ » . فِيهِ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أَي : إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرَ ، بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ . يَقُولُ : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَنْ وَرَائِهِ . وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَتَفَرُّوا فِي الْحَرِّ ! زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ ، وَشُكَّاكَ فِي الْحَقِّ ، وَإِزْجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَتَفَرُّوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَالْانْكِمَاشِ ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغَنَى عَلَى النِّفْقَةِ وَالْحُمْلَانِ ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ

(١) يصيد إليه : يقصده .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بني الأصفر : هم الروم .

(٤) الحملان : مصدر حمل يحمل . وقد يراد به ما يحمل عليه من الدواب .

أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفق أحدٌ مثلها ^(١) .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ، وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبه بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن ابن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبدالله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبدالله بن عمرو المزني ، وهرمي بن عبدالله أخو بني واقف ، وعزرباض بن سارية الفرزي - فاستحملوا ^(٢) رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجِدُ ما أحيلكم عليه » فتَوَلَّوا وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب التَّضْرِي لقي أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبدالله بن مغفل ، وهما يكيان فقال : ما يكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضِحاً له ^(٣) ، فارتحلا ^(٤) ، وَزَوَّدَهُمَا شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ . وقد ذكر أنهم نفر من بني غفار . وجاءه المُعَذَّرُونَ من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يَعْذِرْهم الله تعالى . ثم استتبَّ ^(٥) برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السَّيْر . وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النِّية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، ومُرارة بن ربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيشمة ، وكانوا نفرَ صدقٍ لا يَتَّهِمُونَ في إسلامهم ،

(١) قال ابن هشام : حدثني من أثنى به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العمرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان ، فاني عنه راض » .

(٢) استحملوه : طلبوا أن يحملهم على الدواب .

(٣) الناضح : الجمل الذي يستقى عليه الماء .

(٤) ارتحلاه : وضعوا عليه الرجل .

(٥) استتب : تابع واستمر .

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع^(١) .
 وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب^(٢) ،
 وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ
 تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرّيب ، وخلف رسول
 الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ،
 فأرجف به المنافقون^(٣) ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه . فلما
 قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج
 حتى أتى رسول الله ﷺ ، وهو نازل بالجرف^(٤) ، فقال : يا نبي الله ،
 زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخففت مني ! فقال
 « كذبوا » ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاحلفني في أهلي
 وأهلك . أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؛ إلا أنه
 لا نبي بعدي . فرجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره .
 ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم
 حار ، فوجد امرأتين له في عريش^(٥) لهما في حائطه^(٦) قد رشت كل واحدة
 منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاماً ، فلما دخل قام
 على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ
 في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهياً ، وامرأة

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة .

(٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) الإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة .

(٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة .

(٥) العريش : شبيه بالخيمة ؛ يظل فيكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٦) الحائط : الحديقة ، أو بستان من النخل قد دار حوله بناء .

(٧) الفصح : الشمس .

حداً ، في ماله مقيم ؟ ! ما هذا بالنِّصف^(١) . ثم قال : والله لا أدخل عريشاً واحداً منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهَيَّأَ لي زاداً . ففعلتا ، ثم قدَّم ناضِحَه فارتحله^(٢) ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتَّى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيْرَ بن وهب الجُمَحِيَّ في الطريق يطلبُ رسولَ الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب : إِنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تَخْلَفَ عَنِّي حتَّى آتِيَ رسول الله ﷺ . ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مُقْبِلٌ . فقال رسول الله ﷺ : « كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ! » فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أُوَكِّ لكَ يا أبا خَيْثَمَةَ^(٣) » . ثم أَخْبَرَ رسول الله ﷺ الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجْر^(٤) نزها واستقى الناسُ من بئرِها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا مِن مائها شيئاً ولا تَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ ، وما كَانَ من عَجِينٍ عَجْتَمَوْهُ فاعْلِفُوهُ الإِبِلَ ، ولا تَأْكُلُوا مِنْهُ شيئاً . ولا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقُ على مَذْهَبه^(٥) ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طَيِّبٍ ، فَأَخْبَرَ بذلك رسولُ الله ﷺ ، فقال : « أَلَمْ أَنُهِكُمْ أَنْ

(١) النصف ، بالكسر : الإنصاف .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه . ارتحله : وضع عليه الرحل .

(٣) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد ، وهي اسم سمي به الفعل . ومعناها فيما قال المفسرون دنوت من الظلِّ

(٤) الحجر : قرية من نواحي المدينة بها عيون وآبار لبني سليم خاصة .

(٥) يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب .

يُخْرِجُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ ؟ » . ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجِذْبِي طِيءٍ فَإِنَّ طِيئًا أَهْدَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حين قدم المدينة .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سحابة فأمطرت ، حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء .

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له عُمارة بن حُزَم ، وكان عَقِيًّا بِدَرِيًّا ، وهو عمُّ بني مرو بن حُزَم ، وكان في رحله زيد بن اللُصَيْتِ الْقَيْنِقَاعِيُّ ، وكان منافقًا .

فقال زيد بن اللُصَيْتِ وهو في رَحْلِ عُمارة ، عند رسول الله ﷺ :
أليس محمد يزعم أنه نبيٌّ ويُخَبِّركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟
فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : « إِنَّ رَجُلًا قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ يُخَبِّرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخَبِّرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وهو لا يدري أين نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا ، قَدْ حَبَسْتُهَا شَجَرَةً بِزَمَامِهَا ، فَاَنْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا » .
فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حُزَم إلى رحله ، فقال : واللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آنفًا ، عَنْ مَقَالَةٍ قَاتِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا - للذي قال زيد بن لُصَيْتٍ - فقال رجلٌ ممن كان في رَحْلِ عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زَيْدٌ وَاللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ قَبْلَ أَنْ نَأْتِيَ . فَأَقْبَلَ عُمارة على زيد يَجَأًا فِي عُنُقِهِ (١) ويقول : إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَّةً وَمَا أَشْعُرُ ! اخْرُجْ أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي فَلَا تَصْحَبْنِي !

فرغم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعضُ الناس : لم

(١) يَجَأُ فِي عُنُقِهِ : يَطْلَعُ فِيهَا .

يزل مَتَّهَمًا بِشَرٍّ حَتَّى هَلَكَ .

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تتخلف فلان ! فيقول : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فسيُلَحِّقْهُ الله تعالى بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ الله مِنْهُ » . حتى قيل : يا رسول الله ، قد تتخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فسيُلَحِّقْهُ الله بكم ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ الله مِنْهُ » .

وتَلَوَّمُ^(١) أبو ذَرٍّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازلهم ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إِنَّ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ . فقال رسول الله ﷺ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر ! فقال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَحْدَهُ ، ويموت وحده ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » .

عن عبد الله بن مسعود ، قال : لَمَّا نَفَى عُمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُهُ وَغِلَامُهُ ، فَأَوْصَاهَا : أَنْ اغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ . فلما مات فعَلَا ذَلِكَ بِهِ ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَارُ^(٢) فَلَمْ يَرَعْهُمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطَوُّهَا ، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغِلَامُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ . قَالَ : فَاسْتَهَلَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : تَمْشِي وَحْدَكَ ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ ! ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ .

(١) تلوم : تمكث وانتظر .

(٢) العمار : المعتزمون ، أي المحرمون بالعمرة .

ثم حدثهم عبدالله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤَبَةَ صاحبُ أَيْلَه ، فصالح رسول الله ﷺ ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَأَعْطَوْهُ الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً ، فهو عندهم .
فكتب يُحَنَّةُ بن رُؤَبَةَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ يُحَنَّةُ بن رُؤَبَةَ وَأَهْلُ أَيْلَةٍ سَفِينِهِمْ وَسِيَّارَتِهِمْ ^(١) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ . وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ . وَإِنَّهُ طَيْبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحَرٍ » .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أَكْبَدِرِ دُومَةَ

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أَكْبَدِرِ دُومَةَ ، وهو أَكْبَدِرُ بن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : « إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ » .

فخرج خالدٌ حتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بَمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، وَفِي لَيْلَةٍ مَقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَبَاتَتِ الْبَقْرُ تَحْكُ بِقَرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَتْ : فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا أَحَدٌ . فَتَزَلُ فَأَمْرُ بَفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ لَهُ ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَانٌ ، فَرَكِبَ وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمِطَارِدِهِمْ ^(٢) ، فَلَمَّا خَرَجُوا

(١) السَّيَّارَةُ : الْقَامِلَةُ ، وَالْقَوْمُ يَسِيرُونَ .

(٢) الْمِطَارِدُ : جَمْعُ مِطْرَدٍ . بِكَسْرِ الْمِيمِ . رَمَحٌ قَصِيرٌ يَطَّارِدُ بِهِ الْوَحْشَ .

تلقَتهُم خيل رسول الله ﷺ فَأَخَذَتْهُ ، وَقَتَلُوا أَخَاه ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مَخْوَصٌ بِالذَّهَبِ ^(١) ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ ، فَبَعِثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ قَبَاءً أَكِيدِرَ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمُسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمُنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنْ خَالِدًا قَدِمَ بِأَكِيدِرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ ^(٢) ، وَصَالِحُهُ عَلَى الْجُزْيَةِ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيَّتِهِ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةً لَمْ يَجَاوِزْهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ يُخْرَجُ مِنْ وَشَلٍ ^(٣) : مَا يُرَوِّى الرَّكَّابَ وَالرَّاكِبِينَ وَالثَّلَاثَةَ ، بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِى الْمُشَقِّقِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي فَلَا يَسْتَقِينْ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَهُ » . قَالَ : فَسَبَقَهُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، فَاسْتَقَوْا مَا فِيهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَ : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ » . فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَانَ وَفُلَانَ . فَقَالَ : أَوْ لَمْ أَنَّهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتِيَهُ ؟ . ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشَلِ ، فَجَعَلَ يَصُبُّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصُبَّ ، ثُمَّ نَضَحَهُ بِهِ ، وَمَسَحَ بِيَدِهِ ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ ، فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ - كَمَا يَقُولُ مِنْ سَمْعِهِ - مَا إِنَّ لَهُ حِسًّا كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ ، فَشَرَبَ النَّاسُ ، وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) مخوص بالذهب : منسوج به كخوص النخل ، وهو ورقة .

(٢) حقن دمه : أنقذه من القتل .

(٣) الوشل : بفتح الواو والشين : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا . والوشل أيضا : القليل من الماء .

ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق :

وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غروت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسيرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر^(١) قريباً من رسول الله ﷺ ، وألقى الله علينا النعاس ، فطففت أستيقظ وقد دنت راحتي من راحلة رسول الله ﷺ ، ففزعني دنوهاً منه مخافة أن أصيب رجله في الغرز^(٢) ، فطففت أحوز راحتي عنه حتى غلبني عيني في بعض الطريق ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله « حس^(٣) » ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عما تخلف من بني غفار فأخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النفر الحمر الطوال^(٤) ؟ » . فحدثته بتخلفهم ، قال : « فما فعل النفر السود القصار ؟ » . قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : « بل الذين لهم نعم بشبكة شдох^(٥) » . فتذكرتهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا . فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نسيطاً في سبيل الله . إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون من قريش ، والأنصار ، وغفار وأسلم » .

(١) موضع قرب تبوك ، بينه وبين وادي القرى .

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرير .

(٣) حس : كلمة معناها أنام .

(٤) الطواط بالكسر : جمع طط . وهو القليل شعر اللحية والحاجبين .

(٥) شبكة شдох : من منازل غفار وأسلم بالحجاز .

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق :

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم أتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ ، كما يتحدث قومك : « إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ » . وعرف رسول الله ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبقارهم ^(١) .

وكان فيهم كذلك مُحِبًّا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ؛ رجاء ألا يخالفوه ، لمزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَّة له ^(٢) ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فترعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له : أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك . وترعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب بن مالك يقال له : وهب بن جابر . فقبل لعروة بما ترى في دمك ؟ قال : كَرَامَةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليّ ؛ فليس في إلّا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فرغموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُرْوَةَ أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا

(١) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

(٢) العلية : الفرقة .

أنه لا طاقة لهم بحَرْبٍ مِّنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وقد بايعوا وأسلموا .
فَأْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ ، وأَجْمَعُوا أَنْ يَرْسِلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ ،
فَكَلِمُوا عَبْدَ يَلِيلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَمِيرٍ ، وكان سَنُّ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وعرضوا
ذلك عليه فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَخَشِيَ أَنْ يُصْنَعَ بِهِ - إِذَا رَجَعَ - كَمَا صُنِيَ بِعُرْوَةَ ،
فَقَالَ : لَسْتُ فَاعِلًا حَتَّى تُرْسِلُوا مَعِيَ رَجُلًا . فَأَجْمَعُوا أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ
مِنَ الْأَحْلَافِ ، وَثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، فَيَكُونُوا سِتَّةً . فَبَعَثُوا مَعَ عَبْدِ يَلِيلٍ
الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ غِيلَانَ ، وَغِيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ ،
وَمِنْ بَنِي مَالِكٍ : عَثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ بَشَرَ بْنِ عَبْدِ دُهْمَانَ أَخَا بَنِي يَسَّارٍ ،
وَأَوْسَ بْنَ عَوْفٍ أَخَا بَنِي سَالِمٍ ، وَثُمَيْرَ بْنَ خَرْشَةَ بْنَ رِبِيعَةَ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ ،
فَخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ يَلِيلٍ ، وَهُوَ نَابُ الْقَوْمِ^(١) ، وَصَاحِبُ أَمْرِهِمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِمْ
إِلَّا خَشْيَةً مِنْ مِثْلِ مَا صُنِيَ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَكِي يَشْغَلَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِذَا
رَجَعُوا إِلَى الطَّائِفِ رَهْطَهُ .

فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَزَلُوا قَنَاةَ الْفَوَا بِهَا الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ يَرْعَى فِي نُوْبَتِهِ
رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ رِعْبَتُهَا نُوبًا عَلَى أَصْحَابِهِ ﷺ -
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ تَرَكَ الرُّكَّابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ وَضَبَرَ يَشْتَدُ^(٢) ، لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، بِأَنْ يَشْرِطَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شُرُوطًا ، وَيَكْتُبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ
وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمَغِيرَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ . فَفَعَلَ الْمَغِيرَةُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ

(١) نَابُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمُ وَالْمُدَافِعُ عَنْهُمْ .

(٢) ضَبَرَ يَشْتَدُ : أَيِ وَثَبَ . ضَبَرَ الْفَرَسَ ، إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَثَبَ .

الظَّهَرِ مَعَهُمْ ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَةِ
الْجَاهِلِيَّةِ .

ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَّةٌ فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ . كَمَا
يَزْعَمُونَ ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ ،
وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَاماً يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ،
حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ
يَدَعَ لَهُمْ (الطَّاعِيَةَ) ، وَهِيَ اللَّاتُ ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ : حَتَّى سَأَلُوا
شَهْراً وَاحِداً بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئاً مُسَمًّى ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ
بِذَلِكَ ، فِيمَا يُظْهِرُونَ ، أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَاتِهِمْ وَنَسَائِهِمْ وَذَرَائِرِهِمْ .
وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوَّعُوا قَوْمُهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ فِيهِدِمَاهَا . وَقَدْ كَانُوا
سَأَلُوهُ - مَعَ تَرْكِ الطَّاعِيَةِ - أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ
بَأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ ،
وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ » . فَقَالُوا : يَا مُحَمَّد ، فَسَنُؤْتِيكَهَا
وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً .

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابَهُمْ أَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمَانُ بْنُ أَبِي
الْعَاصِ ، وَكَانَ مِنْ أَحَدَتِهِمْ سَيِّئاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ
وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ
هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ .

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ فِي هَدْمِ الطَّاعِيَةِ ، فَخَرَجَا
مَعَ الْقَوْمِ ، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ أَرَادَ الْمَغِيرَةُ بِنِ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سَفْيَانَ ،

فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذئ الهدم^(١) فلما دخل المغيرة بن شعبة علّاهما يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو مُعْتَبٍ ، خَشِيةٌ أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَةُ ، وخرج نساء ثقيف حُسْرًا^(٢) يَبْكِينَ عليها ، وَيَقْلَنَ :

لَتُبْكِينَ دَفَاعٌ^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّصَاعُ^(٤)

* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعُ^(٥) *

ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهأ لك^(٦) آهأ لك ! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان : وحليها مجموع . بما لها من الذهب والجزع^(٧) .

وقد كان أبو مَلِيح بن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف - حين قُتل عروة - يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يُجامِعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ : « تَوَلَّيَا مِنْ شَيْئِنا » . فقالا : نتولّى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : « وَخَالَكُمَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ؟ » . فقالا : وخالنا أبا سفيان . فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مَلِيح ابن عروة أن يَقْضِيَ عن أبيه عُرْوَةَ دَيْنًا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : نَعَمْ . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول

(١) ماء لبلي ، وراء وادي القرى .

(٢) حُسْرًا : جمع حاسرة ، وهي المكشوفة الوجه

(٣) دفاع : هو صيغة مبالغة في الدفع ، وإنما سموا طاغيتهم دفاعا لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء .

(٤) الرضاع : جمع راضع ، وأردن بهم اللثام . من قولهم : لثيم راضع . أي لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها .

(٥) المصاع . بكسر الميم : المجالدة والمضاربة بالسيوف .

(٦) واهأ لك : كلمة تقال في معنى التأسف .

(٧) الجزع ضرب من الخمر ، فيه بياض وسواد .

الله فاقضه - وعُروَةُ والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ :
 إِنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكًا ، فقال قارب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله
 لكن تصِلُ مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدِّينُ عَلَيَّ ، وإنما أنا الذي أُطَلَبُ
 به . فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضيَ دَيْنَ عروة والأسود من مال
 الطاغية .

فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أَمَرَكَ
 أن تقضيَ عن عروة والأسود دَيْنَهُمَا . فقضى عنهما .
 وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ
 عِصَاةَ ^(١) وَجٍّ لَا يُعْصَدُ ^(٢) . مَنْ وَجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَّعُ
 ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُلْغَى بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ . وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ
 مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله . فلا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ
 فَيُظْلِمَ نَفْسَهُ فيما أمره به محمد رسول الله ﷺ . »

ذكر سنة تسع

وتسميتها سنة الوفود ، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ،
 وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضَرَبَتْ إِلَيْهِ وفودُ العرب من كل وجه ^(٣) .
 وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمر هذا الحي من قريش ، كانوا

(١) العِصَاة : شجر له شوك ، واحدته عصاة . ووج : اسم موضع بالطائف . وهو بفتح الواو وتشديد
 الجيم .

(٢) يعصد : يقطع .

(٣) قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع . وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم . وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم . عليهما السلام . وقادة العرب ، لا يُنكَرُونَ ذلك ، وكانت قريش هي التي نَصَبَتْ لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما أَفْتَتَحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَهَا الإسلام^(١) ، عَرَفَت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه . يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عَطَّارِد بن حاجب ابن زُرَّارَة بن عُدُس التميمي في أشراف بني تميم : منهم الأقرع بن حابس التميمي ، والزُّبَيْرِ قَسَان بن بدر التميمي أحد بني سعد ، وعَمْرُو بن الأَظْم ، والحباب بن يزيد .

وفي وفد بني تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم ، ومعهم عُمَيْيَةُ بن حِصْن بن حذيفة ابن بدر الفزاري . وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُتَيْنَا والطائف ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجُرَاتِهِ : أن اخرج إلينا يا محمد ! فأذن ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرُكَ فَأَذَنْ لشارعنا وخطيبنا . قال :

(١) دوحها الإسلام : ذللها وأخضعها .

« قَدْ أَذِنْتُ لِخَطِيئِكُمْ فَلْيَقُلْ » . فقام عطارذ بن حاجب ، فقال :
 الحمد لله الذي له علينا الفضلُ والمَنَ ، وهو أهله ، الذي جعلنا مُلوَكًا ،
 ووهبَ لنا أموالاً عِظَامًا نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المَشْرِقِ ،
 وأكثره عَدَدًا وأيسرَهُ عُدَّةً ، فنِ مِثْلُنَا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي
 فضلهم ؟ فنِ قَآخِرْنَا فليعدُّ مِثْل ما عددنا ، وإِنَا لو نشاء لأكثرنا الكلام .
 ولكنَّا نحيا^(١) من الإكثار فيما أعطانا ، وإِنَا نُعرِف بذلك . أقول هذه لأن
 تاتوا بمِثْل قولنا ، وأمرٍ أَفضَلَ مِن أمرنا .

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخي بني
 الحارث بن الخزرج : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ » فقام ثابت ، فقال :
 الحمد لله الذي السموات والأرض خَلَقَهُ ، قضى فيهن أمره ، ووسّع
 كُرسِيَهُ علمُهُ^(٢) ، ولم يك شيء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا
 ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رَسُولًا أَكرمَهُ نِسْبًا^(٣) . وأصدقهُ حديثًا ،
 وأفضَلَهُ حَسَبًا ، فأنزل عليه كتابه ، واثمنه على خَلْقِهِ ، فكان خيرة الله من
 العالمين . ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه
 ودَوِي رحمة ، أَكرمَ الناس حَسَبًا ، وأحسنَ الناس وجوها ، وخيرُ الناس
 قَعَالًا . ثم كان أولَ الخلق إجابةً ، واستجاب الله حين دعاه رسولُ الله نحن .
 فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناسَ حتى يؤمنوا بالله ، فنِ آمِنَ
 بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدأ ، وكان قتله
 علينا يسيرًا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام
 عليكم .

(١) يقال : حيت منه احيا ، اي استحييت .

(٢) الكرسي : ما أحاط بالسموات والأرضين ، كما فسره السهيلي هنا .

(٣) أي أَكرمَ الخلق .

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حيُّ يعادلنا
وكم قُسرنا من الأحياء كلهم
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سرائهم
فَنَحَرُ الكُومَ عِطاً في أرومتنا
فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخِرهم
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا في ذاك نَعْرِفُهُ
إِنَّا أَيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ

وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ . قال حسان : جاءني

رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حلَّ وسَطْنَا
منعناه لما حلَّ بين بيوتنا
بيت حريد عِزُّهُ وثِراؤُهُ
هل المجد إلا السؤدد والندى
على أنفٍ راضٍ من معدٍ وراغمٍ
بأسيافا من كلِّ باغٍ وظالمٍ
بحماية الجولان وسط الأعاجم^(٥)
وجاه الملوك واحتمال العظائم^(٦)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال ،
عرَضْتُ في قوله^(٧) ، وقلت على نحو ما قال ، فلما فرغ الزبرقان قال

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات للنصارى . وقيل لليهود ، واحداثها بكرة بكسر الباء .

(٢) القرع : صاحب رقيق يكون في الخريف ، واحداثه قرعة . بفتح القاف والزاي فيهما .

(٣) هويبا : سراغا .

(٤) الكوم : جمع كوما . وهي الناقة العظيمة السنام . وعطا : أي من غير علة . والأرومة : الأصل .
أي إن الكرم أصيل فينا .

(٥) الحريد : المفرد . لا يختلط بغيره لعرته . حابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن أهم متصل بجماع
الغسانة ملوك الشام .

(٦) السؤدد العود : المجد القديم .

(٧) أراد : قلت على مثل عروضه . والعروض ميزان الشعر .

رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : « قُمْ يَا حَسَّانُ فَاجْبِرِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ » .
فقام حسان ، فقال :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتَهُمْ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
أَعْقَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِقَّتُهُمْ
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا لِحْيَ كَمْ نَدِبَ لَهُمْ
نَسْمُوا إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِئُهَا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
كَانَتْهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ

قَدْ بَيَّنَّا سَنَةً لِلنَّاسِ تَبَعُ^(١)
تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ
أَوْ حَاوَلُوا التَّمَقُّعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَقَعُوا
إِنَّ الْخِلَافَةَ قَاعِلَمُ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(٢)
فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا^(٣)
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالتَّدَى مَتَعُوا^(٤)
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَبَعُ^(٥)
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(٦)
كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(٧)
إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا^(٨)
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَاحُورٌ وَلَا هُلَعُ^(٩)
أُسْدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أُرْسَائِهَا فَدَعُ^(١٠)

(١) الذوايب : الأعالي ، واحداثها ذوايبة ، وأراد ههنا السادة .

(٢) السجية : الطبيعة والخلقة .

(٣) أوهت : أضعفت وهدمت .

(٤) متعوا : زادوا وظهروا عليهم . من قولهم : متع النهار ، إذا ارتفع .

(٥) لا يطبعون : أي لا يتدنسون .

(٦) الطبع ، بفتح الطاء والباء : الدنس .

(٧) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم سرها في أنفسنا . والذرع ، بفتح الحاء ، ولد البقرة الوحشية .

(٨) نسمو : نهض . الرعاف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : خضعوا وتذللوا .

(٩) الاحور : جمع أخور ، وهو الضعيف . والهلع : جمع هلع ، وهو الجبان الخائف .

(١٠) مكتنع : دان قريب ، تقول : اكتنع منه ، إذا دنا . وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود .
والأرساغ : جمع رسف ، وهو موضع مربوط القيد . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

خُذْ مِنْهُمْ مَا آتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
فَإِنَّ فِي حَرَبِهِمْ ، فَأَتْرَكَ عِدَاؤَهُمْ ،
أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبُ يَوَازِرُهُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
فلما فرغ القوم أسلموا ، وجَوَزَهُم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم (٥) .
وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظَهْرِهِمْ (٦) ، وكان أصغرهم
سنًا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ،
إنه قد كان رجلٌ مَنَّا في رحالنا ، وهو غلام حَدَثٌ - وَأَزْرَى بِهِ - فأعطاه
رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم - حين بلغه أن
قيسا قال ذلك - يهجوه :

ظَلَلْتَ مُقَرَّرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تُصَدِّقْ وَلَمْ تَصْبِرْ (٧)
سُدْنَاكُمْ سُودَدًا رَهْوًا وَسُودَدُكُمْ بَادَ نَوَاجِدُهُ مَقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ (٨)
قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

(١) عفا : أي من غير طلب ولا مشقة

(٢) السلع : نبات مسموم .

(٣) صنع ، بفتح الصاد والنون : صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله .

(٤) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهور ، ومنه قولهم : جارية شموع ، إذا كانت كثيرة الطرب .

(٥) الجوائز : العطايا ، واحدها جائزة .

(٦) ظهرهم : إلبهم .

(٧) الهلباء ، شعر الذنب ، وقد استعاره ههنا للإنسان ، كنى بذلك عن خلفه .

(٨) رهوا ، بالراء المهملة : متسما . والنواجد : الأسنان ، واحدها ناجذ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفاة عن بني عامر

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل . وأربد بن قيس بن جَرْء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم . فقدم عامر بن الطفيل عَدُوَّ الله على رسول الله ﷺ ، وهو يريد العَدْرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبعَ العربُ عَقِيبي ، أَفَأَنَا أتبعَ هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربدَ : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عَنْكَ وجهه . فإذا فعلتُ ذلك فاعله بالسيف^(١) . فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خَالَتِي^(٢) ، قال : « لا وَاللَّهِ حتى تؤمِّنَ باللهِ وحده » قال : يا محمد . خَالَتِي . وجعل يكلمه ويبتظر من أربد ما كان أمره به . فجعل أربد لا يُحِيرُ شيئاً^(٣) ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خَالَتِي ، قال : « لا وَاللَّهِ حتى تؤمِّنَ باللهِ وحده لا شريك له » . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأُمْلَأَنَّها عليك خَيْلاً ورجالاً ! فلما ولى قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي عامرَ بنَ الطفيلِ » .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلاً هو أخوفُ عندي على نفسي منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ! قال : لا أَبَالُكَ ، لا

(١) فاعله بالسيف : يريد إقتله ، ويروى فاعله بالسيف « بالعين المعجمة » وهو من الغيلة . وهي القتل خديعة وخفية .

(٢) خالتي : يروي بكسر اللام مخففة . وبشديدها مكسورة . فالأول معناه نفرد لي خالياً حتى أحدثك على انفراد ، والثاني معناه اتخذني خليلاً : من المخالة ، وهي الصداقة .

(٣) أي لا يرد جواباً

تَعْجَلْ عَلَيَّ ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سَكُول ، فجعل يقول : يَا بَنِي عامر ، أَغْدَةً كَغْدَةٍ ^(١) الْبَكَر في بيت امرأة من بني سَكُول ؟ ! ثم خرج أصحابه حين وَاَرَوْهُ حتى قدموا أرض بني عامر شَاتَيْنِ ، فلما قدموا أَنَاهُمْ قومهم فقالوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرَبْد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء كَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حتى أَقْتَلَهُ !

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ، معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا . وكان أَرَبْدُ بن قيس أَخَا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد يَكِي أَرَبْدُ :

مَا إِنْ تَعَدَّى الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مُّشْفِقٌ وَلَا وَلَدٍ ^(٢)
أَخْشَى عَلَى أَرَبْدِ الْحُتُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرَبْدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ ^(٣)
إِنْ يَشْعَبُوا لَا يُبَالِ شَعْبُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلُوْ أَرَبْدُ فِي حَلَاوَتِهِ	مُرٌّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَدِ ^(٤)
وَعَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرَبْدَ إِذْ	أَلَوْتُ رِيَّاحُ الشُّتَاءِ بِالْعَضْدِ ^(٥)
وَأُضْبَحَتْ لَافِحاً مُصَرَّمَةً	حِينَ تَجَلَّتْ غَوَايِرُ الْمُدَوِّ ^(٦)

(١) الغدة : داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه . وهو شبيه بالذبحة التي تصيب الإنسان . والبكر

بالفتح : الفتى من الإبل . وسلول : قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموأل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) تعدى : أراد به ترك وتجاوز .

(٣) الكبد ، بفتح الكاف والباء : الجهد والمشقة .

(٤) الأريب : العاقل .

(٥) العضد : الشجر ذهب الريح بأوراقه ، وهذا كناية عن الجذب في الشتاء .

(٦) المصرمة : التي لا لبن لها . والغواير : البقايا ، واحدها غابرة .

أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحْمٍ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا
السَّاعِثُ النَّوْحُ فِي مَاتَمِهِ
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بَالًا
وَالْحَارِبُ الْجَابِرُ الْحَرِيبَ إِذَا
يَعْقُمُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ
إِنْ يَغْبُطُوا يَهْبُطُوا وَإِنْ أَمَرُوا

ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعَنَلَا وَمُنْتَقِدٍ (١)
لَيْلَةٌ تُمَسِّي الْجِيَادَ كَالْقِدَدِ (٢)
مِثْلَ الطَّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ (٣)
فَارِسِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ النَّجْدِ (٤)
جَاءَ نَكِييًّا وَإِنْ يَعُدُّ يَعُدُّ (٥)
يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ (٦)
قُلْ ، وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدَدِ (٧)
يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّقْدِ (٨)

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

وقدَّم على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس (١)
عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعرض عليه
رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني

(١) لحم يفتح فكسر : كثير الأكل للحم . وذو نهمة : أي له ولوع وحب في بلوغ غاية الشيء . ويروى
« ذو نية » بالياء المثناة . وهي العقل وجمعها عى . ومنتقد . أي بصر بالأمور .
(٢) القدد بكسر ففتح : جمع قدة ، وهي السير الذي يقطع من الجلد . شبه الخيل بالسير في نحوها
وضعفها .

(٣) النوح : جماعة النساء النائحات . الماتم : جمع ماتم . وهو جماعة النساء يئسمن في خير أو شر .
والجرود : الأرض لا نبات فيها .

(٤) النجد ، بفتح فضم : الشجاع .

(٥) الحارب : السالب . والحريب : المسلوب . والنكيب : المنكوب الذي أصابه نكبة .

(٦) الجهد : المشقة ، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة . والرصد : الكلا القليل .

(٧) قل ، بضم القاف : أي قليل .

(٨) يغبطوا : هو من الغبطة ، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس . يهبطوا : ينزلوا ، أي
تضعف حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة . وأمروا ، بكسر الميم : كثروا . والنقد : انقطاع
الشيء وزواله .

(٩) قال ابن هشام : « الجارود : ابن بشر بن المعل في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً » .

قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » .

فأسلم وأسلم أصحابه . ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمْلَانِ ، فقال : « والله ما عندي ما أحملكُم عليه » . قال : يا رسول الله ، فإنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضَوَالِ النَّاسِ ^(١) أفتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : « لا ، إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا ، فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ ^(٢) » .

فخرج من عنده الجارودُ راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلامِ صُلْباً على دينه حتى هلك . وقد أدرك الرِّدَّةَ .

فلما رجع من قومه مَنْ كَانَ أسلم منهم إلى دينهم الأول مع العُرُورِ بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم فتشهَّدَ شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفَرُ مِنْ لَمْ يَشْهَدْ ^(٣) .

قدوم بنن حنيفة ، ومعهم مُسَيِّمَةُ الكَذَابِ

وقدم على رسول الله ﷺ وَفَدُّ بَنِي حَنِيفَةَ ، فِيهِمْ مُسَيِّمَةُ بْنُ حَبِيبِ الْحَنْفِيِّ الكَذَابِ ^(٤) .

فكان منزلهم في دار بنت الحارث ^(٥) امرأةٍ من الأنصار ، ثم من بني النجار . فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَتْ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْرُهُ بِالثِّيَابِ . وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، مَعَهُ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ ، فِي رَأْسِهِ خُوصَاتٌ ^(٦) ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ

(١) يعني الإبل الصَّالَةَ . (٢) أي لُحْبُ النَّارِ أي تؤدي إلى ذلك .

(٣) قال ابن هشام : « ويروي وأكفني من لم يشهد » .

(٤) قال ابن هشام . « مسيلم بن ثمامة . ويكنى أبا ثمامة » .

(٥) قال أبو ذر « يقال : إن هذه المرأة اسمها كيسة بنت الحارث » .

(٦) العسيب : جريد النخل . والسعف ، بفتح السين : أغصان النخلة . والخوصات : جمع خوصة ، ورق النخل والدوم .

يسترونه بالثياب كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتَكَه » .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، أن حديثه كان على غير هذا :

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخَلَفُوا مُسَلِّمَةً فِي رِحَالِهِمْ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا ذَكَرُوا مَكَانَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا لَنَا . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَثَلٍ مَا أَمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ ، وَقَالَ : « أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا » أَيِ لِحَفَظِهِ ضَيْعَةَ أَصْحَابِهِ . ذَلِكَ الَّذِي يَرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءُوهُ بِمَا أَعْطَاهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْيَمَامَةِ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَتَنَبَّأَ . وَتَكَذَّبَ لَهُمْ ، قَالَ : إِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ . وَقَالَ لَوْفَدَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ : « أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا » ؟ ! مَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ .

ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمُ الْأَسَاجِنِجَ ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ : لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحَيْلِيِّ ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ^(١) وَحَشَا .

وَأَحْلَى لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزَّيْنَةَ ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصَّلَاةَ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ . فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ حَنِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ^(٢) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ .

أَمْرُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَكَانَ يَقُولُ - فِيمَا بَلَغَنِي - : مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ

(١) الصفاق : مارق من البطن . (٢) أصفقت معه : اجتمعوا عليه .

كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني . أمّا أنا فكنت امرأً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمرباع ^(١) ،
فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربيّ وكان راعياً لإبلي : لا أبالك ، أعدِدْ لي من إبلي أجماً ذُللاً ^(٢) سِماناً ، فاحتسبها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ^(٣) . ففعل .
ثم إنه أتاني ذاتَ غداةٍ فقال : يا عديُّ ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشَيْتَكَ خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيتَ راياتٍ ، فسألتُ عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلت : فَرَّبْ إليّ أجمالي . فقرَّبَها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحقْ بأهل ديني من النصارى بالشام . فسلكتُ الجُوشية ^(٤) - ويقال : الحُوشية فيما قال ابن هشام - وخَلَفْتُ بنتاً لحاتم في الحاضر ^(٥) ، فلما قدمتُ الشام أقمتُ بها ، وتُخالفني خيلُ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنةَ حاتم فيمن أصابت ، فقديمُ بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء . وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام ، فجعلتُ بنتَ حاتم في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبسنَ فيها ، فمرَّ بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزَلَةً ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالدُ ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ من الله عليك ! قال : « وَمَنْ وافدُك » ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : « الفأرُ من الله ورسوله » ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي ، فقلت له مثلَ ذلك . وقال لي مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي ، وقد يشئتُ منه ، فأشار إليّ رجلٌ من خلفه :

(١) أي أخذ الربع من الغنائم ، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس .

(٢) ذللاً : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض .

(٣) أي أعلمني . آذنه : أعلمه .

(٤) الجوشية : جبل للضباب قرب ضربة من أرض نجد .

(٥) اسمها : سفانة فيما يرجع السهلي . والحاضر : الحي القديم .

أَنْ قَوْمِي فَكَلَّمِيهِ . فَقَمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَ الْوَالِدُ . وَعَابَ الْوَالِدُ ، فَاْمُنُّنُ عَلَيَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ ﷺ : « قَدْ فَعَلْتُ . فَلَا تُعْجَلِي بُخْرُوجَ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ . ثُمَّ آذِنِي » . فَسَأَلْتُ عَنْ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَكَلِمَهُ . فَقِيلَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكَبٌ مِنْ بَنِي أَوْ قُضَاعَةَ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ . فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ . فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَحَمَلَنِي ، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ .

قَالَ عَدِي : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى طُعِينَةٍ ^(١) تَصُوبُ إِلَيَّ تَوْمُنًا فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ . قَالَ : فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ ^(٢) تقول : الْقَاطِعُ . الظَّالِمُ . احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدَكَ وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ الْوَدَعِ عَوْرَتَكَ ! قُلْتُ : أَيُّ أَخِيَّةٍ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا . فَوَاللَّهِ مَالِي مِنْ عَذْرِ . لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ . ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي . فَقُلْتُ لَهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً : مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَتْ : أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تُلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا . فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَلِلْسَابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ . وَإِنْ يَكُنْ مَلَكًا فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ الْيَمَنِ وَأَنْتِ أَنْتِ ! قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الرَّأْيُ .

فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَاِنطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ . فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ ^(٤) إِذْ لَقِيتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً . فَاسْتَوْقَفْتُهُ . فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمَهُ فِي حَاجَتِهَا ،

(١) الطُعِينَةُ . الْمَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا . وَقَدْ يُقَالُ لَهَا طُعِينَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْهَوْدَجِ . وَتَصُوبُ إِلَى : تَقْبَلُ بَحْوِي وَتَوْمُنًا : تَقْصِدُنَا .

(٢) حَمَلِي : أَعْطَانِي مَا يَحْمِلُنِي مِنْ دَاءَةٍ أَرَكْنَهَا .

(٣) انْسَحَلَتْ . أَخَذَتْ فِي اللَّوْثِ وَمَعْصَتْ فِيهِ بَحْدَةً .

(٤) عَمِدَ إِلَيْهِ : قَصَدَ إِلَيْهِ .

قلتُ في نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بي رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادةً من آدمٍ محشوةً ليفاً ، فقفزها إليّ ، فقال : اجلس على هذه . قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال بل أنت . فجلستُ عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمرٍ ملك . ثم قال : إيه يا عديّ بن حاتم ، ألم تك ركوسياً^(١) ؟ قلت : بلى . قال : « أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمِرْبَاعِ ؟ » . قلت : بلى . قال « فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَجِلُّ فِي دِينِكَ » ، قلت : أجلّ والله ! وعرفتُ أنه نبيُّ مرسل يعلم ما يُجْهَل . ثم قال :

« لَعَلَّكَ يَا عَدِيّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لِيُوشَكْنَ الْمَالُ أَنْ يَفِضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مَنْ يَأْخُذَهُ . وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ عِدَدِهِمْ . فَوَاللَّهِ لِيُوشَكْنَ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ . وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ . وَآيَمُ اللَّهِ لِيُوشَكْنَ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ » . قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله لتكوننَّ : قد رأيتُ القصورَ البيضَ من أرضِ بابلَ قد فُتِحَتْ ، وقد رأيتُ المرأةَ تخرجُ من القادسية على بعيرها لا تخافُ حتى تحجَّ هذا البيتَ ، وآيمُ الله لتكوننَّ الثالثة : لَيَفِضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مَنْ يَأْخُذَهُ .

قدوم فروة بن مُسيك المرادي

قال ابن إسحاق :

وقدم فروة بن مُسيك المرادي على رسول الله ﷺ ، مُقَارَفاً للملوك كِنْدَهُ ،

(١) الركوسية : قوم لهم دين بين النصارى والصابئين .

ومباعداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ . وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وَفَعَةً أصابت فيها همدان من مرادٍ ما أرادوا . حتى أَثْنَوْهُمْ^(١) . في يوم كان يقال له يوم الرِّدَم ، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مرادٍ الأجدع بن مالك . في ذلك اليوم^(٢) .

ولما توجه قَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كعدة قال :
لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ

كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٣)

قَرَبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا

أَرْجُو قَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَايَا^(٤)

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ فيما بلغني : يَا قَرْوَةُ ، هَلْ سَأَلَكُمَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّدَمِ ؟ قال : يا رسول الله . مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدَمِ لَا يَسُوهُ ذَلِكَ ؟ فقال رسول الله ﷺ له : « أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا » .

واستعمله النبي ﷺ على مُراد وزُيَيْدٍ ومَذْحِجٍ كُلِّهَا ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقَةِ ، فكان معه حتى توفي رسول الله ﷺ .

قدوم عمرو بن معد يكرب

في أناس من زُيَيْدٍ

وقدم على رسول الله ﷺ عَمْرُو بن مَعْدٍ يَكْرَبُ في أناس من بني زُيَيْدٍ . فأسلم ، وكان عَمْرُو قد قال لقيس بن مَكْشُوح المُرَادِيّ - حين انتهى إليهم

(١) أَثْنَوْهُمْ : أَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ .

(٢) قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني .

(٣) النسا : عرق مستبطن في الفخذ . وأصله مقصور فمده للشعر .

(٤) أَوْمٌ : أَقْصَدُ . ثَرَايَا : يعني به الجود والعطية . ويروى « ثَنَائِهَا » ، وهو الذي يتحدث به عن الرجل من خير أو شر .

أمر رسول الله ﷺ . يا قَيْسُ ، إِنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ ، وقد ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا
 مِنْ قَرِيشٍ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ ، قَدْ خَرَجَ بِالْحِجَازِ يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاَنْطَلَقَ بِنَا إِلَيْهِ
 حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ ، فَإِنْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ ، وَإِذَا لَقِينَاهُ
 اتَّبَعْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلِمْنَا عِلْمَهُ . فَأَبَى عَلَيْهِ قَيْسٌ ذَلِكَ ، وَسَقَّه رَأْيَهُ ،
 فَركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَهُ ،
 وَآمَنَ بِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَيْسَ بْنِ مَكْشُوحٍ أَوْعَدَ عَمْرًا وَتَحَطَّمَ عَلَيْهِ^(١) ، وَقَالَ :
 خَالَفَنِي وَتَرَكْتُ رَأْيِي ! فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي ذَلِكَ :

أَمْرُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَا	أَمْرًا بَادِيًا رَشْدُهُ ^(٢)
أَمْرُكَ بِاتِّقَاءِ الدِّ	وَالْمَعْرُوفِ تَتَّعِدُهُ
خَرَجْتَ مِنَ الْمَتَى مِثْلَ	حُمَيْرٍ غَزَّهَ وَتَدُهُ
تَعْنَانِي عَلَى فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَيَّ مُقَاضَةً كَالنَّهْ	نِي أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَّدُهُ ^(٣)
تُرْدُ الرُّمَحِ مُنْتَبِي	سُنَّانٍ عَوَائِرًا قِصْدُهُ ^(٤)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لَلْقِي	تَ لَيْثًا فَوْقَهُ لَيْدُهُ ^(٥)
تَلَاقِي شَبْنًا شَتْنًا	بِرَائِنٍ نَاشِرًا كَتَدُهُ ^(٦)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنُ	تَيْمَمَهُ فَيَعْتَصِدُهُ ^(٧)
فِي أَخْذِهِ فَيَرْفَعُهُ	فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٨)

(١) تحطم عليه . اشتد عليه .

(٢) ذو صنعاء : بلدة باليمن ، وهي صنعاء . والعرب يزدنون « ذو » في كثير من أعلام البلدان .

(٣) المقاضة : الدرع الواسعة . والنهي : الغدير . والجدد : الأرض الصلبة .

(٤) عوائر : أي متطايرة . والقصد ، بكسر القاف وفتح الصاد : جمع قصدة ، وهو ما تكسر من الرمح .

(٥) اللبد ، بكسر ففتح : جمع لبد ، وهي ما على كتفي الأسد من الشعر .

(٦) الشنبث ، بزنة جعفر : الذي يتغلق بقرنه ولا يزايله . وشن : أي غليظ الأصابع . والبرائن : جمع

برثن ، وهو للسبع بمنزلة الإصبع للإنسان . وناشرا : مرتفعا . والكبد : ما بين الكتفين .

(٧) يسامي القرن : يعلوه ويرتفع عليه . والقرن ، بالكسر : الذي ينازل في الشجاعة . وتيممه : قصده .

ويعتصده : يجعله تحت عضده ، معناه يفوقه ويتغلب عليه .

(٨) يقتصده : يقتله .

فَيَدْمِغُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزِدُّهُ^(١)
ظُلُومُ الشَّرِكِ فِيمَا أَحْ رَزَتْ أَنْيَابُهُ وَيَدُهُ

فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ . وَعَلَيْهِمْ فَرَوَةٌ مِنْ
مُسَيِّكٍ . فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ . وَقَالَ حِينَ
ارْتَدَّ :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةٍ شَرَّ مُلْكٍ

حِمَارًا سَافَ مَنَخِرُهُ بِثَفَرٍ^(٢)

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ

تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خَبْثٍ وَغَدَرٍ^(٣)

قُدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة .
فحدثني الزُّهْرِيُّ ابْنُ شَهَابٍ ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا
مِنْ كِنْدَةَ ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ وَقَدْ رَجَلُوا جُمُعَهُمْ^(٤) .
وَتَكَحَّلُوا ، عَلَيْهِمْ جُبُّ الْحَبْرَةِ^(٥) ، وَقَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ^(٦) . فَلَمَّا دَخَلُوا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ
فِي أَعْنَاقِكُمْ ؟ قَالَ : فَشَقَّوْهُ مِنْهَا فَأَلْقَوْهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ ، وَأَنْتَ ابْنُ آكَلِ الْمُرَارِ . قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) يدمغه : يهرج دماغه . ويحطمه . يكسره . ويخضمه : يأكله . ويزدده . يتلعه .

(٢) ساف : شم . والثفر في البهائم بمنزلة الرحم في الناس .

(٣) الحولاء : الجلدة التي يخرج فيها ولد الناقة .

(٤) رجلوا حممهم : يريد مشطوا شعورهم وسرحوها . والجمع جمع جمة وهي مجتمع شعر الرأس .

(٥) الحبيب : جمع جبة . وهي ضرب من الثياب . والحبرة : ضرب من يرود اليمن ذو خطوط .

(٦) كففوها : أي حملوها طرارا .

عليه السلام ، وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث - وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين ، وكانا إذا شاعا^(١) في بعض العرب فسئلا مِمَّنْ هُما قالا : نحن بنو آكل المرار ! يَتَغَزَّانَ بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً - ثم قال لهم : لا ، بل نحنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لا نَقْفُو^(٢) أَمَّا وَلَا نَتَنِي مِنْ أَيْنَا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين !

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

وقدم على رسول الله ﷺ صُرْدُ بن عبد الله الأزدي ، فأسلم وحسن إسلامه ، في وفدٍ من الأزد ، فأمره رسول الله ﷺ على مَنْ أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَنْ كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن . فخرج صُرْدُ بن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بِجُرَشَ ، وهي يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم^(٣) خثعمٌ ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلاً ، حتَّى إذا كان إلى جبل لهم يقال له « شكر » ظنَّ أهل جُرَشَ أنه وليَّ عنهم مُنْهَزِماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً .

وقد كان أهل جُرَشَ بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يَرْتَادَانِ وينظران ، فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشيَّة بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله ﷺ : بأيِّ بلادِ الله شكرٌ ؟ فقام الجُرَشِيَّانِ فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبَلٌ يقال له كَشْرٌ - وكذلك يسميه أهل جُرَشَ - فقال : « إِنَّهُ لَيْسَ

(١) شاعا : بعدا .

(٢) لا نقفو أَمَّا : لا تتبعها في نسبها ، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه .

(٣) ضوت : انضمت ولجأت واتصلت بهم .

بكَشَّرَ وَلَكِنَّهُ شَكَرَ . قَالَا : فَمَا شَأْنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتَنْحَرَّ عِنْدَهُ الْآنَ » .

فجلس الرجلان إلى أبي بكر ، أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكمما !! إن رسول الله ﷺ الْآنَ لَيَنْعَى قَوْمَكُمَا ، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فأسألاه ذلك . فقال : اللَّهُمَّ ارفعْ عنهم ! فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما . فوجدا قومهما فدأصبيوا يوم أصابهم صُرْدُ بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

وخرج وفدٌ جُرَشَ حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأسلموا ، وَحَمَى لَهُمْ حِمَىً حَوْلَ قَرِيَّتِهِمْ ، على أعلام معلومة : للفرس ، والراحلة^(١) ، وللمثيرة^(٢) بَقَرَةَ الْحَرَثِ ، فمن رعاه من الناس فمأله^(٣) سُحْتٌ .

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابُ مَلُوكِ حِمِيرٍ مَقْدَمَةٌ مِنْ تَبُوكَ ، وَرَسُولُهُمْ إِلَيْهِ^(٤) بِإِسْلَامِهِمْ : الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كُلَّالٍ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ كُلَّالٍ وَالنُّعْمَانُ قَبِيلُ ذِي رُعَيْنٍ^(٥) وَمَعَاوِرٌ وَهَمْدَانٌ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ ، مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَاقِيِّ بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمَفَارِقَتِهِمْ الشَّرِكُ وَأَهْلُهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(١) المثيرة : القرة ، لأنها تقلب الأرض .

(٢) الراحلة : واحدة الرواحل ، وهي الإبل .

(٣) سُحْتٌ : حرام لا يحل له أن يأكله .

(٤) في بعض النسخ « رسل ملوك » بصيغة الجمع ، و « رسلهم إليه » كذلك . والرسول من الألفاظ التي يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .

(٥) القيل ، يقال : هو الملك ، ويقال . بل هو الذي دون الملك الأعلى ، وهذا هو الأكثر .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن كلال ، وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعاfer وهمدان . أما بعد ذلكم فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مُقْبِلَنَا مِنْ أرض الروم ، فَلَقِينَا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين . وأنّ الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغاير خمسَ الله وسهمَ النبي ﷺ وصفيه^(١) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، من العقار^(٢) عَشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وعلى ما سَقَى الْغَرْبُ^(٣) نِصْفَ الْعُشْرِ . وَإِنْ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةُ لُبُون . وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لُبُونٍ ذَكَرٌ ، وفي كُلِّ خَمْسٍ من الإبل شاةٌ ، وفي كُلِّ عَشْرِ من الإبل شاتانِ ، وفي كُلِّ أَرْبَعِينَ من البقر بَقَرَةٌ ، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيعٌ جَذَعٌ أَوْ جَدْعَةٌ^(٤) ، وفي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شاةٌ . وإنها فريضةُ الله التي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ .

وإنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : له ما لهم ، وعليه ما عليهم . ومن كان على يهوديتهٍ أو نصرانيتهٍ فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالم ذكرٍ أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينارٌ وافرٌ من قيمة المَعَاfer^(٦)

(١) الصفى : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة .

(٢) العقار ، ههنا الأرض ، وهو بفتح العين .

(٣) الغرب ، بفتح وسكون : هي الدلو العظيمة .

(٤) التبِيع : ما استكمل سنة من ولد البقر ، فإذا استكمل ستين فهو جلدع .

(٥) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم .

(٦) المَعَاfer : ثياب من ثياب اليمن .

أَوْ عَوَّضَهُ ثِيَابًا ؛ فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ،
وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

أما بعد فإن رسول الله محمدًا النبي أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يَزَن : أن إذا
أتاكم رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَمَالِكُ
بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ مَرَّةٍ ، وَأَصْحَابُهُمْ . وَأَنْ أَجْمَعُوا مَا
عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجَزِيَةِ مِنْ مَخَالِفِكُمْ ^(١) ؛ وَأُبلغُهَا رُسُلِي . وَإِنْ أَمِيرُهُمْ
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا .

أما بعد ؛ فإن محمدًا يَبْشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ مَرَّةَ الرَّهَاقِيَّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أَوَّلِ حَمِيرٍ ، وَقَتْلَتَ
الْمُشْرِكِينَ ، فَأَبْشُرْ بِخَيْرٍ ، وَأَمْرُكَ بِخَيْرٍ خَيْرًا ، وَلَا تَخُونُوا وَلَا تَخَادَلُوا .
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ هُوَ مَوْلَى غَنِيِّكُمْ وَفَقِيرِكُمْ ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ، وَلَا لِأَهْلِ
بَيْتِهِ ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يَزَكِّي بِهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ .

وَإِنَّ مَالِكًا قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ وَحَفِظَ الْغَيْبَ ، وَأَمْرُكُمْ بِهِ خَيْرٌ . وَإِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ
إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِي وَأَوَّلِي دِينِهِمْ وَأَوَّلِي عِلْمِهِمْ ، وَأَمْرُكُمْ بِهِمْ خَيْرٌ ؛
فَإِنَّهُمْ مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وصية الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق :

وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أَنَّهُ حَدَّثَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - حِينَ
بَعَثَ مُعَاذًا - أَوْصَاهُ وَعَهْدَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ ، وَبَشِّرْ وَلَا
تُنْفِرْ . وَإِنَّكَ سَتَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَكَ مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟
فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . » .

(١) جمع مخلاف ، وهو لأهل اليمن كالخند لأهل الشام ، والكورة لأهل العراق ، والرسناق لأهل
الجبال ، والطسوج لأهل الأهواز .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق :

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر ، أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنَجْرَان ، وأمره أن يدعَوْهم إلى الإسلام ، قبل أن يقاتلهم ، ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يَقْعِلُوا فقاتلهم .

فخرج خالدُ حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبانَ يضرِبون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالد يُعَلِّمُهُم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد ، السلامُ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إلى بني الحارث بن كَعْب ، وأمرتني إذا أَتَيْتُهُمْ أن لا أَقاتلهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعَوْهم إلى الإسلام ، فإِ: أسلموا أَقْمْتُ فيهم وقبلت منهم وعَلَّمْتُهُم معالم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه ، وإن لم يُسْلَمُوا قَاتَلْتُهُمْ ، وإِني قَدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثتُ فيهم رُكبانًا قالو : « يا بني الحارث ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا » فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به ، وأناهم عما نهاهم الله عنه ، وأَعَلَّمْتُهُم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

* * *

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك ، تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه . فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفداهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

* * *

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ؛ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب : منهم قيس بن الحصين ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قراد الزبيدي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبائي . فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال : مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سَلَّمُوا عليه ؛ وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زُجروا اسْتَقْدُمُوا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الرابعة ؛ فقال يزيد بن عبد المدان : نَعَمْ يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا اسْتَقْدُمُوا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالدا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . قال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا قال : فَمَنْ حَمِدْتُمْ ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله . قال : صدقتُمْ . ثم قال رسول الله ﷺ : يَمَ كُنتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا . قال : بلى ، قد كنتم تغلبون

من قاتلكم . قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق ،
ولاً نبداً أحدا بظلم . قال : صدقتم .

وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَيْن .
فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال ، أو في صدر ذي
القعدة ، فلم يكتثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول
الله ﷺ ورحمَ وبارك ، ورضي وأنعم .

وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن
حزَم ؛ ليُفَقِّهَهُمْ في الدين ، ويعلمهم السنّة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم
صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيانٌ من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا
أوفُوا بالعُقُود ، عهدٌ من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى
اليمن . أمره بتقوى الله في أمره كله . فإن الله مع الذين اتَّقُوا والذين هم محسنون .
وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشّر الناسَ بالخير ، ويأمرهم به ،
ويعلم الناس القرآن ، ويفقِّههم فيه ، وينهى الناس فلا يَمَسَّ القرآنَ إنسانٌ إلا
وهو طاهر ، ويخبر الناسَ بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ،
ويشدّ عليهم في الظلم ، فإن الله كرهَ الظلم ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ
الله على الظالمين ﴾ ويبشّر الناسَ بالجنة وبعمَلها ، وينذر الناس النار وعمَلها ،
ويستألف الناس حتى يَفْقَهُوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحجّ وسنّته وفريضته ،
وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر هو العمرة .
ونهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنّي طرفيه
على عاتقيه . وينهى الناس أن يحْتَبِيَ أحد في ثوب واحد يُفْضِي بفرجه إلى
السماء ؛ وينهى أن يعْقِص أحدُ شعر رأسه في قفاه ، وينهى ، إذا كان بين
الناس هَيْجٌ ، عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكنّ دعواهم إلى الله عز وجل
وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَعُوا

بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له . ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجُوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين . وَيَمْسَحُونَ برؤوسهم كما أمرهم الله . وأمر بالصلاة لوقتها . وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، وَيَغْلَسُ بالصُّبْحِ^(١) ، وَيُهَجَّرُ بالهاجرة حين تميل الشمس . وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يُقْبَلُ الليل . لا يُؤَخَّرُ حتى تبدوَ النجوم في السماء والعِشاءُ أَوَّلَ الليل . وأمر بالسَّجْدِ إلى الجمعة إذا نودي لها . والغسل عند الرِّوَا ح إليها . وأمره أن يأخذ من المغانم خمسَ الله .

وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من العَقَّارِ عَشْرُ ما سَقَتِ العينُ وسَقَتِ السماء ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصفُ العِشْرِ ، وفي كل عَشْرٍ من الإبل شاتان . وفي كل عِشرين أربعُ شِياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة . وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة . فَإِنَّهَا فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له . وإنه من أسلمَ مِنْ يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين : له مثلُ ما لهم ، وعليه مثلُ ما عليهم .

ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها . وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حُرٌّ أو عَبْدٌ ، دينارٌ وافيٌّ أو عَوَضُهُ ثياباً ، فمن أدَّى ذلك فإن له ذِمَّةً الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عَدُوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً . صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذكر الكذابين

مسيلة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق :

وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان : مُسِيلَةُ بن حبيب

(١) التغليس : أن يصلي في أول العجر .

(٢) التهجير : الصلاة في أول وقت الظهر . والهاجرة : نصف النهار حين تزول الشمس .

الكذاب باليَمَامة في بني حنيفة ، والاسودُّ بن كعب العنسيُّ بصنعاء .
عن أبي سعيد الخُدري ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يخطبُ الناسَ
على منبره ، وهو يقول : « أيها الناس ، إنِّي قد رأيتُ ليلةَ القدر ، ثم أنسيتها ،
ورأيتُ في ذراعَي سوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأولتُهما
هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة » .
وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة ، أنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ
يقول : « لا تقومُ الساعةُ حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلُّهم يدَّعي النبوةَ » .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعُمَّالَهُ على الصَّدقاتِ إلى كل ما
أوطأ الإسلامُ من البُلدان ، فبعث المُهاجرَ بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛
فخرج عليه العنسيُّ ، وهو بها ؛ وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري
حَضْرَمَوْت ، وعلى صدقاتها ؛ وبعث عديَّ بن حاتم على طَيِّء وصدقاتها ، وعلى
بني أسد ؛ وبعث مالك بن نويرة على صَدَقَاتِ بني حَنْظَلَةَ ؛ وَفَرَّقَ صدقةَ بني
سعد على رَجُلَيْنِ منهم : فبعث الزُّبْرَقَانِ بن بَدْر على ناحية منها ، وقَيْسَ بن
عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرميَّ على البَحْرَيْنِ ، وبعث
عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرَانَ ليجمعَ صدقتهم ، ويَقْدِمَ
عليه بجزيته .

كتاب مُسَيِّمَةَ إلى رسول الله ﷺ

والجواب عنه

وقد كان مُسَيِّمَةُ بن حبيب قد كتب إلى رسول الله ﷺ :
من مُسَيِّمَةَ رسولِ الله إلى محمد رسولِ الله . سلام عليك ، أما بعد فإني

قد أَشْرَكْتُ في الأمر معك . وَإِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ ، وَلَقَرِيشَ نِصْفَ الْأَرْضِ .
وَلَكِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ .

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود
الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ
كتاباه : « فما تقولان أنتما » ؟ قالا : نقول كما قال : فقال : « أما والله لولا أن
الرَّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا » .

ثم كتب إلى مسيلمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب .
السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ،
والعاقبة للمتقين » .
وذلك في آخر سنة عشر .

حَجَّةُ الْوُدَاعِ

فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تَجَهَّزَ للحج وأمر الناس بالجهاز
له ، وخرج رسول الله ﷺ إلى الحج لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ^(١) .
ثم مضى رسول الله ﷺ على حَجَّه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم
سُنَنَ حَجَّهِمْ ، وخطب الناس خطبته التي بَيَّنَّ فيها ما بَيَّنَّ . فحمد الله وأثنى
عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا
بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ
تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحَرَمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ

(١) قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي . ويقال سباع بن عرفة الغفاري .

ربكم فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بَلَغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى مَنْ ائتمنه عليها . وإنَّ كلَّ ربًّا موضوعٌ^(١) . ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تَظْلَمُونَ . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عَبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وإن كُلَّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضعُ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل - فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد أيها الناس ؛ فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطعَ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسيء زيادة في الكفر يضلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاماً ويُحرِّمونه عاماً ليوطئوا عدَّةَ ما حَرَّمَ الله فيحلُّوا ما حَرَّمَ الله ويحرِّموا ما أحلَّ الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرض ، وإن عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ، وَرَجَبُ مَضَرَ^(٢) الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، فإنَّ لكم على نساءكم حقاً ، ولهنَّ عليكم حقاً ؛ لكم عليهن أن لا يُوطئنَ فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإنَّ فعلن فإن الله قد أذنَ لكم أن تهجرنَّهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرح^(٣) فإن انتهينَ فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً فإنَّهنَّ عندكم عوان^(٤) لا يملكنَ لأنفسهنَّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله .

(١) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية . يضعه وضعا : أسقطه عنه .

(٢) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك سواها .

(٣) غير مبرح : أي غير شديد . تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق .

(٤) عوان : جمع عانية . وهي الأسيرة .

فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغتُ ، وقد تَرَكْتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تَضِلُّوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تَعَلَّمْنُ أن كلَّ مسلم أخٌ للمُسلم ، وإن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسٍ منه . فلا تَظَلِمُنْ أنفسكم . اللهم هل بلغتُ ؟ » .
 فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم . قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اشهد » .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق :
 ثم قَفَلَ رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطيء الخيل تُخَوِّمَ اللقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز النَّاسُ وأوعِبَ^(١) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

خروج رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام :
 وقد كان رسول الله ﷺ ، بعثَ إلى الملوك رُسُلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .
 قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، عن أبي بكر المُدَلِّي ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صُدَّ عنها يوم

(١) أوعوا : خرجوا كلهم ، لم يتخلف منهم أحد .

الحُديبية فقال : « أيها الناس ، إن الله قد بعني رَحْمَةً وَكَافَّةً ؛ فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحَوَارِيُّونَ على عيسى بن مريم » . فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : « دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا قَرِيبًا فَرَضِي وَسَلِمَ ، أَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا بَعِيدًا فَكَرِهَ وَجْهَهُ وَتَثَاقَلَ ، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى إِلَى اللَّهِ ، فَأَصْبَحَ الْمُتَثَاقِلُونَ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثَ إِلَيْهَا » .

فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام .

فبعث دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ .
وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كَسْرَى مَلِكِ فَارَسَ .
وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ .
وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ الإسْكَندَرِيَةِ .
وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيِّ إِلَى جَيْفَرَ وَعِيَاذِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ الْأَرْدَنِينَ مَلَكَيْ عَمَانَ .

وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو ، أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ ، إِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُنَالَ وَهُوَذَةَ ابْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّينَ مَلَكَي الْيَمَامَةِ .

وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ .
وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي مَلِكِ نَحُومِ الشَّامِ .

قال ابن هشام : أَنَا نَسَبْتُ سَلِيطًا وَثُمَامَةَ وَهُوَذَةَ وَالْمُنْذِرَ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ أَنَّهُ وَجَدَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُ مَنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبُلْدَانِ وَمُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ ، قَالَ : فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَعَرَفَهُ ، وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً

وكافّة ، فَأَدُّوا عَنِّي يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . » قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : « دعاهم ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّبَ به فأحبَّ وسلم . وأما من بَعَدَ به فكره وأبى . فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الذين وجه إليهم » .

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بَعَثَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَتْبَاعِ الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَطْرُسَ الْحَوَارِيِّ ، وَمَعَهُ يُولُسُ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ ، إِلَى رُومِيَّةَ . وَأَنْدَرَانِسَ وَمَتَّى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَأْكُلُ أَهْلِهَا النَّاسُ . وَثُومَاسَ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ . وَفِيلِبُّسَ إِلَى قَرَطَاجَنَّةَ . وَهِيَ إِفْرِيْقِيَّةُ . وَيُحَنَسَ إِلَى أَفْسُوسَ قَرْيَةِ الْفَتِيَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ . وَيَعْقُوبُوسَ إِلَى أُورَاشَلِيمَ ، وَهِيَ إِيلِيَاءَ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ . وَابْنَ ثَلْمَاءَ إِلَى الْأَعْرَابِيَّةِ . وَهِيَ أَرْضُ الْحِجَازِ . وَسَيْمُنَ إِلَى أَرْضِ الْبَرْبَرِ . وَيَهُوذَا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ جُعِلَ مَكَانَ يُوْدِسَ .

آخر البعوث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطيء الخيل نحو مَ الْبُلْقَاءِ وَالْدَّارُومَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، وَأَوْعَبَ مَعَ أَسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ ^(١) .

(١) أَوْعَبُوا مَعَهُ : خَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ فِي الْغُرُ .

ابتداء شكوى رسول الله

ﷺ

قال ابن إسحاق :

فبينما الناس على ذلك ابتديء رسول الله ﷺ بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليالٍ بَقَيْنَ من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتديء به من ذلك - فيما ذكر لي - أنه خرج إلى بَقِيعِ الغرقد^(١) من جَوْفِ الليل فاستغفَرَ لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتديء بوجعه من يومه ذلك .

عن أبي مُوَيْهبة مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثني رسول الله ﷺ من جَوْفِ الليل ، فقال : يَا أَبَا مُوَيْهبة ، إني قد أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ ، فَانْطَلِقْ مَعِي . فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِئَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ ، أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، يَتَّبِعُ آخِرَهَا أَوَّلُهَا ، الْآخِرَةُ شَرُّ مَنْ الْأُولَى » .

ثم أقبل عليَّ فقال : يَا أَبَا مُوَيْهبة ، إني قد أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ، ثُمَّ الْجَنَّةُ ، فَخِيرَتِ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ . فقلت : يَا أَبَا مُوَيْهبة ، فخذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهبة ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ . ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وَجَعَهُ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجْدُ صَدَاعاً فِي رَأْسِي ،

(١) بَقِيعِ الغرقد : مقبرة أهل المدينة . وهي داخل المدينة .

وأنا أقول : وأرأساه ! فقال : بل أنا والله يا عائشة ، وأرأساه ! ثم قال : وما ضرك لو مُتَّ قبلي فمُتَّ عليك وكفنتُكِ وصليتُ عليك ودفنتُكِ ؟ قلت : والله لكأني بك لو قد فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك . قالت : فتبسم رسولُ الله ﷺ . وتَنَامَ به وَجَعُهُ وهو يدور على نسائه ، حتى استعْزَ به ^(١) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنَّ في أن يمرض في بيتي ، فأذنَّ له .

ذكر أزواجه ﷺ

أمهات المؤمنين

قال ابن هشام : وَكُنَّ تسعاً : عائشة بنت أبي بكر ، وَحَفْصَةُ بنت عمر بن الخطاب ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان بن حرب ، وَأُمُّ سَكَمَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ، وَسَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ بن قيس . وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْنٍ ، وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حُيٍّ بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة :

(خَدِيجَةُ بنت خويلد) : وهي أول من تزوج ، زَوَّجَهُ إياها أبوها خويلد ابن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بَكْرَةً ^(٢) فولدت لرسول الله ﷺ ولدهُ كُلِّهم ، إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هَالَةَ بن مالك أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هَالَةَ ، وزينت بنت أبي هَالَةَ . وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية . وتزوج رسول الله ﷺ (عائشة بنت أبي بكر الصديق) بمكة ، وهي

(١) استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه ﷺ .

(٢) البكرة : الفتية من الابل .

بنت سبع سنين ، وبَنَى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكَراً غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم .

وتزوج رسول الله ﷺ (سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي) ، زَوَّجَهُ إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مولى بن حِسل . وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم^(١) . وكانت قبله عند السَّكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسل . وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت جحش بن رِثاب الأسدية) ، زَوَّجَهُ إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ . ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ .

وتزوج رسول الله ﷺ (أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية) ، واسمها هند ، زَوَّجَهُ إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً حشوه ليف ، وقلحاً وصحفة ، ومِجْشَةً^(٢) وكانت قبله عند أبي سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له : سلمة ، وعُمر ، وزينب ، ورقية . وتزوج رسول الله ﷺ (حفصة بنت عُمر بن الخطاب) زَوَّجَهُ إياها أبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ .

وتزوج رسول الله ﷺ (أم حَبِيبَةَ - واسمها رَمْلَةٌ - بنت أبي سفيان بن حرب) ، زَوَّجَهُ إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ،

(١) قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت

(٢) المجشة : أراد بها الرحي .

وأصدقها النجاشيُّ عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار . وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ . وكانت قبله عند عُبيد الله بن جحش الأسدي .

وتزوج رسول الله ﷺ (جُورِيَّةَ بنت الحارث بن أبي ضَرَار الخُزَاعِيَّة) . كانت في سبايا بني المُصْطَلِق من خُزَاعَة ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصاري ، فكاتبها على نفسها ، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، فقال : « هل لكِ في خيرٍ من ذلك ؟ » قالت : وما هو ؟ قال : أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكِ . فقالت : نعم . فتزوجها .

قال ابن هشام :

ويقال لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ومعه جُورِيَّة بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُورِيَّةَ إلى رجل من الأنصار ودِيْعَةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ بالمدينة . فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضَرَار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نَظَرَ إلى الإبل التي جاءت للفداء فرغب في بعيرين منها ، فغَيَّبَهُمَا في شِعْبٍ من شعاب العقيق . ثم أتى النبي ﷺ ، فقال يا محمد أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها . فقال رسول الله ﷺ فَأَيْنَ البعيران اللذان غَيَّبْتَ بِالعقيقِ في شِعْبٍ كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ وأنت رسول الله ﷺ ، فوالله ما أطلعَ على ذلك إلا الله تعالى ! فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزَوَّجَها إياها ، وأصدقها أربعمئة درهم . وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبدالله . ويقال : اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن فيس فأعتقها وتزَوَّجها ، وأصدقها أربعمئة درهم .

وتزوج رسول الله ﷺ (صَفِيَّةَ بنت حُيٍّ بن أخطَب) ، سباها من خَيْبَر ، فاصطفأها لنفسه ، وأوَّكَم رسول الله ﷺ وليمةً ما فيها شحمٌ ولا

لحم ، كان سويقاً وتمراً . وكانت قبله عند كِنَانَةَ بن الربيع بن أبي الحُقَيْق .
وتزوج رسول الله ﷺ (مَيْمُونَةَ بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير
ابن هُزَم بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة) ، زَوْجَهُ إِيَّاهَا
العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباسُ عن رسول الله ﷺ أربعمئة
درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهم بن عبد العُزَى بن أبي قيس بن عبد وُدَّ
ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤي ، ويقال : إنها التي وهبت نفسها
للنبي ﷺ ، وذلك أن خِطْبَةَ النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت :
البعير وما عليه لله ولرسوله . فَأَنْزَلَ الله تبارك وتعالى : (وامرأة مؤمنة إِنْ
وَهَبَتْ نفسها للنبي إِنْ أَرَادَ النبي أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) . ويقال : إن التي وهبت نفسها
للنبي زينب بنت جحش . ويقال : أم شريك غزيرة بنت جابر بن وهب ،
من بني منقذ بن عمرو بن مُعَيْص بن عامر بن لُؤي . ويقال : بل هي امرأة
من بني سَامَةَ بن لُؤي ، فَأَرْجَأَهَا (١) رسول الله ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله
ابن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) وكانت تسمى أمَّ
المساكين ؛ لرحمتها إياهم ورقعتها عليهم ، زَوْجَهُ إِيَّاهَا قَبِيصَةُ بن عمرو الهلالي ،
وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند عُبَيْدَةَ بن الحارث
ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبَيْدَةَ عند جَهْم بن عمرو بن
الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتي بنى بهنَّ رسول الله ﷺ ، إحدى عشرة . فمات قبله
منهن اثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفي عن تسع
ذكرناهن في أول الحديث .

واثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النُعمان الكِنْدِيَّة ، تزوّجها فوجد بها
بَيَاضاً ، فمَتَّعَهَا وردّها إلى أهلها . وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة

(١) أي أخر أمرها .

عَهْدٍ بِكَفْرِ ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ استعاذت من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « مَنِيعٌ عَائِدُ اللَّهِ » فردّها إلى أهلها . ويقال : إن التي استعاذت من رسول الله ﷺ كندية ، بنتُ عمِّ لأسماء بنت النعمان . ويقال : إن رسول الله ﷺ دعاها فقالت : إنا من قوم تُؤْتَى ولا نَأْتِي ! فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

* * *

(القرشيات) من أزواج النبي ﷺ ست : خديجة بنت خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي ، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحَافَةَ بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي . وَحَفْصَةُ بنتُ عُمَر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى ابن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزاح بن عديّ بن كعب بن لُؤي ، وأمُّ حُبَيْبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤي . وأمُّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لُؤي . وَسَوْدَة بنت زَمْعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤي .

و(العربيات غيرهن) سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يَعْمَر بن عَبْرَة بن مُرَّة بن كبير بن غَم بن دُودان بن أَسَد بن خزيمَة . وميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم بن رُويَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قيس بن عيلان . وَزَيْنَبُ بنتُ خُرَيْمَة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية . وَجُويرية بنت الحارث ابن أبي ضِرَار الخزاعية ثم المصطلقية . وأسماء بنت العمان الكندية . وعمرة بنت يزيد الكلابية .

و(من غير العربيات) صفية بنت حُيَّ بن أخطَب ، من بني النَضِير .

عدنا إلى ذكر شكوى رسول الله

ﷺ

قال ابن إسحاق :

حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :
فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تحط قدماه حتى دخل بيتي .
قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : علي بن أبي طالب .
ثم غمر^(١) رسول الله ﷺ واشتدَّ به وجعه ، فقال : « هَرِّقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَّى ، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأُعْهِدَ إِلَيْهِمْ » .
قالت : فأقعدها في مِخْصَبٍ^(٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء ، حتى طفق يقول : « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ ! ! » .
وقال الزُّهْرِيُّ :

حدثني أيوب بن بشير ، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صَلَّى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فَاكْثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ ، ثم قال : « إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يُريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ! فقال : « على رسلك يا أبا بكر » ثم قال : « انظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ اللَّافِظَةَ فِي الْمَسْجِدِ^(٣) فَسُدُّوْهَا إِلَّا بَيْتَ

(١) غمر ، بالبناء للمجهول : أصابته غمرة المرض .

(٢) المِخْصَب : شبه الإِجَانة يغسل فيها الثياب .

(٣) اللَّافِظَةُ في المسجد : أي النافذة إليه .

أي بكر ^(١) فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدِي يَدًا مِنْهُ » .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل سعيد بن المعلّى :
أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا : « فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ
الْعِبَادِ خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ صُحْبَةٌ وَإِخَاءٌ يُؤْمِنُونَ . حَتَّى يَجْمَعَ
اللَّهُ بَيْنَنَا عِنْدَهُ » .

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ،
أن رسول الله ﷺ استبطأ الناسَ في بعث أسامة وهو في وجعِهِ ، فخرج عاصبًا
رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناسُ قالوا في إمرة أسامة : أَمْرٌ غَلَامًا
حَدَّثًا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ! فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أَهْلٌ .
ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْفِذُوا بَعَثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قَلْتُمْ
فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا » .
ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش الناسُ في جَهَازِهِمْ ^(٢) ، وَاسْتَعَزَّ ^(٣)
برسول الله ﷺ وجعُهُ ، فخرج أسامة ، وخرج جيشُهُ معه ، حتى نزلوا
الْجُرْفَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى فَرَسَخٍ ، فَضْرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَتَنَاقَشَ إِلَيْهِ النَّاسُ ،
وَوَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقَامَ أُسَامَةُ وَالنَّاسُ لِيَنْظُرُوا مَا اللَّهُ قَاضٍ فِي رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ .

قال الزهريُّ : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ
قال ، يَوْمَ صَلَّى وَاسْتَغْفَرَ لِأَصْحَابِ أَحَدٍ وَذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرَ مَعَ مَقَالَتِهِ
يَوْمَئِذٍ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ

(١) قال ابن هشام : « ويروى إلا باب أي بكر » .

(٢) انكمشوا : أسرعوا وجدوا .

(٣) استعز به : غلبه واشتد عليه .

وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيَّبِي (١) التي أُوتِيَتْ إليها .
فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته وتناّم به وجعه حتى غُمِرَ (٢) .
فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ،
منهن أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا على أن يَلْدُوهُ (٣)
وقال العباس : لَأَلْدَنَّهُ .

فلدّوه ، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال : مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي ؟ قالوا :
يا رسول الله ، عمك . قال : هَذَا دَوَاءٌ أَتَى بِهِ نِسَاءُ جَنٍّ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْأَرْضِ
- وأشار نحو أرض الحبشة - وَلَمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ؟ فقال العباس : خَشِينَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بَكَ ذَاتُ الْجَنْبِ ، فَقَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ ،
لَا يَتَّقُ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لَدَّ ، إِلَّا عَيَّ » . فلقد لَدَّتْ ميمونة وإنها لصائغة ،
لَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ عَقُوبَةً لَهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِهِ .

عن أسامة بن زيد ، قال :

لَمَّا نَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ أَصَمَّتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ
يَضَعُهَا عَلَيَّ ، فَأَعْرَفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي !

عن عائشة قالت :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى
يُخَيِّرَهُ » . قالت : فَلَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ وَهُوَ
يَقُولُ : « بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ » . قلت : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتَ
أَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ لَنَا : « إِنْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبِضْ حَتَّى يُخَيَّرَ » .

(١) عيبة الرجل : خاصته وموضع سره .

(٢) انظر ما سبق في ص ٣٣٦ .

(٣) لده : سقاه اللود ، وهو بالفتح : ما يسقاه المريض في أحد شقي فمه .

صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما استُعِزَّ^(١) برسول الله ﷺ قال : « مُرُّوا أبا بكرٍ فَلْيَصَلِّ بالناس » . قلت : يا نبيَّ الله ، إِنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيق ، ضعيفُ الصوت ، كثيرُ البكاء إذا قرأ القرآن ! قال : « مُرُّوهُ فَلْيَصَلِّ بالناس » . فعدتُ بمثل قولي ، فقال : « إِنَّكَ صَوَّابٌ يَوْسُفَ فَمُرُّوهُ فَلْيَصَلِّ بالناس » . فوالله ما أقول ذلك إلاَّ أَنِّي كنتُ أحبُّ أن يُصَرَّفَ ذلك عن أبي بكر ، وعرفتُ أَنَّ الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وأنَّ الناسَ سيتشاءمون به في كلِّ حدثٍ كان ، فكنتُ أحبُّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطَّلَب بن أسد ، قال : لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين ، دعاه بِأَلٍّ إلى الصلاة ، فقال : « مُرُّوا مَنْ يُصَلِّي بالناس » فخرجت فإذا عمرُ في الناس ، وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس . فقام ، فلما كَبَّرَ سمع رسول الله ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مُجْهَرًا^(٢) - فقال رسول الله ﷺ : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَا بِيَّ الله ذلك والمسلمونَ ، يَا بِيَّ الله ذلك والمسلمون ! » . فَبُعِثَ إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صَلَّى عمر تلك الصلاة فصلَّى بالناس .

قال عبد الله بن زَمْعَةَ : قال لي عمر : وَيْحَكَ !! ماذا صنعتَ بي يا ابن زَمْعَةَ ؟ والله ما ظننتُ حين أَمَرْتَنِي إِلَّا أَنَّ رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صَلَّيتُ بالناس . قلت : والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتُك أحقَّ من حضرَ بالصَّلَاة بالناس . قال ابن إسحاق : وقال الزُّهْرِيُّ : حدثني أنس بن مالك :

(١) انظر ما سبق في ص ٣٣٧ .

(٢) مجهر : أي رفيع الصوت ، يقال : أجهر الرجل ، إذا عرف بشدة الصوت .

أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج إلى الناس وهم يصلُّون الصُّبح فرجع السَّتر وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ﷺ فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه ، فرحَّابه ، وتفرَّجوا^(١) ، فأشار إليهم : أن اثبتوا على صلاتكم . فتبسَّم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئةً منه تلك الساعة . ثم رجع ، وانصرف الناس ، وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه^(٢) ، فرجع أبو بكرٍ إلى أهله بالسُّنح^(٣) .

وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : « أين أبو بكرٍ ؟ يأتي الله ذلك والمسلمون » . فلولا مقالةُ قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أنَّ رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إنَّ استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني^(٤) ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خيرٌ مني^(٥) .

فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً . وكان عمر غير متهمٍ على أبي بكر .

وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه ، إلى الصُّبح^(٦) ، وأبو بكر يُصلي بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرَّج الناس ، فعرف أبو بكر أنَّ الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ ، فنكصَ عن مُصلَّاه ، فدفع رسولُ الله ﷺ في ظهره ، وقال : « صلِّ بالناس » . وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلَّى

(١) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

(٢) أفرق من وجعه : برئ واستبل .

(٣) السُّنح ، بضم فسكون : موضع كان لأبي بكر رضي الله عنه فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

(٤) يعني أبا بكر .

(٥) يعني رسول الله عليه الصلاة والسلام . انظر الرياض النضرة للمحب الطبري ٢ : ٧٤ .

(٦) أي إلى صلاة الصبح .

قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعاً صوته ، حتَّى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعُرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمْسُكُونَ عَلَيَّ شَيْءٌ ، إِنِّي لَمْ أَحِلَّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال له أبو بكر : يا نبي الله ، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضلٍ كما نُحِبُّ ، واليوم يوم بنت خارجة أفاتها ؟ قال : نعم . ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْحِ .

عن عبد الله بن عباس قال :

خرج يومئذٍ عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، على الناس من عند رسول الله ﷺ ، فقال له الناس : يا أبا حَسَنَ ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ العباسُ بيده ثم قال : يا عليّ ، أنت والله عَبْدُ الْعَصَا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفتُ الموتَ في وجه رسول الله ﷺ كما كُنْتُ أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمرُ فينا عَرَفْنَاهُ ، وإن كان في غيرنا أَمَرْنَاهُ فأوصى بنا الناسُ . فقال له عليّ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَاللَّهِ لَئِنْ مُنِعْنَاهُ لَا يُؤْتِينَاهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ ! فتوفِّي رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضَّحَاءُ من ذلك اليوم .

عن عائشة قالت :

رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَ دَخَلَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاضْطَجَعَ فِي حِجْرِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ سِوَاكٌ أَخْضَرُ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا السِّوَاكُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَتْهُ فَمَضَغَتْهُ حَتَّى لَيْسَتْ ، ثُمَّ أُعْطِيَتْهُ إِيَّاهُ ، فَاسْتَنْنَ بِهِ ^(١) كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنْنُ بِسِوَاكِ قَطُّ ، ثُمَّ وَضَعَهُ ،

(١) أي استاك به .

ووجدتُ رسولَ الله ﷺ يَثْقُلُ في حجري ، فذهبتُ أنظرُ في وجهه ، فإذا بصره قد شَخَصَ ، وهو يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ » . فقلتُ : خَيْرَتَ فَأَخْتَرْتَ والذي بَعَثَكَ بالحق !
وَقَبِضَ رسولُ الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول :

مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِي وَنَحْرِي ^(١) وفي دَوْلَتِي ^(٢) ، لم أظلم فيه أحداً ، فبينَ سَقَهِي وَحَدَاثَةِ سَنِي أن رسولَ الله ﷺ قُبِضَ وهو في حجري ، ثم وَضَعَتْ رأسه على وسادة ، وقمتُ أَلْتَدِمُ ^(٣) مع النساءِ وَأَضْرِبُ وجهي .
عن أبي هريرة ، قال :

لما تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال : إِنَّ رجلاً من المنافقين يَزْعُمُونَ أن رسولَ الله ﷺ قد تُوفِّيَ ؛ وإن رسولَ الله ﷺ والله ما مات ، ولكنه ذَهَبَ إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عِمْران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات . والله لَيَرْجِعَنَّ رسولُ الله ﷺ كما رجع موسى ، فَلْيُقَطَّعَنَّ أَيْدِي رجالٍ وَأَرْجُلُهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ مات .
قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفتْ إلى شيء حتَّى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسولُ الله ﷺ مُسَحَّجٌ ^(٤) في ناحية البيت ، عليه بُرْدٌ حَبَرَةٌ ^(٥) ، فأقبلَ حتَّى كشفَ عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم أقبل عليه فَقَبَّلَهُ ، ثم قال :

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم ، وهو يفتح فسكون أو يضم فسكون . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) في دولتي : تريد في نوبتها التي كانت لها .

(٣) أَلْتَدِمُ : أضرب صدري .

(٤) مسحج : مغطى .

(٥) هو ضرب من ثياب اليمن .

بأبي أنت وأمي ، أما المودة التي كتب الله عليك فقد دُفِنَتْهَا ، ثم لن تصيبك بعدها مودة أبداً ! ثم ردَّ البرد على وجه رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمرُ يكلم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ، أنصت . فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصتُ أقبلَ على الناس ، فلما سمع الناسُ كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لكانَّ الناسَ لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ ، وأخذها الناسُ عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم .

فقال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكرٍ تلاها فَعَقِرْتُ^(١) حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحمِلُنِي رَجُلَايَ ، وعرفتُ أن رسول الله ﷺ قد مات .

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق :

ولما قبضَ رسول الله ﷺ انحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أسيدُ بنُ حُضَيْرٍ في بني عبد الأشهل ، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر فقال : إن هذا الحيُّ من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل أن يتفارق أمرهم ،

(١) عقرت ، بالبناء للمجهول : دهشت وتحيرت .

ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره ، قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه .

عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال - وكنت في منزله بمنى أنتظره وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، فرجع عبد الرحمن ابن عوف من عند عمر فوجدني في منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن - فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان ، يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ! قال : فغضب عمر ، فقال إنني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحدثهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس ، وغوغاءهم ^(١) وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة ، فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً فيعي أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها . فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة !

قال ابن عباس :

فقد منا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس . فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر ، فجلست حدوة تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ! فأنكر علي سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل

(١) الرعاع : سقاط الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفال الناس به لكثرتهم .

قبله ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله .
ثم قال :

أما بعد ، فإنِّي قاتل لكم اليوم مقالة قد قُدِّرَ لي أن أقولها ، ولا أدري
لعلَّها بين يدي أجلي ، فمن عَقَلَهَا ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ،
ومن خَشِيَ أن لا يعيها فلا يحلُّ لأحد أن يكذبَ عليَّ . إن الله بعث محمداً ،
وأَنزَلَ عليه الكتاب ، فكانَ مما أَنزَلَ عليه آيةُ الرجم ، فقرأناها وعَلِمناها
ووعَيْنَناها . وَرَجَمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشي إن طالَ بالناس
زمانٌ أن يقول قاتل ، والله ما نجد الرجم في كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضةٍ
أَنزَلها الله . وإن الرجم في كتاب الله حقٌّ على مَنْ زنى إذا أَحْصِنَ . من الرجال
والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبلُ ، أو الاعتراف . ثم إنا قد كنّا نقرأ
من كتاب الله : لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَإِنَّهُ كَفَرُ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ .
أَلَا إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَقُولُوا
عبدالله ورسوله » . ثم إِنَّهُ قد بلغني أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن
الخطاب لقد بايعتُ فلاناً ! فلا يَغُرَّنَّ امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت
فَلَتَةً فَتَمَّتْ ، وإنها قد كانت كذلك ، إلا أَنَّ الله قد وَفَّى شرها ، وليس فيكم
من تَنفُطِعُ الأعناق إليه مثلُ أبي بكر ، فمن بايعَ رجلاً عن غير مَشُورَةٍ من المسلمين
فإنه لا بِيَعَةَ له هو ولا الذي بايعه تَغَرَّةً أَنْ يُقْتَلَ^(١) . إنه كان من خبرنا - حين
توفي الله نبيه ﷺ - أَنَّ الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني
ساعدة ، وتَخَلَّفَ عنا عليُّ بن أبي طالب والزُّبَيْرُ بن العوام ومن معهما ، واجتمع
المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من

(١) أي خوف التفرقة : وهي التفرير . ومعناه ان البيعة حقها ان تقع بعد مشورة واتفاق . فإذا استبد اثنان
دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة . فإن عقد لأحد
بيعة فلا يكون المقود له واحداً منهما . وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها .
لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا الفعلة الشيعة التي أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء
عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . عن لسان العرب (غرر) .

الأنصار . فانطلقنا نُوْمُهُمْ ، حَتَّى لَقَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ ، فَذَكَرَا لَنَا مَا تَمَّالًا عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، وَقَالَا : أَيْنَ تَرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ؟ قُلْنَا نَرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَا : فَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَقْرِبُوهُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ . قُلْتُ : وَاللَّهِ لَأَتَيْنَهُمْ . فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، فَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ رَجُلٌ مُزْمَلٌ^(١) ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ : مَا لَهُ ؟ فَقَالُوا : وَجَعٌ . فَلَمَّا جَلَسْنَا تَشْهَدُ خُطْبِيهِمْ فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكُتَيْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ مِنَّا . وَقَدْ دَقَّتْ دَافَةُ^(٢) مِنْ قَوْمِكُمْ .

قال : وَإِذَا هُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَحْتَازُونَا مِنْ أَصْلَانَا وَيَغْتَصِبُونَا الْأَمْرَ . فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَقَدْ زَوَّرْتُ^(٣) فِي نَفْسِي مَقَالَةً قَدْ أَعْجَبْتَنِي ، أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ ، وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ^(٤) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ ! فَكُرِهْتُ أَنْ أَغْضِبَهُ ، فَتَكَلَّمْتُ وَهُوَ كَانَ أَعْلَمُ مِنِّي وَأَوْقَرُ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي مِنْ تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَهَا فِي بَدِيهَتِهِ ، أَوْ مِثْلَهَا ، أَوْ أَفْضَلَ ، حَتَّى سَكَتَ . قَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ فَيَكُمُ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ : هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا . وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ . وَأَخَذَ بِيَدِي وَبَيَّدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا ، وَلَمْ أَكْرَهُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا . وَكَانَ وَاللَّهِ أَنْ أَقْدَمْتُ فَتَضْرَبَ عُنُقِي ، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ إِلَى إِثْمٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ .

(١) مزمل : ملتف ، تزمّل الرجل ، إذا التّف في كسائه أو نحوه .

(٢) الدافّة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة ، وهي أيضا الجماعة تسير برفق .

(٣) زورت مقالة : أعدتها وحسنتها في نفسي .

(٤) يريد أنه قد كان في أخلاقه بعض الحدة ، فكان جهد عمر أن يداريه .

قال : فقال قائل من الأنصار : أنا جُذِبْتُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذِّقْتُهَا الْمُرْجَبُ^(١) منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش .

قال : فكثُر اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تَخَوَّفَتِ الاختلافَ ، فقلت : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، وَنَزَّوْنَا^(٢) على سعد بن عُبَادَةَ ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبَادَةَ . فقلت : قتل الله سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

قال الزهري : أخبرني عروة بن الزبير ، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُيُومُ بن ساعدة ، والآخر مَعْنُ بن عديّ أخو بني الْعَجْلَانِ ؛ فأما عُيُومُ بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ : مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُيُومُ بْنُ سَاعِدَةَ » . وأما مَعْنُ بن عديّ فبلغنا أن الناس بَكَوْا على رسول الله ﷺ حين تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وقالوا : وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّ مُتَنَا قَبْلَهُ ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ . قال مَعْنُ بن عدي : لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مَتَّ قَبْلَهُ ، حَتَّى أَصْدَقَهُ مِيتًا كَمَا صَدَقْتَهُ حَيًّا ! فَقُتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، يَوْمَ مَسِيلِمَةَ الْكَذَابِ . وحدثني الزهري ، قال : حدثني أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قال :

لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْغَدُ ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ ، وَمَا وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهْدُهُ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ

(١) الجذيل : تصغير جذل ؛ وهو عود ينصب للإبل تحتك به وتستريح إليه . والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه . والعذيق : تصغير عذق ، وهي النخلة نفسها . والمرجب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة ، لكثرة حملته وعزه على أهله ، وهو مضروب به المثل للرجل الشريف المبجل .

(٢) النزو : الوتب .

أَرَى أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَذَرُ أَمْرَنَا - يقول : يكون آخِرْنَا - وإنَّ اللَّهَ قَدْ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، فَقَوْمُوا فَبَايَعُوهُ .

فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَتَهُ الْعَامَةَ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُ عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي . الصُّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ ^(١) عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخِذُ الْحَقِّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَا يَدْعُ قَوْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرْبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّلِّ ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى حَاجَةٍ لَهُ وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ ^(٢) وَمَا مَعَهُ غَيْرِي ، وَهُوَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ قَدَمِهِ ^(٣) بِدِرَّتِهِ ، إِذِ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ حَمْلَنِي عَلَى مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُظَنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَقِي فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهَا بِآخِرِ أَعْمَالِهَا ، فَإِنَّهُ لِلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ .

(١) أَرَاخَهُ . أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ .

(٢) الدَّرَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ السِّبَاطِ يَضْرِبُ بِهِ ، يَكُونُ لِلْمُلُوكِ .

(٣) وَحْشِي الْقَدَمِ : جَانِبُهَا الْخَارِجِي .

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

قال ابن إسحاق :

فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ

يوم الثلاثاء .

فحدثني عبدالله بن أبي بكر وحسين بن عبدالله وغيرهما من أصحابنا ، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذي ولّوا غسله ، وأن أوس بن خوليٍّ أحد بني عوف قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ - وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر - قال : ادخل . فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله ﷺ ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه معه ، وكان أسامة ابن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء وعلي يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يقضي بيده إلى رسول الله ﷺ ، وعلي يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حيا وميتا ! .

ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت .

عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندري ، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا دقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه ، والقميص دون أيديهم .

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب : ثوبين صَحَارِيِّين^(١)

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن . ويقال : هي عمان .

وَبُرْدِ حَبْرَةٍ أُدْرَجَ فِيهِ إِدْرَاجًا .

عن ابن عباس ، قال :

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ^(١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يَلْحَدُ^(٢) ، فدعا العباسُ رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خِرْ لرسول الله ﷺ . فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله ﷺ . فلما فرغ من جَهَاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وَضَعَ على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » .

فَرَفَعَ فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّونَ عليه أرسالا^(٣) ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يَوْمِ الناس على رسول الله ﷺ أحدٌ .

ثم دفن رسول الله ﷺ من وَسَطِ الليل ليلة الأربعاء .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صَوْتَ الْمَسَاحِي^(٤) من جَوْفِ الليل من ليلة الأربعاء . قال ابن اسحاق :

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وَثَمَّ بن عباس ، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ .

(١) الضرح : الشق . والضريح : القبر يشق في وسط الأرض شقاً .

(٢) اللحد : الشق يكون في جانب القبر .

(٣) أرسالا : جماعة بعد جماعة ، الواحد رسل بالتحريك .

(٤) المساحي : جمع مسحاة ، وهي مجرفة من حديد .

وقد قال أوس بن خُوَيْلٍ لعلِّي بن أبي طالب : يا علي أنشدك الله وحَظَّنَا من رسول الله ﷺ ! فقال له : انزل . فترل مع القوم .

وقد كان مولاه شُقْرَان - حين وُضِعَ رسول الله ﷺ في حُفْرَتِهِ وَبِيَّ عَلَيْهِ - قد أخذ قطيفة^(١) قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً !

قال : فدفنتُ مع رسول الله ﷺ .

وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعي أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ ، يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقطَ مني وإنما طرحته عمداً لأمسَّ رسول الله ﷺ فأكون أحدثُ الناس عهداً به ﷺ . عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله ابن الحارث ، قال :

اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فترل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع ، فسكب له غسل فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نجبُ أن نخبرنا عنه . قال : أظنُّ المغيرةَ بن شعبة يحدثُكم أنه كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك . قال : أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ فمُ بن عباس .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته قالت : كان علي رسول الله ﷺ خَمِيصَةً سَوْدَاءَ^(٢) حين اشتدَّ به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرَّةً على وجهه ، ومرَّةً يكشفها عنه ، وهو يقول : « قَاتَلَ اللهُ قَوْماً اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ! » ، يَحْذَرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ .

(١) القطيفة : كساء له خمل ، أي أهداب .

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع ، له علمان ، أي خطان .

عن عائشة ، قالت :

كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ : أن قال : لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَارٌ .

قال ابن إسحاق :

ولما توفي رسول الله ﷺ عَظُمَتْ به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة - فيما بلغني - تقول :

لما تُوفِّيَ رسول الله ﷺ ارْتَدَّتِ العرب ، واشْرَأَبَتِ اليهودية ^(١) والنصرانية ، وَنَجِمَ النفاق ^(٢) ، وصار المسلمون كالغَنَمِ المَطِيرَةِ ^(٣) في الليلة الشاتية ، لفقدِ نبيِّهم ﷺ ، حَتَّى جَمَعَهُمُ الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم :

أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكَّةَ لما تُوفِّيَ رسول الله ﷺ هَمُّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حَتَّى خافهم عَتَابُ بنُ أُسَيْدٍ ^(٤) ، فَتَوَارَى ، فقام سُهَيْلُ بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إِنْ ذَلِكَ لم يزد الإسلام إلا قُوَّةً ، فَمَنْ رَأَيْنَا ضَرْبَنَا عَنْقَهُ ! !

فترجع الناسُ ، وَكَفُّوا عما هَمُّوا به ، وظهر عَتَابُ بنُ أُسَيْدٍ .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب « إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَاماً لَا تَدُمُهُ » .

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

بَطِيئَةَ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٍ وَقَدْ تَعَفُّو الرُّسُومَ وَهَمْدُ ^(٥)

(١) اشرأب الرجل : صعد عنقه لينظر . ومعناه تطلعت وبرزت .

(٢) نجم النفاق : ظهر وبدأ .

(٣) المطيرة : التي أصابها المطر .

(٤) عتاب بن أسيد : كان والي مكة وأميرها حين وفاة النبي ﷺ .

(٥) طيبة بفتح الطاء : اسم للمدينة . والرسم : ما بقي من آثار الدار .

وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتِ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وَوَاضِحِ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ
بِهَا حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ ، وَعَهْدُهُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَاسْعَدْتُ
يَذْكُرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةً
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَ لَحْدُ مِنْكَ ضَمْنَ طَيْبَا
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَبَدٍ وَأَعَيْنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَأَحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ

بِهَا مَنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ^(١)
وَرَبْعُ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَلَايُ مِنْهَا تَجَدَّدُ^(٢)
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ^(٣)
عَيُونُ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْخَفْنِ تُسْعِدُ^(٤)
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلُدُ
فَظَلْتُ لآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ^(٥)
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ^(٦)
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ^(٧)
عَلَيْهِ بِنَاءُ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدُّ
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ^(٨)
عَشِيَّةَ عَلَوُهُ التَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْصَدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ^(٩)

(١) تمتحي : تزول . الآيات : العلامات .

(٢) الآي : جمع آية .

(٣) الملحد : الذي يضع الميت في لحده .

(٤) تسعد : تعين والإسعاد : المعاونة .

(٥) شفها : أضعفها وأهزلها .

(٦) العشير : العشر . توجد ، من الوجد ، وهو الحزن

(٧) ثوى : أقام : المسدد : الذي هدى إلى السداد ، وهو الصواب .

(٨) تهيل : تصب . الأسعد : جمع السعد .

(٩) عدله : ساواه . الرزية : المصيبة .

تَقَطَّعُ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ تَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ
فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ بُحُورُوا عَنْ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُتْنَى جَنَاحُهُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشًّا بِقَاعُهَا
فَقَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْوَحْشَاتُ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ نَمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكَّى رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُتَجَدُّ (١)
وَيُنْقَذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
مُعَلِّمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجَوَدُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُوا عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ (٢)
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ (٣)
يُبْكِيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ (٤)
لِغَيْبِهِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ نَعْهَدُ
فَقِيدُ يَبْكِيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ (٥)
خِلَافٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٍ وَعَرْضَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلَدُ (٦)
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ (٧)
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ (٨)
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

(١) يغور : يبلغ الغور . وهو تهامة وما يلي اليمن . وينجد . يأتي نجدا .

(٢) الكنف : الجانب والناحية .

(٣) أقصده : أصابه فلم يخطئ مقاتله .

(٤) المرسلات : الملائكة .

(٥) ضافها : نزل بها . البلاط : المستوي من الأرض . الغرقد : شجر .

(٦) العرضات : جمع عرصة ، وهي الساحة ، سكن الرءاء لضرورة الشعر .

(٧) سابغ : كثير فياض . يتغمد : يستر ، والمراد يعم .

(٨) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمَ صَبِيئًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُصْلَا
وَأَثْبَتَ قَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَمَّ مَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارُهُ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ^(١)
إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ^(٢)
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ^(٣)
دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ^(٤)
وَعُودًا غَدَاهُ الْمَزْنُ فَالْعُودُ أَغِيدُ^(٥)
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبُّ مُمَجَّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مُحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ^(٦)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ^(٧)
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

* * *

وقال حسان بن ثابت أيضا يكي رسول الله ﷺ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا
وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبُ لَهْفِي لَيْتَنِي
بِأَبِي وَأُمِّي مَن شَهِدْتُ وَقَاتَهُ
كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ^(٨)
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِيءَ الْحَصَى لَا تَبْعَدُ^(٩)
غُيْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ^(١٠)
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَهْدِيُّ

(١) التنكيد . قلة العطاء ، ومعه .

(٢) الطريف : المال المستحدث . يتلد : يكتب قديما .

(٣) الأبطحي : المسوب إلى أبطح مكة ، وهو مكان سهل متسع .

(٤) الذروات : الأعالي . شاهقات : مرتفعات .

(٥) المزن : السحاب ، واحدته مزنة . أغيد . ناعم مثن .

(٦) يفند : يعاب .

(٧) عازب العقل : بعد عنه عقله .

(٨) المآقي : جمع مآقي ، وهو مجرى الدمع في العين .

(٩) لا تبعد : لا تهلك . أي ليبق ذكرك خالدا .

(١٠) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا
أُتِّقِمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومَ سَاعَتَنَا فَلَقَى طَيِّبًا
يَا بِكَرٍّ أَمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكَرْهًا
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنا مَعًا وَنَبِيَّنَا
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَ بِهَالِكِ
يَا وَبِحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدَنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
صَلَّى الْإِلَهِ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرْشِهِ
قال ابن إسحاق :

مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ (١)
يَا لَيْتَنِي صُبَحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ (٢)
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ (٣)
وَلَدْنَاهُ مُحْصَنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
مَنْ يَهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةٍ تَنْفِي عَيْنِ الْحُسَدِ
يَا ذَا الْحَلَائِلِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِ
إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (٤)
بعد الْمُغَيْسِبِ فِي سِوَاءِ الْمَلْحَدِ (٥)
سُودًا وَجُوهُهُمْ كُلُّونَ الْإِثْمَدِ
وَفُضُولِ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ تَجْحَدِ
أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ :

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ قَارَقَهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا (٦)
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا (٧)

(١) المتبلد : المتغير .

(٢) صبحه : سقاه الصبوح ، وهو شرب الصباح . والأسود : ضرب من الحيات .

(٣) المحض : الخالص . الضريبة : الطبيعة . المحتد : الأصل .

(٤) والله أسمع ، أي أقسم بالله لا أسمع : حذف حرف النفي .

(٥) سواء الملحد ، أي وسط اللحد .

(٦) نهم ، أي نبتهم وأخبرهم .

(٧) لم يؤنسوا المطر : لم يحسوه .

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا تَحْشَى جَنَادِعَهُ إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَتَرَا^(١)
فَلَيَنْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمِدْرَا
لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ ، أَنْتَى وَلَا ذَكَرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ قُدِرَا

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله ﷺ أيضا :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا مَنِيَّ الْيَلَّةَ بَرٌّ غَيْرٌ إِنْ نَادِ^(٢)
تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيَّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
وَلَا بَرَا اللَّهَ خَلْقًا مِنْ بَرِّيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ^(٣)
مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدَلٍ وَإِرْشَادِ
أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبُنَّ فَوْقَ قَفَا سَيْرٍ بِأَوْتَادِ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ أَيْقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّعْمَةِ الْبَادِي^(٤)
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنْ كُنْتُ فِي نَهْرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمَفْرَدِ الصَّادِي^(٥)

قال ابن هشام :

عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

وجد بآخر نسخة من الأصول ما نصه :

وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد

وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدني أبو محمد بن عبد الواحد ، عن محمد بن عبد الرحمن البرقي ،

قال : أوعب أبو محمد بن عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال

من فصحاء العرب فقال :

(١) الجنادع : أوائل الشر . عتا : طعا وزاد .

(٢) الألية : اليمين والحلف . الإفتاد : الكذب .

(٣) برا ، أي برأ وخلق .

(٤) المبادل : جمع مذل ، وهو الثوب الذي تبذل فيه .

(٥) الصادي : العطشان .

تَمَّ الكتاب وصار في العَرَض عشرين جزءاً كلها ترضي
كملت بلا لحن ولا خَطَل في الشَّكل والإعجام والقرض
والحمل حتى صَحَّ ناقله بعضُ من العلماء غن بعض

تم تهذيب سيرة ابن هشام في ليلة الخميس ، وهي الليلة الأولى من شهر
رمضان سنة ١٣٧٤ هـ .
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات .

وكتب

عبد السلام محمد هارون

١ - فهرس السير والمغازي

٤١	قصة بحيرا	١٧	سرد النسب الزكي
٤٣	حرب الفجار	١٨	سياقة النسب من ولد إسماعيل
٤٣	تزويج خديجة	١٨	رؤيا ربيعة بن نصر
٤٥	حديث ورقة بن نوفل		استيلاء أبي كرب تبان أسعد
٤٥	بنيان الكعبة	٢١	على ملك اليمن
٤٧	إخبار الكهان والأخبار والرهبان	٢٤	غلبة الحبشة على اليمن
٤٨	صفة رسول الله ﷺ	٢٥	نزاع أرياط وأبرهة
٤٩	صفته من الإنجيل	٢٦	قصة أصحاب القيل
٤٩	البعث	٣٠	ذكر ولد نزار بن معد
٥٣	ابتداء تنزيل القرآن	٣٠	أولاد عبد المطلب بن هاشم
٥٣	إسلام خديجة	٣١	والدا رسول الله
٥٣	فترة الوحي	٣١	حفر زمزم
٥٤	أول الناس إسلاما	٣٣	نذر عبد المطلب ذبح ولده
٥٧	الجهنم بالدعوة		ذكر ما قيل لآمنة عند حملها
٦٠	قول الوليد بن المغيرة في القرآن	٣٦	بالرسول
٦١	ذكر ما لقي رسول الله من قومه	٣٦	ولادة رسول الله ﷺ
٦٢	إسلام حمزة	٣٧	حديث حليلة
٦٣	قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله	٣٩	حديث شق الصدر
	ما دار بين رسول الله وبين	٤٠	كفالة جده له
٦٥	رؤساء قريش	٤١	« عمه له

١٠٨ نزول الأمر بالقتال
 ١٠٩ الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة
 ١١٠ هجرة الرسول
 ١١٨ قدوم قباء
 ١١٦ قدوم المدينة
 ١٢٢ الخطب والعهود بالمدينة
 المؤاخاة بين المهاجرين
 ١٢٦ والأنصار
 ١٢٧ خبر الأذان
 ذكر من اعتل من أصحاب
 رسول الله
 ١٢٩ تاريخ الهجرة
 ١٣٠ أول الغزوات
 ١٣٠ سرية عبيدة بن الحارث
 ١٣١ سرية حمزة إلى سيف البحر
 ١٣١ غزوة بواط
 ١٣١ غزوة العشيرة
 ١٣٢ سرية سعد بن أبي وقاص
 ١٣٢ غزوة بدر الأولى
 ١٣٢ سرية عبد الله بن جحش
 ١٣٥ صرف القبلة إلى الكعبة
 ١٣٥ غزوة بدر الكبرى
 ١٥٣ غزوة بني سليم بالكدر
 ١٥٣ غزوة السويق
 ١٥٤ غزوة ذي أمر
 ١٥٤ غزوة الفرع من بحران
 ١٥٥ أمر بني قينقاع

٦٨ صنع أبي جهل
 ٦٩ خبر النضر بن الحارث
 ذكر عدوان المشركين على
 المستضعفين
 ٧٠ الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
 ٧٢ إرسال قريش إلى الحبشة في
 طلب المهاجرين إليها
 ٧٣ إسلام عمر بن الخطاب
 ٧٧ خبر الصحيفة
 ٨٠ ذكر ما لقي الرسول من قومه
 من الأذى
 ٨١ عودة مهاجرة الحبشة
 ٨٦ حديث نقض الصحيفة
 ٨٦ أمر الإراشي الذي باع أبا جهل
 إبله
 ٨٨ حديث الإسراء
 ٨٩ قصة المعراج
 ٩٢ وفاة أبي طالب وخديجة
 ٩٤ سعي الرسول إلى ثقيف يطلب
 النصرة
 ٩٦ أمر جن نصيبين
 ٩٨ عرض رسول الله نفسه على
 القبائل
 ٩٩ بدء إسلام الأنصار
 ١٠١ بيعة العقبة الأولى
 ١٠٢ بيعة العقبة الثانية
 ١٠٣ شروط بيعة العقبة الأخيرة
 ١٠٨

عمره رسول الله من الجعرانة ،	سرية زيد بن حارثة إلى القردة ١٥٦
٢٧٩ سنة ثمان	غزوة أحد ١٥٦
٢٨٠ أمر كعب بن زهير	يوم الرجيع ، في سنة ثلاث ١٧٣
٢٨٥ غزوة تبوك ، سنة تسع	حديث بئر معونة ، في سنة أربع ١٧٨
بعث رسول الله ﷺ	إجلاء بني النضير ، في سنة أربع ١٨٠
٢٩٢ خالد بن الوليد إلى أكميدر دومة	غزوة ذات الرقاع في سنة أربع ١٨٣
٢٩٥ أمر وفد ثقيف وإسلامها	غزوة بدر الآخرة ، في سنة أربع ١٨٦
٢٩٩ سنة الوفود ونزول سورة الفتح	غزوة دومة الجندل ، في سنة خمس ١٨٨
٣٠٠ قدوم وفد بني تميم	غزوة الخندق ، في سنة خمس ١٨٨
قصة عامر بن الطفيل وأربد بن	غزوة بني قريظة ، في سنة خمس ١٩٨
قيس في الوفاة عن بني عامر ٣٠٥	غزوة بني لحيان ٢٠٧
قدوم الجارود في وفد عبد القيس ٣٠٧	غزوة ذي قرد ٢٠٨
قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة	غزوة بني المصطلق ، في سنة ست ٢١٠
٣٠٨ الكذاب	خبر الإفك ٢١٤
٣٠٩ أمر عدي بن حاتم	أمر الحديبية ٢٢٠
٣١٢ قدوم فروة بن مسيك المرادي	بيعة الرضوان ٢٢٥
قدوم عمرو بن معد يكرب في	أمر الهدنة ٢٢٦
٣١٣ أناس من زييد	ذكر المسير إلى خيبر ، سنة سبع ٢٢٩
قدوم الأشعث بن قيس في	قدوم جعفر والمهاجرين من
٣١٥ وفد كندة	الحبيشة ٢٣٥
٣١٦ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي	عمره القضاء ، سنة سبع ٢٣٧
٣١٧ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	غزوة مؤتة ، سنة ثمان ٢٣٨
وصية الرسول معاذاً حين بعثه	فتح مكة ، سنة ثمان ٢٤٣
٣١٩ إلى اليمن	غزوة حنين ، سنة ثمان ٢٦١
٣٢٠ إسلام بني الحارث بن كعب	غزوة الطائف سنة ثمان ٢٧٠
ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي	أمر أموال هوازن وسبائها
٣٢٣ والأسود العنسي	وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ٢٧٤

٣٢٩ آخر البعوت
 ٣٣٠ ابتداء شكوى رسول الله
 ٣٣١ ذكر أزواجه أمهات المؤمنين
 ٣٣٦ عدنا إلى ذكر شكوى الرسول
 صلاة أبي بكر رضي الله عنه
 ٣٣٩ بالناس
 ٣٤٣ أمر سقيفة بني ساعدة
 ٣٤٩ جهاز رسول الله ﷺ ودفنه
 مراثي حسان بن ثابت لرسول
 ٣٥٢ الله ﷺ

خروج الأمراء والعمال على
 ٣٢٤ الصدقات
 كتاب مسيلمة إلى رسول الله
 ٣٢٤ والجواب عنه
 ٣٢٥ حجة الوداع
بعث أسامة بن زيد إلى أرض
 ٣٢٧ فلسطين
 خروج رسل رسول الله إلى
 ٣٢٧ الملوك

٢ - فهرس الأعلام

أ

- آدم عليه السلام ٣١ ، ٩٢ ، ٢٥٨ .
آزر ١٧ .
آكل المزار ٣١٦ .
آمنة بنت وهب ٣١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٣٥٦ .
أبان بن سعيد بن العاص ٢٢٥ .
إبراهيم عليه السلام ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٩٠-٩١ ، ٩٤ ، ١٨٩ ، ٢٤٩ .
٢٥٨ .
إبراهيم القاسم ، ابن الرسول ٤٤ ، ٣٣١ .
إبراهيم بن محمد بن علي ٤٨ .
أبرهة الأشرم ٢٥ ، ٢٩ .
إبليس ١١١ ، ١٣٨ .
أبي بن خلف ، أبو عامر ٨٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .
ابن أبي بن سلول = عبدالله .
أبي بن كعب ١٢٧ .
الأجدع بن مالك ٣١٣ .
أحمد رسول الله ١٢٨ ، ١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ .
أبو أحمد بن جحش = عبد بن جحش .
أحمر ، أو أحмир ، من بني المصطلق ٢١٣ .
أحمر بن الحارث بن مالك ٢٦٢ .

- الأخنس بن شريق الثقفي ٧٣ .
أخنوخ = إدريس .
أدد بن مقوم ١٨ .
إدريس عليه السلام ١٧ .
أذبل بن إسماعيل ١٨ .
أذر بن إسماعيل ١٨ .
الإراشي ٨٨ ، ٨٩ ، ٣٠٦ .
أربد بن قيس ٣٠٥ - ٣٠٦ .
أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم ١٦٠ .
أرفخشذ بن سام ١٧ .
الأرقم بن أبي الأرقم ٥٦ .
إرم بن ذي يزن ١٩ .
أروى بنت عبد المطلب ٣١ .
أزب العقبة (شيطان) ١٠٦ .
ابن أزيب (شيطان) ١٠٦ .
أسامة بن زيد بن حارثة ١٥٩ ، ٢١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ .
أسد بن خزيمه ٣٠ .
أسد بن فهر ٣٠ .
أسدة بن خزيمه ٣٠ .
أسعد بن زرارة ١٠٢ .
إسفنديار ٦٩ ، ٨٣ .
أسلم ، غلام بني الحجاج ١٤١ .
أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاق ٥٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ٢٥٤ .
أسماء بنت سلامة ٥٦ .
أسماء بنت عميس الخثعمية ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ .
أسماء بنت الخثعمية ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ .
أسماء بنت النعمان الكندية ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

- إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٠٠ .
 إسماعيل (ملك من الملائكة) ٩٢ .
 الأسود بن رزن ٢٤٣ .
 الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١٤٥ .
 الأسود والد قارب = الأسود بن مسعود .
 الأسود بن كعب العنسي ٣٢٤ .
 الأسود بن مسعود بن معتب ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
 الأسود بن المطلب ٦٥ ، ٨٤ ، ١٤٩ .
 الأسود بن مفصود ٢٧ .
 الأسود بن نوفل بن خويلد ٢٣٦ .
 أسيد ٢٥٨ .
 أسد بن حضير ١٧٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٣٤٣ .
 أسيد بن ظهير ١٥٩ ، ٢٠٩ .
 أسيرة بن أبي خارجة ، أبو سليط ١٢٠ .
 الأشعث بن قيس ٣١٥ .
 أشعر بن نبت بن أدد ١٨ .
 ابن الأصداء الهذلي ٨٥ .
 أصيرم بني عبد الأشهل = عمرو بن ثابت .
 الأعمى = ابن أم مكتوم .
 الأقوع بن حابس التميمي ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ .
 ابن أبي الأفلح = عاصم بن ثابت .
 ابن الأكوع = سلمة بن عمرو ٢٠٨ .
 أكيدر دومة ، ابن عبد الملك ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
 ابن أكيمة الليثي ٢٩٤ .
 أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
 أميمة بنت عبد المطلب ٣١ .
 أمين الله ، ﷺ ٢٦١ .

- أمينة بنت خلف بن أسعد ٥٦ - ٥٤ ، ٢٣٦ .
 أبو أمية = صفوان بن أمية
 أمية بن خلف بن وهب ، أبو علي ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ١٣٨ .
 ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٧٥ .
 أبو أمية بن المغيرة ٤٧ .
 أندرائس ٣٢٩ .
 أنس بن مالك ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ .
 أنسة ، مولى رسول الله ١٣٨
 أنمار بن نزار ٣٠ .
 أنيس سائس الفيل ٢٧ ، ٢٨ .
 أوبار ٢٠٩ .
 أوس بن ثابت بن المنذر ١٢٧ .
 أوس بن حجر ١١٨ .
 أوس بن خولي ٣٤٩ .
 أوس بن عوف ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
 أوس بن قيطي ١٩٢ ، ٢٠٤ .
 إياد بن معد ١٨ .
 إلياس بن البكير ٥٧ .
 أم أيوب ٩٩ .
 أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .
 أيوب بن بشير ٣٣٦ .
 أيوب بن عبد الرحمن ٢٠٣ .

ب

- بادية بنت غيلان ٢٧٢ .
 بجاد ٢٦٩ .
 بجير بن زهير بن أبي سلمى ٢٧٣ .
 بحيرا الراهب ٤١ - ٤٣ .

- أبو البخترى بن هشام ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٤١ ، ١٤٧ .
- بديل بن ورقاء الخزاعي ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ .
- أبو براء = عامر بن الطفيل ، عامر بن مالك .
- البراء بن عازب ١٥٩ .
- البراء بن معرور ١٠٤-١٠٦ .
- البراق (الدابة) ٩٠ .
- برزة بنت مسعود الثقفية ١٥٧ .
- أبو برزة الأسلمي ٢٥٦ .
- البرقليطس ، اسم الرسول بالرومية ٤٩ .
- برة بنت عبد العزى ٣١ .
- برة بنت عبد المطلب ، أم أبي سلمة ٣١ ، ٨٦ .
- بريرة مولاة عائشة ٢١٨ .
- بسبس بن عمرو الجهني ١٣٩ ، ١٤١ .
- بشر بن البراء بن معرور ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
- بشر بن سفيان الكعبي ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- بشير بن عبد المنذر ١٥٤ .
- بطرس الحواري ٣٢٩ .
- البكائي شيخ ابن هشام ١٨ .
- بنت أبي بكر = عائشة .
- أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، عتيق ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ - ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ - ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .
- أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ٣٤٠ .
- أبو بكر الهذلي ٣٢٧ .

البكير بن عبد يا ليل ٥٧ .
 بلال مولى أبي بكر = بلال بن رباح .
 بلال بن رباح مولى أبي بكر ٧٠ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٨٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
 ٢٥٨ ، ٣٣٩ .
 بولس ٢٢٩ .
 بيحرة بن فراس ١٠٠ ، ٢٦٦ ، ٢٥١ .
 البيضاء (بغلة الرسول) ٢٨٤ ، ٣٠٢ .

ت

تارح = آزر .
 تبان أسعد ٢١ .
 تبع = تبان أسعد .
 تميم بن أسد .
 توماس ٣٢٩ .
 تيرح بن يعرب ١٨ .
 تيم بن غالب ٣٠ .
 تيم بن مرة ٣٠ .

ث

ثابت بن اقرم ٢٤١ .
 ثابت بن قيس بن الشماس ٢١٣ ، ٣٠١ ، ٣٣٣ .
 الثعلب (بعير) ٢٢٥ .
 ثعلبة بن سعية ٣٠٤ .

ابن ثلماء ٣٢٩ .
 ثمامة بن أثال ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 ثور بن يزيد ٣٩ .

ج

- أبو جابر = عبد الله بن عمرو بن حرام .
- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ١٧١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ .
- الجارود بن عمرو بن حنش ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
- جارية بني مؤمل ٧١ .
- جبار بن سلمى ٣٠٤ .
- جبريل عليه السلام ٥٠ - ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٦١ .
- جبله بن الحنبل ٢٦٥ .
- جبير بن مطعم بن عدي ١٠٨ ، ١٦٠ ، ١٦٧ .
- الجد بن قيس ٢٢٦ ، ٢٨٦ .
- جعفر بن أبي طالب الطيار ، ذو الجناحين ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٧٥ - ٧٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ .
- الجلال بن طلحة ١٦٢ .
- ابنا الجلندي ٣٢٨ .
- أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ٨٢ .
- أبو جندل بن سهيل بن عمرو ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
- جهجاه بن مسعود الغفاري ٢١٠ .
- أبو جهل ، أبو الحكم عمرو بن هشام ، ابن الحنظلية ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٨٧ .
- جهم بن عمرو بن الحارث ٣٣٤ .
- جهم بن قيس ٢٣٦ .
- جوبرية بنت الحارث بن أبي ضرار ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ .
- جيفر بن الجلندي ٣٧٥ .

ح

- حابس والد الأقرع ٢٣٨ .
- حاتم الطائي ٣١٠ .
- بنت حاتم = سفانة .
- بنت الحارث (كيسه) ٢٠٢ .
- الحارث بن الحارث بن كلدة ٢٧٧ .
- الحارث بن حرب بن أمية ١٠٧ .
- الحارث بن خالد بن صخر ٢٣٦ .
- الحارث بن ربيعي ، أبو قتادة ٢٠٩ ، ٢٦٧ .
- الحارث بن زمعة ١٤٩ .
- الحارث بن أبي شمر ٢٧٤ ، ٣٢٨ .
- الحارث بن الصمة ١٦٤ ، ١٧٩ .
- الحارث بن أبي ضرار ٢١٠ ، ٣٣٣ .
- الحارث بن عامر بن نوفل ١٤١ .
- الحارث بن عبد قيس ٢٣٦ .
- الحارث بن عبد كلال ٣١٧ .
- الحارث بن عبد المطلب ٣٠ ، ٣١ .
- الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ١٨٩ ، ١٩٢ .
- الحارث بن فهر ٣٠ .
- الحارث بن كلدة ٢٧٣ ، ٢٧٧ .
- الحارث بن مالك ٢٦٤ .
- الحارث بن هشام بن المغيرة ١٥٧ ، ٢٥٩ .
- حاطب بن أبي بلتعة ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٢٨ .
- حاطب بن الحارث ٥٦ .
- حاطب بن عمرو ٥٦ .
- أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس . ٢٣٦ ، ٣٣٢ .
- الحباب بن المنذر ١٤٣ ..

- الحبحاب بن يزيد ٣٠٠ .
- حبیب بن إساف ١١٩ .
- حبیب بن عمرو بن عمیر ٩٧ .
- حبیب بن عینة بن حصن ٢٠٩ .
- أم حبیبة رملة بنت أبي سفیان ٢٤٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ .
- حجل بن عبد المطلب ٣١ .
- حجیر بن أبي إهاب ١٧٥ .
- ابن أبي حدر = عبد الله .
- أبو حذيفة بن عتبة ٥٦ ، ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٤٧ .
- حذيفة بن الیمان ، أبو عبد الله ١٢٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
- حرام بن ملحان ١٧٩ .
- ابن حرب = أبو سفیان ١٧١ .
- حرب بن أمية .
- حسان بن تیان أسعد ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ .
- حسان أخو أكيدر دومة ٢٩٢ .
- حسان بن ثابت الأنصاري ٣٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
- الحسن البصري ٩٠ ، ٢٠٦ .
- حسن بن علي بن أبي طالب ٢٤٧ .
- حسین بن عبد الله ٣٤٩ .
- حصن ، والد عينة ٢٧٨ .
- الحصین بن عبد الرحمن ١٦٦ .
- ابن الحضرمي = عمرو .
- خطاب بن الحارث ٥٦ .
- أبو حفص = عمر بن الخطاب .
- حفصة بنت عمر بن الخطاب ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
- الحکم بن أبي العاص ٨٥ .

- الحكم بن عمرو بن وهب ٢٩٦ .
- الحكم بن كيسان ١٣٣ ، ١٣٤ .
- أبو الحكم بن هشام = أبو جهل .
- أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ٣١ .
- أم حكيم بنت الحارث بن هشام ١٥٧ ، ٢٥٦ .
- حكيم بن حزام بن خويلد ٥٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٧ .
- أبو حكيمة = زمعة بن الأسود ١٤٩ .
- الحليس بن زبان ١٦٧ ، ٢٢٣ .
- حليمة بنت أبي ذؤيب ٣٧ - ٣٨ .
- حمالة الحطب = أم جميل .
- حمامة ، أم بلال ٧٠ .
- حمزة بن عبد الله بن عمر ٣٣٩ .
- حمزة بن عبد المطلب ، هاشم ، أسد الله ، أبو عمارة ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٤٣ .
- حنة بنت جحش ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .
- حناطة الحميري ٢٧ .
- أبو حنظلة = أبو سفيان ٢٥١ .
- حنظلة بن أبي عامر ، الغسيل ١٦٢ .
- ابن الحنظلية = أبو جهل ١٤٤ .
- الحويرث بن نقيذ ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
- حويط بن عبد العزى ٣٧٧ .
- الحيسمان بن عبد الله ١٤٩ .
- حي بن أخطب النضري ١٥٣ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .

خ

- بنت خارجة ٣٤١ .
- خارجة بن زهير ١٢٧ .

- خارجة بن زيد ١١٩ ، ١٢٠ .
- خالد بن البكير ٥٦ ، ١٧٤ .
- خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ١٢١ ، ١٢٧ ، ٢٣٤ .
- خالد بن سعيد بن العاص ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ .
- خالد بن معدان الكلاعي ٣٩ .
- خالد بن الوليد ١٥٩ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٢٠ - ٣٢١ .
- خباب بن الأرت ٥٦ ، ٧٨ - ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ .
- خبيب بن عدي ١٧٤ - ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ .
- خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ٤٣ ، ٤٥ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٥ ، ٩٤ ، ١٥١ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
- خراش بن أمية الخزاعي ٢٢٤ .
- خزيمة بن مدركة ٣٠ .
- الخضراء (اسم كتيبة الرسول) ٢٥٣ .
- ابن الخطاب = عمر .
- ابن خطل = عبدالله .
- خلاد بن سويد ٢٠٦ .
- خنيس بن حذافة السهمي ٥٦ ، ٣٣٢ .
- خوات بن جبير ١٩١ .
- خويلد بن أسد ٤٤ ، ٣٣١ .
- خويلة بنت حكيم السلمية ٢٧٢ .
- أبو خيثمة ٢٨٧ - ٢٨٩ .

د

- داعس الخزرجي ١٨١ .
- داود عليه السلام ٢٧٣ ، ٣٨٣ .
- بو دجانة = سمالك بن خرشة .
- دحية بن خليفة الكلبي ٢٣١ ، ٣٢٨ .

أبو الدرداء ١٢٧ .

دريد بن الصمة ٢٦٢ ، ١٦٣ .

دما بن إسماعيل ١٨ .

دوس ذو ثعلبان ٢٤ .

ذ

ذات النطاق ، أسماء بنت أبي بكر ١١٥ .

أبو ذر الغفاري ١٢٧ ، ١٨٤ ، ٢٩١ .

ذو الجناحين = جعفر بن أبي طالب .

ذو الخمار = سبيع بن الحارث ، عوف بن الربيع .

ذو رعين الحميري ٢٣ .

ذو الغصة = قيس بن الخصين .

ذو نفر ٢٦ ، ٢٧ .

ذو نواس = زرعة .

ذو وزن ٢٠ .

ابنة أبي ذؤيب = حليلة .

ذؤيب بن الأسود بن رزن ٢٤٣ .

ر

راعو بن فالخ ١٧ .

رافع ، أحد الموالى ٢٤٥ .

أبو رافع مولى رسول الله ٢٣٨ .

رافع بن خديج ١٥٩ .

رافع بن مالك .

الربيع بن أبي الحقيق ١٨٢ .

ابنا ربيعة = شيبعة وعتبة .

ربيعة بن الحارث ٣١٦ .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٣٢٦ .

ربيعة بن عباد ٩٩ .

- ربيعة بن نزار ٣٠ .
- ربيعة بن نصر ١٨ ، ٢١ .
- الرحمن ، لقب مسيلمة ٦٧ .
- ابن الرداء (جمل) ١١٨ .
- رستم الشيد ٦٩ ، ٨٣ .
- أبو رغال ٢٧ .
- رفاعة بن زيد بن التابوت ٢١٢ .
- رفاعة بن سموأل القرظي ٢٠٣ .
- رفيدة الأسلمية ٢٠١ .
- رقية بنت رسول الله ٤٤ ، ٧٢ .
- رقية بنت أبي سلمة ٣٣٢ .
- رملة بنت أبي سفيان = أم حبيبة .
- رملة بنت أبي عوف ٥٦ .
- الرميصاء = أم سليم بنت ملحان .
- أبو رهم بن عبد العزى ٤٣٤ .
- أبو رهم الغفاري = كلثوم بن الحصين .
- ابن رواحة = عبد الله .
- الروح ، وروح القدس = جبريل ٢٦١ .
- أبو رويحة ١٢٧ .
- ريحانة بنت عمرو بن خناقة ٢٠٤ .
- ريطة بنت منبه بن الحجاج ١٥٧ .

ز

- الزبرقان بن بدر التميمي ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢٤ .
- ابن الزبيري = عبد الله .
- الزبير بن عبد المطلب ٣١ .
- الزبير بن العوام ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،
- ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ .

- زرعة ذو نواس ٢٤ .
- زرعة ذو وزن ٣١٧ ، ٣١٩ .
- زعة بن الأسود بن المطلب ، أبو حكيمة ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،
زنيرة ٧١ .
- زهرة بن كلاب ٣٠ .
- الزهرى = محمد بن مسلم .
- زهير بن أبي أمية بن المغيرة ٨٧ ، ٨٨ .
- زهير بن أبي سلمى ١١١ .
- زهير أبو صرد ٢٧٤ .
- زياد بن السكن ١٦٣ .
- زياد بن لبيد ١٢٠ ، ٣٢٤ .
- زيد بن أرقم ٢١٠ - ٢١٢ .
- أبو زيد الأنصاري ٣٥٢ .
- زيد بن ثابت ١٥٩ .
- زيد بن حارثة ٥٥ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٣٢ .
- زيد بن الدثنة ١٧٥ .
- زيد بن سهل ، أبو طلحة ٢٣٠ ، ٢٦٧ ، ٣٥٠ .
- زيد بن كلاب = قصي بن كلاب .
- زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٩٠ .
- زينب بنت رسول الله ٤٤ ، ١٥٠ .
- زينب بنت جحش ٢١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
- زينب بنت الحارث ٢٣٣ .
- زينب بنت خزيمة ، أم المساكين ٣٣٤ .
- زينب بنت أبي سلمة ٣٣٢ .
- زينب بنت أبي هالة ٣٣١ .

- سابور بن خرزاد ٢١ .
- سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
- ساروغ بن راعو ١٧ .
- سالم بن عمير ٢٨٧ .
- سام بن نوح ١٧ .
- سامة بن لؤي ٣٠ .
- السائب بن عثمان بن مظعون ٥٦ .
- سباع بن عبد العزى الغبشاني ، أبو نيار ١٦١ ،
- أبو سبرة بن أبي رهم ٧٢ .
- سبيع بن الحارث ، ذو الخمار ٢٦٢ ، ٢٦٨ .
- سراقة بن مالك ، بن جعشم ١١٦ - ١١٧ ، ١٣٨ .
- سطيح ١٩ - ٢٠ .
- سعاد ٢٨٢ ، ٢٨٥ .
- سعد بن خيثمة ١١٩ .
- سعد بن الربيع ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٦٨ .
- سعد بن زيد الأنصاري ٢٠٩ .
- أبو سعد بن أبي طلحة ١٦٢ .
- سعد بن عباد بن دليم ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ،
- ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
- سعد بن معاذ بن النعمان ، أبو عمرو ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٧٠ ، ١٩١ -
- ١٩٢ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٩٣ .
- سعد بن أبي وقاص ٥٦ - ٥٧ ، ١٣١ - ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٦٤ ، ٢٢٨ .
- سعيد بن جبير ٧٢ .
- سعيد بن حريث المخزومي ٢٥٦ .
- سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
- أبو سعيد الخدري ٩٢ ، ١٦٣ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ .

- أبو أبي سعيد الخدرى = مالك بن سنان .
- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٥٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٢٧ ، ٢٠٣ ، ٣٢٠ .
- سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ١٨٦ .
- سعيد بن عبيد ٢٧٢ .
- سعيد بن المسيب ٩١ .
- سعيد بن المعلى ٣٣٧ .
- سعيد بن يربوع بن عنكثة ٢٧٧ .
- سفانة بنت حاتم ٣١٠ ، ٣١١ .
- أبو سفيان بن الحارث ٢٥٠ ، ٢٦٧ .
- أبو سفيان بن حرب ، أبو حنظلة ٦٥ ، ٩٥ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ -
- ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧١ ،
- ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٢٥ ،
- ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ -
- ٢٩٨ ، ٣٣٢ .
- السكران بن عمرو ٣٣٢ .
- سلافة بنت سعد بن شهيد ١٦٢ ، ١٧٤ .
- سلام بن أبي الحقيق النضري ١٨٢ ، ١٨٨ .
- سلام بن مشكم ١٥٣ ، ٣٣٢ .
- سلمان الفارسي ١٢٧ .
- أبو سلمة = عامر بن ربيعة .
- أبو سلمة = عبد الله بن عبد الأسد ..
- أم أبي سلمة = برة .
- سلمة بن الأكوع = سلمة بن عمرو .
- أم سلمة هند بنت أبي أمية ، زوج الرسول ٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
- ٣٣٥ ، ٣٣٨ .
- سلمة بن سلامة بن وقش ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ .
- سلمة بن أبي سلمة ٣٣٢ .

- أبو سلمة بن عبد الأسد ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٣٣٢ .
- أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٢٢ .
- سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ٢٠٩ ، ٢٣٢ .
- سلمة بن نعيم بن مسعود ٣٢٥ .
- سلمى بن الأسود بن رزن ٢٤٤ .
- سلمى بنت عمرو ، أم عبد المطلب ١٢٠ .
- سلمى بنت قيس ٢٠٣ .
- أبو سليط = أسيرة بن خارجة .
- سليط بن عمرو ٥٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ .
- سليط بن قيس ١٣٠ .
- أم سليم بنت ملحان ، الرميضاء ٢٣٤ ، ٢٦٧ .
- سماك بن خرشة ، أبو دجاجة ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٢ .
- سمرة بن جندب ١٥٩ .
- أبو سنان الأسدي
- أبو سنان بن محصن بن حرثان ٢٠٧ .
- سنان بن وبر الجهني ٢١٠ .
- سهل بن حنيف ١٧٠ ، ١٨٢ .
- سهل بن عمرو ١٢٠ .
- سهلة بنت سهيل ٧٢ .
- السهمي ٢٧٧ .
- سهيل بن بيضاء ٧٢ .
- سهيل بن عمرو ١٢٠ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٥٢ .
- سودة بنت زمعة بن قيس ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ .
- سويد الخزرجي ١٨١ .
- سويد بن صامت ١٠١ .
- سيمن ٣٢٩ .

ش

- شالغ بن أرفخشذ ١٧ .
شجاع بن وهب الأسدي ٣٢٨ .
شداد بن الأسود ، ابن شعوب ١٦٢ .
شداد بن عبد الله القناني ٣٢١ .
شرحبيل بن غيلان بن سلمة ٢٩٦ .
أم شريك = غزية .
الشعبي ٢٣٥ .
شعشاء .
ابن شعوب = شداد بن الأسود .
شق ١٩ ، ٢٠ .
شقران ، مولى الرسول ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٤٥١ .
ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم .
شبية بن ربيعة ٦٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ .
شبية بن عثمان ٢٦٥ .
شيث بن آدم ١٧ .
الشيخ النجدي ١١١ .
الشيما بن الحارث بن عبد العزى ٢٦٩ :

ص

- الصديق أبو بكر ٩١ .
أبو صرد = زهير .
صرد بن عبد الله الأزدي ٣١٦ ، ٣١٧ .
صفوان بن أمية ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ .
صفوان بن المعطل السلمي ٢١٥ .
صفية بنت حيي بن أخطب ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ .
صفية بنت شيبة ٢٥٧ .
صفية بنت عبد المطلب ١٦٨ ، ١٦٩ .

صهيب بن سنان الرومي ٥٧ .

صيفي بن أبي رفاعة ١٥٢ .

ض

ضرار بن الخطاب الشاعر .

ضرار بن عبد المطلب .

ضمضم بن عمرو الغفاري ١٣٥ ، ١٣٧ .

ط

طابحة بن الياس ٣٠ .

أبو طالب بن عبد المطلب ٣١ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٧٢ ،

٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ .

الطاهر والطيب ، ولد رسول الله ٤٤ .

طعيمة بن عدي بن نوفل ١٤١ .

أبو طلحة = زيد بن سهل .

طلحة بن عبيد الله ٥٦ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ٢٠٨ ، ٣٤٣ .

طيما بن إسماعيل ١٨ .

عاتكة بنت عبد المطلب ٣١ ، ٨٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ١٥٠ - ١٥١ .

العاص بن وائل السهمي ٨٤ .

عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤ .

عاصم بن عمر بن قتادة ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

العاصي بن هشام بن المغيرة ١٣٨ .

العاصي بن وائل ٦٥ ، ٨٢ .

عاقل بن البكير ٥٧ .

أبو عامر = أبي بن خلف ، كما في إمتاع الأسماع ١ : ١٢٩ .

أبو عامر الأشعري ٢٦٨ .

عامر بن البكير ٥٦ .

عامر بن الحضمي ١٤٥ .

عامر بن ربيعة أبو سلمة ٥٦ ، ٧٢ ، ١١٠ .
 عامر بن الطفيل ، أبو براء ١٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 عامر بن فهيرة ٥٦ ، ٧١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
 عامر بن لؤي ٣٠ .
 عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء ملاعب الأسنة ١٨٠ .
 عامر بن أبي وقاص .
 عائشة أم المؤمنين ٥٠ ، ٥٦ ، ١١٣ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ -
 ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٤٥٢ .
 عباد بن بشر بن وقش ١٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ .
 عباد بن عبدالله الزبير ٣٤٢ .
 عبادة بن الصامت ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٥٥ ، ٢١٠ .
 ابن عباس = عبدالله .
 عباس بن عبادة بن نضلة ١٠٦ ، ١٢٠ .
 العباس بن عبد المطلب ، أبو الفضل ٣٠ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٤٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
 عباس بن مرداس ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
 عباية بن مالك ٣٤٠ .
 عبد بن جحش ، أبو أحمد ٥٦ ، ١١٠ ، ٣٣٢ .
 عبد الدار بن قصي ٣٠ .
 عبد الرحمن بن عبد الله ٣٣٧ .
 عبد الرحمن بن عوف ٥٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٣٤٤ .
 عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ١١٨ .
 عبد الرحمن بن كعب ، أبو ليلى ٢٨٧ .
 عبد شمس بن عبد مناف ٣٠ .
 عبد العزى = أبو لهب .

- عبد العزى بن قصي ٣٠ .
- عبد قصي بن قصي ٣٠ .
- عبد الله ، محمد ﷺ ٨٩ .
- عبد الله بن أبي بن سلول ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٨٨ .
- عبد الله بن أرقط ١١٤ - ١١٨ .
- عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٦٥ ، ٢٥٠ .
- عبدالله بن أبي بكر ١١٤ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٩ .
- عبد الله بن الثامر ٢٤ .
- عبدالله بن ثعلبة .
- عبدالله بن جبير ١٥٩ .
- عبدالله بن جحش ٥٦ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٩ .
- عبدالله بن جدعان ٦٢ .
- عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ٢٣٥ .
- عبدالله بن عم جويرية ٣٣٣ .
- عبدالله بن الحارث بن نوفل ٣٥١ .
- عبدالله بن أبي حدرد ٢٦٤ .
- عبدالله بن حذافة السهمي ٣٢٨ .
- أبو عبدالله = حذيفة بن اليمان .
- عبدالله بن خطل ٢٥٦ .
- عبدالله بن أبي ربيعة ٧٣ - ٧٦ ، ٧٧ ، ١٥٦ .
- عبدالله بن رواحة ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ .
- عبدالله بن الزبيري ٢٨٠ .
- عبدالله بن زمعة بن الأسود ٣٣٩ .
- عبد الله بن زيد بن ثعلبة ١٢٨ ، ٣١٩ .
- عبدالله بن سعد ٢٥٥ .

- عبدالله بن سهيل بن عمرو ٢٢٧ .
- عبد الله بن شهاب الزهري ١٦٣ .
- عبدالله بن طارق ١٧٥ .
- عبدالله بن أبي طلحة ٢٦٧ .
- عبد الله بن عباس ٦٨ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٣٧ ،
٢٥٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ .
- عبد الله بن عبد الأسد . ١١٠ .
- عبدالله بن عبدالله بن أبي ٢١٢ .
- عبد الله بن عبد المطلب ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ .
- عبد الله بن عتيق بن عابد ٣٣١ .
- عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٥٨ .
- عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ١٠٤ .
- عبدالله بن عمرو بن العاص ٦١ .
- عبدالله بن عمرو المزني ٢٨٧ .
- عبد الله بن فراد الزياتي ٣٢٠ .
- عبد الله بن كعب بن عمرو ١٠١ ، ١٤٩ .
- عبد الله بن كعب بن مالك ٣٣٧ .
- عبد الله بن مسعود ٥٦ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
- عبدالله بن مظعون ٥٦ .
- عبد الله بن المغفل ٢٠٩ ، ٢٨٧ .
- أم عبد المطلب = سلمى بنت عمرو .
- عبد المطلب بن هاشم ، وهو شيبه ١٧ ، ٢٧ - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - ٣٦ ، ٤٠ .
- عبد الملك بن عبد الله الثقفي ٨٨ .
- عبد الملك عبيد الله ٥٠ .
- عبد مناف بن قضي ١٧ ، ٣٠ .
- عبد مناة بن كنانة ٣٠ .
- عبد ياليل بن عمرو بن عمير ٩٧ ، ٢٩٦ .

- العبيد (فرس) ٢٧٧ .
- عبيد بن زيد ، أبو عياش ٢٠٩ .
- عبيد بن عمير ٥٠ .
- عبيد الله بن جحش ٣٣٣ .
- عبيد الله عبد الله بن عتبة ٣٥١ .
- أبو عبيدة بن الجراح ٥٦ ، ١٢٧ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ .
- عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٥٦ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ٣٢٦ .
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ٢٣٨ ، ٣٥٢ .
- أم عبيس ٧١ .
- عتاب بن أسيد بن أبي العيص ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٣٥٢ .
- عتبان بن مالك ١١٩ ، ١٢٧ .
- عتبة بن ربيعة ، أبو الوليد ٦٣ - ٦٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٨٨ .
- عتبة بن غزوان ١٣٣ ، ١٣٥ .
- عتبة بن مسعود ٢٣٦ .
- عتبة بن أبي وقاص .
- عتودة غلام أبرهة ٢٥ .
- عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٣١ .
- عثمان بن أبي العاص ٢٩٦ ، ٣٣٩ .
- عثمان بن ربيعة بن أهبان ٢٩٧ .
- عثمان بن طلحة ٢٥٨ .
- عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ٢٦٨ .
- عثمان بن عبد الله بن المغيرة ١٣٣ ، ١٣٤ .
- عثمان بن عفان ٥٦ ، ٧٢ ، ٢٢٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٥١ .
- عثمان بن مظعون الجمحي ٥٦ ، ٧٢ .
- عداس النصراني ٩٨ .
- عدنان بن أدد ١٨ .

- عدي بن حاتم ٣١٠ - ٣١٢ .
- عدي بن حمراء الثقفي ٨٥ .
- عدي بن أبي الزغباء الجهني ١٣٩ ، ١٤١ .
- عدي بن كعب ٣٠ .
- عرباض بن سارية الفزاري ٢٨٧ .
- عروة بن أسماء ١٧٩ .
- عروة بن الزبير ١٠٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ .
- عروة بن مسعود الثقفي ٩٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- عروة بن الورد العبسي ١٨٢ .
- عريض ، أبو يسار ١٤١ .
- أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ١٥٢ ، ١٧٢ .
- عطارد بن حاجب بن زرارة ٣٠٠ ، ٣٠١ .
- عطية القرظي ٢٠٣ .
- العقاب (راية) ١٣٨ .
- عقبة بن الحارث بن عامر ١٧٥ .
- عقبة بن أبي معيط ٨٤ ، ٨٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ .
- عقبة بن نمر ٣١٩ .
- عقيل بن الأسود ١٤٩ .
- عقيل بن أبي طالب ٥٥ ، ٢٤٢ .
- عك بن عدنان ١٨ .
- عكرمة بن أبي جهل ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٥٦ .
- العلاء بن جارية الثقفي ٢٧٧ .
- العلاء بن الحضرمي ٣٢٤ .
- علبة بن زيد ٢٨٧ .
- أبو علي = أمية بن خلف .
- علي بن زيد بن جدعان ٢٨٥ .
- علي بن أبي طالب ، أبو الحسن ، أبو القصم ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٨ ، ١١٠ ،

١١٢ - ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،
٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ،
٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٦ ،
٣٤٩ - ٣٥١ .

علي بن مسعود .

أبو عمار الوائلي ١٨٨ .

عمار بن ياسر ٥٧ ، ٧١ ، ١٢٧ .

عمارة بن حزم ٢٩٠ .

أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب .

عمارة بن المغيرة ٥٩ .

عمارة بن الوليد ٥٩ ..

عمارة بن يزيد بن السكن ١٦٤ .

عمر بن الخطاب ، أبو حفص ٥٦ ، ٧١ ، ٧٧ - ٨٠ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٢٧ ،

١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ،

٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٥١ ،

٤٠٥ .

عمر بن أبي سلمة ٣٣٢ .

عمر بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٨٤ .

عمر بن مولى غفرة ٤٨ .

عمرة بنت علقمة الحارثية ١٦٣ .

عمرة بنت يزيد الكلابية ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

عمرو = أبو جهل .

أبو عمرو = سعد بن معاذ .

عمرو بن أمية الضمري ١٧٩ - ١٨٠ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ .

عمرو بن أمية بن وهب الثقفي ٢٧١ .

- عمرو بن الأهمم ٣٠٠ ، ٣٠٤ .
- عمرو بن تبان أسعد ٢٣ .
- عمرو بن ثابت بن وقش ، أصرم بني عبد الأشهل ١٦٦ .
- عمرو بن جحاش بن كعب ١٨١ .
- عمرو بن الجموح ١٦٦ .
- عمرو بن حزم ١٥٩ ، ٣٢٢ .
- عمرو بن الحضرمي ١٣٣ ، ١٤٥ .
- عمرو بن حمام بن الجموح ٢٨٧ .
- عمرو بن خويلد ٣٣١ .
- عمرو بن سالم الخزاعي ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
- عمزو بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
- عمرو بن طلة ٢١ .
- عمرو بن العاص بن وائل ٧٣ - ٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٥ ، ٣٢٨ .
- عمرو بن عبد الله الضبابي ٣٢١ .
- عمرو بن عبدود ١٤١ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ .
- أم عمرو صاحبة عروة بن الورد ١٨٢ .
- عمرو بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٨٤ .
- عمرو بن معد يكرب ٣١٣ - ٣١٥ .
- عمرو بن أم مكتوم ١٥١ .
- أبو عمير = فروة بن مسيك ٣٥٩ .
- عمير بن الحمام ١٣٨ .
- عمير بن أبي وقاص ٥٦ .
- عمير بن وهب الجمحي ١٤٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ .
- العنسي = الأسود بن كعب .
- العود (فرس) ١٦٥ .
- عوف بن الحارث ١٤٦ .
- عوف بن الربيع ، ذو الخمار .

- عوف بن لؤي ٣٠ .
 عويم بن ساعدة ١٢٧ ، ٣٤٧ .
 عياذ بن الجلندي ٣٢٨ .
 عياش بن أبي ربيعة المخزومي ٥٦ ، ١١٠ .
 أبو عياش = عبید بن زید .
 عیبر بن شالخ ٣ .
 عیسی بن مریم علیه السلام ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٧٦ ، ٩٠ - ٩٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 عیلان بن مضر ٣٠ .
 عیینة بن حصن بن بدر الفزاری ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ .

غ

- غالب بن فهر ١٩ ، ٣٠ .
 الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ٣٠٨ .
 غزوة بنت جابر ، أم شريك ٣٣٤ .
 الغفارية ٢٠٩ .
 غیلان بن سلمة ٢٧١ .

ف

- الفارعة بنت عقيل ٢٧٢ .
 فاطمة بنت رسول الله ١٧٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ .
 فاطمة بنت الخطاب ٥٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .
 فاطمة بنت المجلل ٥٦ .
 فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ١٥٧ .
 فالخ بن عیبر ١٧ .
 فرات بن حیان ١٥٦ .
 فرتنی القینة ٢٥٦ .
 فرعون ٩٣ .

- فروة بن عمرو ١٢٠ .
 فروة بن مسيك المرادي ، أبو عمير ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ .
 فضالة بن عمير الليثي ٢٥٩ .
 أبو الفضل = العباس بن عبد المطلب ٢٥٢ .
 الفضل بن عباس ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
 فكيهة بنت يسار ٥٦ .
 فهر بن مالك ٣٠ .
 فيلبس ٣٢٩ .

ق

- قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ٢٦٢ ، ٢٩٨ .
 أبو القاسم ، صلى الله عليه وسلم ٥٢ ، ٦٢ ، ١٨١ ، ١٩٩ .
 القاسم بن محمد ٣٤٠ .
 قبصة بن عمرو الهلالي ٣٣٤ .
 أبو قتادة = الحارث بن ربيعي .
 قثم بن العباس ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .
 أبو قحافة ، عثمان والد أبي بكر ٥٥ ، ٧١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٨ .
 قدامة بن مظعون ٥٦ .
 أبو القصم ، علي بن أبي طالب ١٦١ .
 قصي بن كلاب ١٧ ، ٣٠ ، ٦٦ ، ١١٠ .
 قضاعة بن معد ١٨ .
 قطبة بن قتادة ٢٤٠ .
 قمعة بن الياس ٣٠ .
 ابن قمئة الليثي ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ .
 قنص بن معد ١٨ .
 قيذر بن إسماعيل ١٨ .
 قيذم بن إسماعيل ١٨ .
 قيس بن الحارث ٣٠٠ .

- قيس بن الحصين ، ذو الغصة ٣٢١ .
 قيس بن عاصم ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤ .
 قيس بن مخزومة ٣٦ .
 قيس بن مكشوح المرادي ٣١٣ ، ٣١٤ .
 قيصر ملك الروم ٢٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٣٢٨ .
 قين بن يانش ١٧ .

ك

- كاهنة بني سعد هذيم ٣٣ .
 أبو كبشة مولى رسول الله ١٣٨ .
 كرز بن جابر الفهري ١٣٢ .
 كسرى ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٣٢٨ .
 كعب بن أسد القرظي ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .
 كعب بن زهير بن أبي سلمى ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ .
 كعب بن زيد ١٧٩ .
 كعب بن لؤي ٣٠ .
 كعب بن مالك ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٧ ، ١٦٤ ، ٢٣١ - ٢٧٠ ، ٢٨٧ .
 كلاب بن مرة ٣٠ .
 أم كلثوم بنت رسول الله ٤٤ .
 كلثوم بن الأسود بن رزن ٢٤٤ .
 كلثوم بن الحصين ، أبو رهم الغفاري ٢٤٩ ، ٢٩٤ .
 كلثوم بن هدم ١١٩ .
 كنانة بن أبي الحقيق النضري ١٨٨ .
 كنانة بن خزيمة ٣٠ .
 كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ١٨٢ ، ٢٣١ ، ٣٣٤ .
 كندية ٣٣٤ .
 كيسة بنت الحارث ٢٠٢ ح.

ل

- أبو لبابة بن عبد المنذر ١٣٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .
- لبيد بن ربيعة ٣٠٦ .
- لخنيعة ينوف ذو شناتر ٢٤ .
- لقمان ١٠١ .
- ابن لقيم العبسي ٢٣٥ .
- ملك بن متوشلخ ١٧ .
- أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب ٣١ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٣٧ .
- لوط ، عليه السلام ٢٣ .
- لؤي بن غالب ٣٠ .
- أبو ليل = عبد الرحمن بن كعب .
- ليلي بنت أبي حثمة ٧٢ ، ١١٠ .

م

- ماشي بن إسماعيل ١٨ .
- مالك بن ربيعة ٢٣٦ .
- مالك بن زافلة ٢٣٩ .
- مالك بن سنان ١٦٣ .
- مالك بن عباد ٢٤٣ .
- مالك بن عبادة ٣١٩ .
- مالك بن عمرو الأنصاري ١٥٨ .
- مالك بن عوف النصري ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
- مالك بن أبي قوقل ١٨١ .
- مالك بن كنانة ٣٠ .
- مالك بن مرة الرهاوي ٣١٧ ، ٣١٩ .
- مالك من بني المصطلق ٢١٣ .
- مالك بن النضر ٣٠ .
- مالك بن نويرة ٣٢٤ .

- المأمون ، محمد ﷺ ٢٨١ .
- ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ١٧٥ .
- متوشلخ بن أخنوع ١٧ .
- مجلي بن عمرو الجهني ١٣١ .
- محارب بن فهر ٣٠ .
- أبو محجن الثقفي ٢٧٦ .
- محرز بن نضلة ٢٠٩ .
- محرق ٢٧٣ .
- محمد ﷺ ...
- محمد بن إبراهيم بن الحارث ٣٤٠ .
- محمد بن جعفر بن الزبير ٣٣٧ .
- محمد بن كعب القرظي ١١٢ ، ١٩٦ .
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١٠٠ ، ٢٢٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ .
- ٣٣٦ ، ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٧ .
- محمد بن مسلمة ٢٣١ ، ٢٣٢ .
- محمود (فيل الحبشة) ٢٩ .
- محمود بن أسد ١٦٦ .
- محمود بن مسلمة ٢٢٨ ، ٢٣١ .
- محمية بن الجزء ٢٣٦ .
- محيصة بن مسعود ٢٣٣ .
- مخرمة بن نوفل الزهري ١٣٥ ، ٢٧٧ .
- مخشي بن عمرو الضمري .
- مخيريق اليهودي ١٦٥ .
- مدركة بن الياس ١٧ ، ٣٠ .
- مذمم (من تلقب بالمشركين) ١٠٦ .
- مرارة بن ربيع ٢٨٧ .
- مرثد بن أبي مرثد الغنوي ١٣٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ .

- مرحب اليهودي ٢٣٢ .
- مرة بن كعب ٣٠ .
- مريم العذراء البتول ٧٦ .
- مسافع بن طلحة ١٦٢ .
- أم المساكين = زينب بنت خزيمة .
- مسطح بن أثاثه ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
- أم مسطح بنت أبي رهم ٢١٩ ، ٢٢٠ .
- مسعر بن رخيلة ١٨٩ .
- أبو مسعود = عمرو بن عمير .
- مسعود بن عمرو بن عمير الغفاري ٩٧ ، ٢٧٠ .
- مسعود بن القاري ٥٦ .
- مسعود بن معتب ٢٧ .
- مسعود بن هنيذة ١١٨ .
- مسمع بن إسماعيل ١٨ .
- مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب ، الرحمن ٦٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ .
- المصطفى ﷺ ٣٥٥ .
- مصعب بن عمير ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ .
- مضر بن نزار ٣٠ .
- المطعم بن عدي ٥٩ ، ٨٧ .
- المطلب بن أزره ٥٦ .
- المطلب بن حنطب ١٥٤ .
- المطلب بن عبد مناف ٣٠ .
- معاذ بن جبل ١٢٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .
- معاذ بن عفراء ١٢٠ .
- معاوية بن أبي سفيان ١٧٦ ، ٢٧٧ .
- معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ١٧٢ .

- أم معبد ١١٦ .
 معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٧١ ، ١٨٧ .
 أبو معتب بن عمرو ٢٢٩ .
 معتب بن قشير ١٩٢ ، ٢٣٠ .
 معد بن عدنان ١٨ .
 المعراج (الدابة) ٩٢ .
 معمر بن الحارث ٥٦ .
 معمر بن عبد الله بن نضلة ٢٣٦ .
 معن بن عدي ٣٤٧ .
 المعتق ليموت = المنذر بن عمرو .
 معوذ بن الحارث ١٤٦ .
 معيقب بن أبي فاطمة ٢٣٦ .
 المغيرة بن شعبة ٢٢٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٥١ .
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٤ .
 المغيرة بن قصي = عبد مناف .
 المقداد بن عمرو ١٣٩ ، ٢٠٩ .
 مقسم أبو القاسم ٣٥١ .
 المقوقس ملك الإسكندرية ٣٢٨ .
 المقوم بن عبد المطلب ٣١ .
 مقوم بن ناحور ١٨ .
 مقيس بن صيابة ٢١٢ ، ٢٥٦ .
 ابن أم مكتوم الأعمى ٨٥ ، ١٧١ .
 مكحول غلام الرسول ٢٧٠ .
 مكرز بن حفص بن الأخيف ١٥٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ .
 ملاعب الأسنة = عامر بن مالك .
 ملكان بن كنانة ٣٠ .
 أبو مليح بن عروة ٢٩٨ .

- مليح الكندي ١٠٠ .
 منبه (الخزاعي) ٢٤٤ .
 منبه بن الحجاج ٦٥ ، ١٤١ .
 منبه بن عثمان بن عبيد ٢٠٦ .
 منثا ٣٢٩ .
 المنحمن ، اسم الرسول بالسريانية ٤٩ .
 المنذر بن ساوي العبدي ٣٢٨ .
 المنذر بن عمرو ، المعتق ليموت ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٩ .
 منصور بن عكرمة ٨٨ .
 المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ٣٢٤ .
 المهدي ، محمد ﷺ ٣٥٥ .
 مهليل بن قنين بن يانش ١٧ .
 موسى عليه السلام ٥٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٩ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ،
 ٢٨٨ ، ٣٤٢ .
 أبو موسى الأشعري ٢٣٦ ، ٢٦٨ .
 أبو مويهبة مولى الرسول ٣٣٠ .
 ميسرة غلام خديجة ٤٣ - ٤٥ .
 ميشا بن إسماعيل ١٨ .
 ميمونة بنت الحارث بن حزن ٢٣٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ .

ن

- نابت بن إسماعيل ١٨ .
 النابغة الذبياني ١١١ .
 ناحور بن تيرح ١٨ .
 ناحور بن ساروغ ١٧ .
 نافع بن بديل بن ورقاء ١٧٩ .
 نبش بن إسماعيل ١٨ .
 نبيه بن الحجاج ٦٥ ، ١٤١ .

النجاشي ملك الحبشة ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٢٦٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ .

النحام = نعيم بن عبد الله .

نزار بن معد ١٨ ، ٣٠ .

نسطاس مولى صفوان بن أمية ١٧٥ .

نسيبة بنت كعب ١٠٥ .

النضر بن الحارث بن كلدة ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١٤١ ، ١٤٩ .

النضر بن كنانة ٣٠ .

نضلة بن هاشم بن عبد مناف ٨٦ .

النعمان قيل ذي رعين ٣١٧ .

النعمان بن المنذر ١٨ ، ٢٧٤ .

نعيم بن عبد كلال ٣١٧ .

نعيم بن عبد الله ، النحام ٥٦ ، ٧٨ .

نعيم بن مسعود ١٩٤ - ١٩٦ ، ٣٢٥ .

نعيم بن يزيد ٣٠٠ .

نقيل بن حبيب الخثعمي ٢٦ ، ٢٩ .

نمير بن خرشة بن ربيعة ٢٩٦ .

نميلة بن عبد الله ٢٥٦ .

النهدية ٧١ .

نوح بن ملك ١٧ .

نوفل بن خويلد ١٤١ .

نوفل بن عبد الله بن المغيرة ١٣٣ ، ٢٠٦ .

نوفل بن عبد مناف ٣٠ .

نوفل بن معاوية الديلي ٢٤٤ .

أبو نيار = سباع بن عبد العزى .

هـ

هارون بن عمران عليه السلام ٩٣ ، ٢٨٨ .

- هاشم بن عبد مناف ١٧ ، ٣٠ .
 أبو هالة بن مالك ٣٣١ .
 أم هانيء بنت أبي طالب ٢٥٧ .
 هيرة بن أبي وهب المخزومي ١٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٠ .
 هذيل بن مدركة ٣٠ .
 هرقل ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
 هرمي بن عبد الله ٢٨٧ .
 أبو هريرة ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
 هشام بن صبابه ٢١٠ ، ٢١٢ .
 هشام بن عروة ١٨٠ ، ٢٣٢ .
 هشام بن عمرو ٨٦ - ٨٨ ، ٢٧٧ .
 هصيص بن كعب ٣٠ .
 هلال بن أمية ٢٨٧ .
 هند بنت أبي أمية = أم سلمة .
 هند بنت عتبة ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ٢٥٤ .
 هند بنت أبي هالة ٣٣١ .
 هوذة بن علي الحنفي ٣٢٨ .
 هوذة بن قيس الوائلي ١٨٨ .
 الهون بن خزيمه ٣٠ .
 أبو الهيثم بن التيهان ١٠٣ .

و

- واقد بن عبد الله التميمي ٥٦ ، ١٣٤ .
 وحشي غلام جبير بن مطعم ١٦١ ، ١٦٦ .
 وديعه ١٨١ .
 ورقة بن نوفل ٤٥ ، ٥٢ ، ٧٠ .
 أبو الوليد = عتبة بن ربيعة .
 الوليد بن عتبة بن ربيعة ١٣٦ ، ١٤٥ .

- الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٢١٣ .
الوليد بن المغيرة ، أبو عبد شمس ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٤ ، ٨٦ .
وهب بن جابر ٢٩٥ .
أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٤٦ .

ي

- الياس بن مضر ٣٠ .
ياسر ٧١ .
ياسر اليهودي ٢٣٢ .
ابن يامين بن عمير بن كعب النضري ٢٨٧ .
يانش بن شيث ١٧ .
يحنس الحواري ٤٩ ، ٣٢٩ .
يحنة بن رؤبة ٢٩٢ .
يحيي بن زكريا عليهما السلام ٩٣ .
يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٣٤٢ .
يخلد بن النضر ٣٠ .
يرد بن مهليل ١٧ .
يزيد بن أبي حبيب المصري ٣٢٨ .
يزيد بن رومان ٢١٣ ، ٢٨٥ .
يزيد بن عبد المدان ٣٢١ .
يزيد بن المحجل ٣٢١ .
يس ٢٩٥ .
يشجب بن نابت ١٨ .
يطور بن إسماعيل ١٨ .
يعرب بن يشجب ١٨ .
يعقوب عليه السلام ٢١٩ .
يعقوب بن عتبة ٣٣٦ .
يعقوبس ٣٢٩ .

يقظة بن مرة ٣٠ .

يهوذا ٣٢٩ .

يودس ٣٢٩ .

يوسف بن يعقوب عليهما السلام ٩٣ ، ٢١٩ ، ٣٢٩ .

يونس بن متى ٩٨ .

٣ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| أصحاب المثين ٢٧٧ . | بنو آكل المزار ٣١٦ . |
| بنو الأصفر = الروم ٢٨٦ | الأحابيش ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، |
| الأعاجم ٢٣ ، ٢١٦ . | ٢٢٣ ، ٢٢٥ . |
| بنو أمية ١٢٢ . | الأحلاف ٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ . |
| الأنصار ٢١ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٥ ، | بنو أبي أحمد ٢٤٨ . |
| ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ ، | إراش ٨٨ . |
| ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، | إراشة ٢٣٩ . |
| ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، | إرم ١٠٢ . |
| ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، | الأزد ٣١٦ . |
| ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، | أسد بن عبد الغزى ٤٦ ، ٢٣٦ ، |
| ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، | ٢٦٠ ، ٣٢٤ . |
| ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، | إسرائيل ١٣٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢ . |
| ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، | أسلم ٦٢ ، ١١٨ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، |
| ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، | ٢٣٥ ، ٢٩٤ . |
| ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، | أسيد بن عمرو بن تميم ٣٣١ . |
| ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، | أشجع ٣٢٥ . |
| ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٣٠٨ ، | الأشعريون ١٨ . |
| ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، | أصحاب السمرة ٢٦٦ . |
| ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ . | أصحاب الفيل ٢٦ ، ٢٩ . |
| الأوس ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، | أصحاب الكهف ٣٢٩ . |

١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٩١ ، ٢٠١ ،

٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ .

أوس الله ١٢٢ .

البربر ٢٢٩ .

البكاعون ٢٨٧ .

بكر بن عبد مناة ١٣٨ ، ١٤٣ ،

٢٤٣ - ٢٤٤ .

بكر بن وائل ١٥٦ .

البكير بن عبد ياليل ٥٧ .

بلحارث = بني الحارث .

بلي ٢٣٩ ، ٣١١ .

بهراء ٢٣٨ .

بياضة ١٢٠ ، ٢٢٤ .

التبابعة ١٨ .

تميم بن مر ٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ،

٣٠٠ .

تميم بن غالب ٢٥٦ .

ثعلبة ١٢٥ ، ١٨٣ .

ثعلبة بن الفطيون ١٦٥ .

ثقيف ٣٧ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

٩٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،

٢٧٠ - ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،

٢٧٦ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٣٠٠ - ٣٠٢ .

تمالة ٢٧٦ .

بنو جحش بن رثاب ١٢٢ .

جذام ٢٣٩ .

جرهم ٢٢ .

جشم ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٦١ .

جفنة ١٢٥ .

جلايب قریش ٢١٠ .

جمع بن عمرو ٤٦ ، ٧٠ ، ٩٧ ،

١٢٢ ، ٢٣٦ .

الجن ٩٩ ، ١١٦ .

جهينة ٢٨١ .

الحارث بن الخزرج ١٢٠ ، ١٢٨ ،

٢٩٦ ، ٣٤٣ .

الحارث بن كعب ١٢٤ ، ١٢٥ ،

٣٢٠ ، ٣٢١ - ٣٢٢ .

الحارث بن فهر ٢٣٦ .

حارثة ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٨٧ .

الحبشة ، الحبش ١٩ ، ٢٥ - ٢٨ ،

٢٩ ، ٧٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ .

بنو الحجاج ١٤١ .

بنو الحسحاس ٢٦٠ .

بنو الحضرمي ٢٤٣ .

بنو أبي الحقيق ٢٣١ .

حمير بن سبأ ٢٣ - ٢٤ ، ٢١٧ ،

٣١٨ .

حنظلة ٣٢٤ .

حنيفة ١٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ .

الحواريون ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

خثعم ٣١٦ .

خزاعة ١٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

بنو سلعة ١٢٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
 سلول ٣٠٥ .
 سليم ١٥٣ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ .
 سهم بن عمرو ٤٦ ، ٢٣٦ .
 السودان ٢٠ .
 الشطبية ١٢٥ .
 شنوءة ٩٢ ، ٩٣ .
 شهران ٢٦ .
 ضمرة بن بكر ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٨٧ .
 طيء ٢٩٠ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ .
 ظفر ١٧٠ .
 عاد ١٠٢ .
 بنو العاص بن سعيد ١٤١ .
 عامر بن صعصعة ١٠٠ ، ١٧٩ -
 ١٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 عامر بن لؤي ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ ،
 ٣٢٨ .
 عامر بن الياس = مدركة .
 عبد الأشهل ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٣٥ ، ٣٤٣ .
 عبد الدار بن قصي ٤٦ ، ٧١ ، ١٦٠ ،
 ٢٣٦ ، ٢٦١ .
 بنو عبد الرحمن = المهاجرون
 عبد شمس بن عبد مناف ٢٣٦

٢٢٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٥١ .
 ٣٣٣ .
 الخزرج ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٥ -
 ١٠٨ ، ١٥٣ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ،
 ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ .
 خطمة ١٢٢ .
 دوس ٢٧٠ .
 الدليل ، من بني بكر ٢٤٤ .
 بنو دينار ١٣١ ، ١٧٠ .
 ذو رعين ٣١٧ .
 الركوسية ٣١٢ .
 الروم ، بنو الأصفر ٤٥ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٣٢٨ .
 زبيد ٢٢٧ ، ٣١٥ .
 زهرة بن كلاب ٤٦ ، ٢٣٦ .
 بنو ساعدة ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٦ .
 سالم بن عوف ١٢٠ .
 سالم بن مالك ١٩٥ ، ١٩٦ .
 سامة بن لؤي ٣٣٤ .
 سبأ ٢٤ .
 سعد بن بكر ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٠٠ ،
 ٣٢٤ .
 سعد بن ليث ١٢٢ .
 سعد هذيم ٣٢ .

عبد القيس ١٧٢ ، ٣٠٧ .
 بنو عبد الله = الخزر ج ٢٥٥ .
 بنو عبد المطلب ٨١ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ،
 ٢٥٦ ، ٢٧٥ .
 بنو عبد مناف ٦٩ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٧٨ ،
 ٨٧ ، ١١٢ ، ٢٥٢ .
 بنو عبيد الله = الأوس ٢٥٥ .
 عتاب بن مالك ٢٩٥ .
 العجلان ٢٤١ ، ٣٤٧ .
 العجم ٩٥ ، ١١٢ ، ٣٢٨ .
 علي بن كعب ٤٦ ، ٧٨ ، ١٢٢ ،
 ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ .
 علي بن النجار ٤٠ ، ١٢٠ .
 عذرة .
 عضل ١٧٣ ، ١٩٢ .
 عمرو بن حزم ٢٩٠ .
 عمرو بن زرعة ٢٣٥ .
 عمرو بن عامر ٢٦١ .
 عمرو بن عون ١٠٠ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٢٤ ، ١٧٩ ، ٢٨٧ .
 عوف ١٢٤ ، ١٢٥ .
 عوف بن الخزر ج ٢٥٩ ، ٣٤٩ .
 عوف بن عامر ١٦٣ .
 غسان ٢٨٥ .
 غطفان ١٥٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ -
 ١٩٢ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٣ - ٢٠٨ ، ٢٣٠ .
 غفرة ٤٨ .
 بنو غيرة ، من ثقيف ٢٦٨ .
 فارس ، الفرس ٦٩ ، ٨٣ ، ٣٢٨ .
 آل فرعون ٩٣ .
 فزارة ١٨٩ .
 فهر ٣٠٣ .
 فهم ٢٧٦ .
 القارة ١٧٣ ، ١٩٢ .
 قريظة ١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٥ ، ١٩٧ -
 ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ .
 قضاة ٢٢٥ .
 قنص بن معد ١٨ .
 قيس عيلان ٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ .
 قيلة ١١٨ ، ١٥٩ .
 القين ٢٣٩ .
 قينقاع ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ،
 ٢١٢ .
 بنو كعب ١١٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
 كعب بن عوف ٢١٠ .
 كلاب ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
 كنانة ٢٧ ، ٤٣ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ،
 ١٦٧ ، ١٩٣ ، ٢٤٧ .
 كندة ١٠٠ ، ٢٩٢ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ .

٤٠٤

- الكهان ٦٩ .
لحيان ٢٠٧ .
لخم ٢٣٩ .
لهب ٤١ .
ليث ١٨٧ ، ٣٢٥ .
مازن بن النجار ٢٨٨ .
مالك ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
مالك بن أقيش ١٠٠ .
مالك بن النجار ١١٩ .
محارب ١٨٣ .
مخزوم بن يقظة ٧١ ، ١١٠ ،
٢٠٦ ، ٢٥٧ .
مدلج ١٣٢ .
مذحج ٣١٣ .
مراد ٣١٢ ، ٣١٣ .
مرة ١٨٩ .
مزينة ٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٩٥ .
المصطلق ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٣٣ .
مضر ١٧٩ .
المطلب ٥٩ ، ٤٤ .
مظعون ١٢٢ .
معاقر ٣١٧ .
معتب ٢٩٨ .
معد بن عدنان ٢٦١ ، ٣٠٢ .
المعدرون .
منقذ بن عمرو بن معيص ٣٣٤ ؛
المهاجرون ٧٣ ، ١٠٨ - ١٠٩ ،
- ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ،
٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
٢٨٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ ،
٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ،
٣٤٧ .
المؤلفة قلوبهم ٣٧٧ .
بنو مؤمل ٧١ .
ناهس ٢٦ .
النييت ١٢٣ .
النجار ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ،
٢٢٦ ، ٣٠٨ ، ٣٥٦ .
نزار ٢٨٥ .
النساء ٢٦ .
النصارى ٤٧ ، ٩٦ ، ١٥٥ ، ٣١٠ .
نصر ٢٦١ .
النضر بن كنانة ٣٢٢ .
النضير ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٠ -
١٨٣ ، ١٨٨ ، ٣٣٥ .
هاشم بن عبد مناف ٥٤ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٨٨ ، ١٤٧ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ .
الهذليون ٢١ .
هذيل بن مدركة ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ،
١٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٢٥ .

ي

آل ياسر ٧١ .

يسار ٢٩٦ .

اليمن (في فهرس البلدان) .

يهود ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،

١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٨ ،

١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ .

مصبص ١٤٩ .

هلال ٢٧٥ .

همدان ٣١٢ ، ٣١٧ .

الهند ٣٢٠ .

هوازن ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ .

و

واقف ١٢٢ ، ٢٨٦ .

وائل ١٢٢ ، ١٨٩ .

٤ - فهرس البلدان والمواقع ونحوها

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| إفريقية ٣٧٧ . | الأبرق ٢٧٣ . |
| أفسوس ٣٧٧ . | الأبطح ١٠٨ ، ١٢٦ ، ٢٥٧ . |
| ألمج ٢١ ، ١١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ . | الأبواء ٤١ ، ١٣٠ . |
| أوراشلم ٣٤٣ . | أبين ١٩ ، ٢٠ . |
| أوطاس ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ . | أثافي البرمة ١٣٢ . |
| أولات الجيش ١٣٨ .. | الأجرد ١٢٧ . |
| أيلة ٢٩٢ . | أحد ١٢٧ ، ١٥٧ - ١٥٩ ، ١٦٠ ، |
| إيلياء ٨٩ ، ٣٣٧ . | ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، |
| باب الكعبة ٢٩ ، ٤٥ . | ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، |
| بابل ٥٩ ، ٣٠٩ . | ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، |
| البتراء ٢٠٨ . | ٣٣٨ . |
| البحر (بحر القلزم) ٢٩٢ . | الأخدود ٢٣ . |
| بحران ١٣٢ ، ١٦٢ . | الأخضر ٢٩٤ . |
| بحرة الرعاء ٢٧١ . | أذاخر ١٠٧ . |
| البحرين ٢٣ ، ٢٣٨ ، ٣٢٨ . | أذرح ٢٩٢ . |
| بدر ٥٣ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، | الأراك ٣٣٥ . |
| ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، | الأردن ١١٢ . |
| ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، | إساف (صنم) ٣٤ . |
| ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، | الإسكندرية ٣٢٨ . |
| ٢١٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥ ، | الأعراية ، أرض الحجاز ٣٢٩ . |

٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ،

تربان ١٣٨ .

التنعم ١٧٥ ، ١٩٨ .

تهامة ٢٧ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ،

٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ .

ثنية العائر ١١٨ .

ثنية المزار ٢٢٢ .

ثنية المرة ١٣٠ .

ثنية الوداع ٢٠٨ ، ٢٨٧ .

ثور ١١٤ .

ثيب ١٥٣ .

جاية الجولان ٣٠٢ .

الجباب ١٠٧ .

جبل طيء ٢٩٠ .

الجداجد ١١٧ .

جلدة ٤٥ .

جرباء ٢٩٢ .

جرش ١٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٦ .

الجرف ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣٣٨ .

جزيرة العرب ٣٥٢ .

الجعرانة ١١٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ،

٢٧٦ ، ٢٧٩ .

الجمرة الكبرى ٣٥٤ .

الجو ٢٨٢ .

الجواء ٢٦٠ .

الجوشية ٣١٠ .

الحبشة ٨٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٣٤٩ .

البربر ٣٢٩ .

برك الغماد ١٣٩ .

بصري ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ .

بطحاء ابن أزهر ١٣١ .

بطحاء مكة ١٧٢ .

بعاث ١٠١ .

بقعاء ٢١١ .

بقيع الفرقد ٢٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٥٥ .

البلقاء ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،

بواط ١٣١ .

بيت أبي بكر ٣٣٧ .

البيت الحرام ، بيت الله ٢١ ، ٢٢ ،

٢٦ - ٢٩ ، ٦١ ، ٨٨ -

٩٢ ، ١٣٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣٥٠ .

بيت رأس ٢٦٠ .

بيت عائشة ٣٤٢ .

البيت المعمور ٩٣ .

بيت المقدس ٨٩ - ٩٢ ، ٣٢٩ .

بئر أنا ٢٨٢ .

بئر الروحاء ١٣٨ .

بئر الكعبة ٤٥ .

بئر معونة ١٣٥ ، ١٧٨ .

بين ٢٠٨ .

تبوك ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،

خفية ٢٨٤ .
 الخلائق ١٣٢ .
 الخليفة ، خليفة بني أحمد ٢٤٨
 الخندق ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ،
 ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٦ . ٢١٣
 خير ٣٤ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ،
 ٢٧٠ .
 خيمتا أم معبد ١١٥ .
 دار بديل بن ورقاء ٢٤٤ .
 دار بني بياضة ١١٩ .
 دار بنت الحارث ٣٠٨ .
 دار بني الحارث بن الخزرج .
 دار رافع ٢٤٤ .
 دار بني ساعدة ١١٩ .
 دار أبي سفيان ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
 دار بني علي بن النجار ١١٩ .
 دار قصي بن كلاب = دار الندوة ١١١
 دار مالك بن النجار ١١٩ .
 دار الندوة ١١١ ، ٢٣٧ .
 الداروم ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
 دحنا ٢٧٤ .
 دفاع = اللات ٢٩٨ .
 دومة الجندل ١٨٨ ، ٢٩٢ .
 ذات الأصابع ٢٦٠ .
 ذات أنواط (شجرة) ٢٦٤ .
 ذات الجيش ٣٣٣ .

١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٨ .
 الحجاز ، الأعرابية ٣٢ ، ٣٤ ،
 ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ،
 ٢١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٩ .
 الحجر ٢٨٩ .
 حجر الكعبة ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٠ .
 الحجون ٨٧ .
 الحديبية ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ .
 حراء ٥١ .
 الحرم ٢١ ، ٤٤ ، ١٣٣ ، ١٧٥ ،
 ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٣٠٠ .
 الحرة ١٨٥ .
 حرة بني سلم ١٧٩ .
 حضن ناعم ٢٣٠ .
 حضر موت ٣٢٤ .
 حضن .
 حلقة .
 حمراء الأسد ١٧١ - ١٧٢ .
 الحمض ٢٢٢ .
 حنين ١١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
 ٣٠٠ .
 الحيرة ٢١ ، ٦٩ .
 الخرار ١١٨ ، ١٣٢ .
 خطم الحجون ٨٧ .

ذات الرقاع ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .
ذباب ٢٨٧ .

ذنب نقمي ١٩٠ .

ذو أمر ١٥٤ .

ذو الحليفة ١٣٨ .

ذو سلم ١٠٧ .

ذو صنعاء ٣١٤ .

ذو طوى ٢٥٠ ، ٢٥٥ .

ذو الغضوين ١٢٥ .

ذو قرد ٤١ ، ٢٩٥ .

ذو كشر ١٥٥ .

ذو الهدم ٢٩٧ .

رانوناء ١١٩ .

الربذة ٢٩١ .

الرجيع ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٧٧ .

٢٩٢ ، ٣١٧ .

رحقان ١٤٣ .

الردم ٣١٢ ، ٣١٣ .

رضوى ١٣١ .

الركن ٤٧ ، ٥٣ ، ٢٣٧ ،

٢٥٧ .

الركن الأسود ٤٧ ، ٦٩ ، ٢٣٧ .

الركن اليماني ٤٧ ، ٦٩ ، ٢٣٧ .

ركوبة ١١٨ .

الروحاء ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٧١ .

رومة ١٩٠ .

رومية ٣٢٩ .

رئم ١١٧ .

زغابة ١٨٩ .

زمزم ٣١-٣٣ .

السافلة ١٤٩ .

سابة ٢٠٨ .

السيخة ١٥٧ ، ١٩٣ .

سجسج ١٣٨ .

سردد ٢٥١ .

سرف ١٦٥ ، ٢٣٧ .

سقوان ١٣٢ .

سقيفة بني ساعدة ٢٦٧ ، ٣٤٥-٣٤٨ .

السلام (حصن) ٢٣١ .

سنح ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ .

السنح ٣٤٠ ، ٣٤١ .

سها ٢٥١ .

السيالة ١٣٨ .

الشام ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٥٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ،

١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

شامة ١٢٩ .

شبكة شلخ ٢٩٤ .

الشجرة ٢٩٤ ، ٣١١ .

الشلخة ٢٧١ .

تعبة عبد الله ١٣٢ .

الشق ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

شكر ٣١٧ .

شوكة ١٣٨ .

الشوط ١٥٨ .

الصادرة (سدره) ٢٧١ .

صغيرات اليمام ١٣٢ ، ١٣٨ ، ٢٠٨ .

صرار ١٨٤ ، ١٨٥ .

الصفاء ٦٢ ، ٧٨ ، ٨٠ .

الصفراء ١٣٨ ، ١٤٩ .

الصمغة ١٥٩ .

صنعاء ٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣٢٣ .

الصهباء ٢٣٠ .

الضبوعة ١٣٢ .

ضجنان ١٨٧ .

الضيقة ٢٧١ .

الطاغية (صنم) = اللات ٢٩٧ - ٢٩٨ .

الطائف ٢٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ،

١١٦ ، ١٣٢ ، ١٦١ ،

٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ .

طفيل ١٢٩ .

طيبة ، المدينة ٣٥٢ .

طيبة ، زمزم ٣١ .

ظفار ٢٠٨ .

الظهران ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ .

العالية ١٤٠ .

العائر ١١٨ .

العبايد ١١٧ .

عثر ٢٨٢ .

عدن ١٩ .

عذراء ٢٦٠ .

العراق ٢١ ، ٦٦ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ،

٢٩٢ ، ٣٥١ .

العرج ١١٨ .

عرق الطيبة ١٣٨ ، ١٤٩ .

عريش رسول الله ١٤٦ .

العريض ١٥٤ .

العزى (صنم) ٤٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٩ ،

عسفان ٢١ ، ١١٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ،

٢٤٦ ، ٢٤٩ .

العشيرة ١٣٢ .

عصر ٢٣٠ .

العقبة ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١٠ ، ١٣٩ .

العقنقل ١٤٣ .

العقيق ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

عكاظ ١٧٢ .

عمان ٣١٨ .

العيص ١٣١ .

عينين ١٥٧ .

الغابة ٢٠٨ .

الغار ١١٤ .

غراب ٢٠٨ .

كداء ٢٤٥ ، ٢٦٠ .
 الكدر ١٥٣ .
 الكديد ٢٤٩ .
 كراع الغمم ٢٠٨ ، ٢٢١ .
 كشر ٣١٧ .
 الكعبة ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
 ٦٩ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٦ ،
 ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 ٢٥٥ ، ٣٤٨ .
 الكهف ٣٢٩ .
 الكوفة ١٩٦ .
 اللات ، دفاع ، الطاغية (صنم) ٢٦ .
 ٤٢ ، ٧٠ - ٧٢ ، ١٠٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
 لقف ١١٧ .
 لية ٢٧١ .
 ماب ٢٣٨ .
 مجنة ١٢٩ ، ١٨٦ ، ٢٧٩ .
 مخيض ٢٠٨ .
 مدلجة تعهن ١١٧ .
 مدلجة لقف ١١٧ .
 مدلجة محاج ١١٧ .
 المدينة (١) .
 مر الظهران ٢٥١ ، ٢٧٩ .
 مرجح ١١٧ .
 مرجح محاج ١١٧ .

غران ٢٠٨ .
 غميس الحمام ١٣٨ .
 الفاجة ١١٧ .
 فارس ٢١ .
 فج الروحاء ١٣٨ .
 فخ ١٣٠ .
 فلك ٢٣٣ .
 فرش ملل ١٣٢ .
 الفرع ١٣٢ ، ١٥٤ .
 فلسطين ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
 فيفاء الخبر ١٣١ .
 القادسية ٣١١ ، ٣١٢ .
 قباء ١١٨ ، ١١٩ .
 قبر الرسول ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
 أبو قبيس ١٣٧ ، ٢٥٥ .
 قديد ١١٧ ، ١٨٧ ، ٢١٠ .
 القردة ١٥٦ .
 قرطاجنة ٣٢٩ .
 قرقرة الكدر ١٥٤ ، ١٨٠ .
 قرن ٢٧٠ .
 القرينان ٨٣ .
 قليب بدر ١٤٨ ، ١٥٦ .
 القليس (كنيسة) ٢٦ .
 القموص (حصن) ٢٣٠ .
 قناة ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٠ ،
 ٢٩٦
 الكتيبة ٢٣٣

المريسيغ ٢١٠ .

المسجد الأقصى ٨٩ .

المسجد الحرام ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ - ٩١ ، ١٠٤ ،

١٠٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ،

٢٤٧ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ .

مسجد الطائف ٢٧١ .

مسجد عصر ٢٣٠ .

مسجد قباء ١١٩ .

مسجد المدينة ١١٩ - ١٢١ ، ١٣١ ،

١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٣٧ ،

٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ .

مشارف ٢٤١ .

المشرب ١٣٢ .

المضنونة = زمزم ٣١ .

المضيق ١٣٨ ، ١٤٩ .

مضيق الصفراء ١٣٩ - ١٤٩ .

معان ٢٣٨ .

المغمس ٢٦ ، ٢٧ .

مقبرة بني قريظة ٢٠٧ .

المكتان ٤٥ .

مكة (١) ...

ملل ١٣٨ .

الملح ٢٧١ .

منى ٩٩ ، ٢٦٧ .

المهراس ١٦٥ .

مهيعة ١٢٩ .

مؤنة ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ - ٢٤٣ .

النازية ١٣٨ ، ١٤٩ .

ناثلة ٣٤ .

نجد ١١١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ،

١٨٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ .

النجدية ١٥٣ .

نجران ٢٠ ، ٢٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ .

نخب ٢٧١ .

نخل ١٨٣ ، ١٨٥ .

نخلة ٩٨ ، ١٣٢ ، ٢٦٨ .

نخلة اليمانية ٢٧٠ .

نصيين ٩٨ .

نطاة ٢٣٣ ، ٢٣٥ .

نقب بني دينار ١٣١ .

نقوى ١٩٠ .

المقيع ٢١١ .

نبيق العقاب ٢٥٠ .

النيل ٧٧ .

نينوى ٩٧ ، ٩٨ .

هبل (صم) ٤١ - ١٦٦ .

الهدأة ١٧٤ .

وادي القرى ٢٣٤ .

وادي المشقق ٢٨٥ .

الوتير ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

اليمامة ٦٨ ، ١٤٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ .
اليمن ١٨ - ٢٤ ، ٢٩ ، ١٦١ ،
٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ .
ينبع ١٣٢ .

وج ٢٧٠ .
ودان ١٨٧ .
الوطيح ٢٣١ .
يثرب (المدينة) ٢٦ ، ٨٤ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٨٧ ،
٢٠٤ ، ٢٤٢ .
يليل ١٣٢ .

٥ - فهرس الأشعار والأرجاز

٣٠٦	لييد	ولد	٢٦٠	حسان بن ثابت	خلاء
٣٥٧	حسان	إفناد	٣١٢	فروة بن مسيك	نسائها
١٦٠	هند بنت عتبة	الدار	٢٣١	كعب بن مالك	كعب
٣٥٦	حسان	سحرا	٢٣١	مرحب	مرحب
٢٤٢	حسان	مسهر	٢٤٠	جعفر	واقتر أبها
٢٣٥	عمرو بن معديكرب	بثفر	٣٠٤	عمرو بن الأهتم	تصب
٢٣٥	ابن لقيم	وفقار	٢٤١	عبدالله بن رواحة	تموتي
٢٨٤	كعب بن زهير	الأنصار	٤٥	ورقة بن نوفل	النشيجا
٢٥٦	أخت مقيس	بمقيس	٢٢٠	—	ومسطح
٢٦٣	دريد بن الصمة	جذع	٢٣٨	عبدالله بن رواحة	الزبدا
٢٩٨	—	دفاع	٢٤٥	عمرو بن سالم	محمدا
٣٠٢	الزبرقان بن بدر	البيخ	٣٥٢	حسان بن ثابت	وتهمد
٣٠٣	حسان	تبيع	١٥٠	الأسود بن المطلب	السهود
١٧٧	حبيب بن عدي	مجمع	١٥٢	أبو عزة	حميد
٢٧٧	عباس بن مرداس	الأجرع	٣١٤	عمرو بن معديكرب	رشد
٢٧٠	كعب بن مالك	السيوفا	١١٦	بعض الجن	معبد
١٦٠	هند بنت عتبة	نعانق	٢٥٠	أبو سفیان	محمد
٢٧٣	بشير بن زهير	الأبرق	٢٧٥	مالك بن عوف	محمد
١٧٧	حسان	القلق	١٨٧	معبد	محمد
١٢٩	عامر بن فهيرة	ذوقه	٣٥٥	حسان بن ثابت	الأرمذ

٢٣٩	عبدالله بن رواحة	وخليلي	٢٩	عبد المطلب	حلالك
١٢٩	أبو بكر الصديق	أهله	٢٨٠	كعب بن زهير	هل لكا
٢٧٦	أبو محجن الثقفي	سلمة	١٢١	—	يعمل
٢٥٩	فضالة بن عمير	والإسلام	١٧٤	عاصم بن ثابت	عنابل
٣٠٢	حسان بن ثابت	وراغم	١٢٩	بلال	وجليل
٢٤٠	عبدالله بن رواحة	لتترلنه	٢٨٢	كعب بن زهير	مكبول
٢٣	ذو رعين	عين	١٩٤	حسان	لم تفعل
٢١٠	عبدالله بن رواحة	وافيا	١٧٢	معبد	الأبائيل

تطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣٩٠٠ - ٣٩٩ - ص: ٧٤٦٠ - بريقيا، بيروت - لبنان